

صَلَّى الْمَنِيْبِيَا

٢

مكتبة التوبة، ١٤٣٠هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصغير، فالح محمد فالح

صدى المنبر/ فالح محمد فالح الصغير - الرياض، ١٤٣١ هـ

٣ مج.

ردمك: ٥-٣-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٥-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٢)

١- خطبة الجمعة، ٢- الخطب الدينية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ٨٩٢٢ / ١٤٣١

رقم الإيداع: ٨٩٢٢ / ١٤٣١

ردمك: ٥-٣-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٥-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٢)

مكتبة الملك فهد الوطنية

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م

المملكة العربية السعودية، الرياض

للاستفسار / ٠٥٠٦٤٣٠٤٥٧

مكتبة التوبة



الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف: ٤٧٦٣٤٢١ فاكس: ٤٧٧٤٨٦٢ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

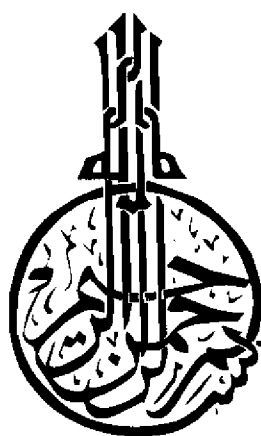
صَلَاةُ الْمُنْبِرِ

إِعْدَادُ

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير

المجموعة الثانية

مكتبة التوبة



مقدمة الجزء الثاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة الخطب المنبرية التي ألقيتها في عدد من الجوامع في مدينة الرياض.

وقد سرت فيه على المنهج نفسه في الجزء الأول من عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، وغيرها.

فيعتبر هذا الجزء مكملًا للجزء الأول. فموضوعات الخطب غير مكررة، أما ما كان مكرراً أو متقارباً فهذا لم أوردته مكتفياً بما ذكرته في الجزء الأول وبخاصة خطب المناسبات الزمانية مثل رمضان، والحج، وكذا ما يتعلق ببعض الأحكام فأكتفي بما سبق، لأجل ألا يتكرر، أما ما ارتبط بحدث معين فأنا أوردته لاختلاف مناسبات الأحداث سواء كانت أحداثاً كونية قدرية، أو نوازل تحتاج إلى بيان وتوضيح.

أسأل الله تعالى أن تكون نافعة، وما كان فيها من صواب فهو من الله تعالى وأسأله المثوبة عليه، وما كان غير ذلك فأسأل الله العفو والمغفرة إنه عفو غفور، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: أد فالح بن محمد بن فالح الصغير

البريد الإلكتروني: falehmalsgair@Yahoo.com

www.alsunnah.com

العلم ومسؤولية الجميع

الحمد لله علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بارئ النسم، وموجد لها من العدم، وعلّمها ما لم تعلم، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه ليكون هادي الأمم، فانقشعت بنوره الظلم، فهو خير من تعلّم وعلّم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل العلم والشيم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فانقوا الله عباد الله! يعلمكم الله، ويزدكم من فضله وإحسانه، ويسبغ عليكم من نعمه وآلائه.

أيها المسلمون! اعلّموا أن العلم نور القلوب وحياتها، وفيه المخرج من ظلمات والجهل والهوى، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَتَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وهو قوام الإسلام، فلا سبيل لنهوض أمة، من الأمم إلا بالعلم، فلذلك قامت الدول بإنشاء المدارس والمعاهد والجامعات، وأنفقت على طلاب العلم الأموال الطائلة، ورسمت المناهج العلمية والتربوية، واعتنت بالتخصصات الدقيقة؛ ليقوم كل فرد من هذه الأمة بمهمته الموكّلة بها على أحسن وجه. كل في مضماره وفي تخصصه.

بدءاً من أول حلقة تعليمية، ونهاية بأعلى درجات سلم العلم من أجل النهوض بأفراد الأمة إلى الفضل في التحصيل والتعليم. أيها المربون والمعلمون والموجهون! أيها الأولياء ، أيها المتعلمون والدارسون!

علينا جميعاً أن نشمر عن ساعد الجد من أول درجات العلم، ولنؤد أعمالنا بعزم وجد واجتهاد وإخلاص. وليقم كل منا بالمسؤولية التي على عاتقه للقيام بعملية التربية والتعليم على الوجه الأكمل والأفضل.

فمن ولاهم الله تعالى مسؤولية الإدارة والتوجيه، عليهم القيام بهذه المسؤولية، ومحاولة النهوض بمؤسساتها التعليمية على الأفضل والأكمل، ومتابعة الإشراف والتوجيه التربوي والتعليمي، وليعلموا أن عليهم مسؤولية عظيمة سيسألون عنها يوم القيامة (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(١) ومن ولاهم الله تعالى مسؤولية التعليم والتدريس عليهم أمانة كبيرة، أمانة تربية الأجيال وتعليمهم وتوجيههم وثقيفهم ، فالأستاذ يقوم بمهمة جليلة هي مهمة محمد ﷺ، فهو معلم وداع إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٩٣)، ومسلم برقم (١٨٢٩) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

الله، ومرشد إلى الخير، ولذا عليه أمور يجب أن يتبينها، وتطبيقها سهل وميسور على من وفقه الله تعالى، وأهم هذه الأمور:

أولاً : الإخلاص، وهو من أول المطالب في كل عمل ومطلوب في هذا العمل الجليل؛ لأن المعلم في مقام الداعي إلى الله، وفي مقام المربي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي مقام الأب والأخ، يجب عليه أن يخلص في عمله، يبتغي به وجه الله والدار الآخرة، وكل ما يأخذه من عرض الدنيا، فإنما هو تابع ووسيلة لإعائه على أداء مهمته، وليست غاية يسعى لها.

والإخلاص عمل قلبي لا يطلع عليه أحد إلا الله، ولكنه يتجلى في أمور عديدة، وثمرته تبدو واضحة جلية في مجال التعليم، ومن هنا نرى الفرق واضحاً بين معلّمين تساوي في أمور كثيرة، ولكنهما اختلفا في الإخلاص.

ثانياً : أن يكون المعلم ملماً بمادته فاهماً لها فهماً كاملاً محيطاً بها من جميع جوانبها؛ لأنه لا يستطيع أن يوصلها إلى طلابه وتلاميذه إذا لم يكن متقناً لها، وإن من أعظم مقومات شخصية المعلم قوته في علمه، وفهمه لمادته، وملاحظته ومتابعته لما يجد في مادته. إنه ليس عيباً على المعلم أن يسأل من يرى فيه من القدرة والخبرة السابقة إذا لم يكن مستوعباً لمادته، أو اعترضته بعض الموضوعات التي لم يستوعبها،

بل ذلك هو الواجب عليه، كما أنه ليس عيباً أن يؤجل الإجابة على أسئلة تلاميذه إذا لم يكن مستوعباً لها، بل العيب أن يجيب خطأً، وبالتالي لن يثقوا به، ولا بمعلوماته.

ثالثاً: أن يكون المعلم قدوة صالحة لطلابه، فللمعلم مكانة في نفوس تلاميذه يقتدون به، ويأخذون عنه السلوك والأخلاق، كما يأخذون عنه المادة العلمية، فإن كان قدوة صالحة متصفاً بالسلوك الحسن والأخلاق الحميدة، أخذوا عنه الصلاح وحسن السلوك، وإن كان غير ذلك ترتب عليه أمران: الأول: أنهم لا يأخذون عنه ما يعلمهم إياه، وإن أخذوا عنه أخذوه مجرداً عن الروح والمعنى سرعان ما يتلاشى أثره من نفوسهم، ويذهب مع ورقة الامتحان. الثاني: أن يكون قدوة سيئة، وعنصراً فاسداً يتصف طلابه بصفاته، ويأخذون عنه السلوك السيء والأخلاق المشينة مما يكون له أكبر الأثر السيء على المجتمع بأكمله.

رابعاً: أن يكون المعلم متحلياً بالأخلاق الكريمة التي تُعينه على أداء مهمته كالصبر والتحمل، فالتعليم مهمة شاقة تحتاج إلى ذلك، فيتحمل ما يصدر من تلاميذه من هفوات أو نقص، لأن المعلم يأمل فيه طلابه الكمال وجودة التحصيل وحسن السلوك، ومن عادة الطالب أن يصدر منه ما يغضب معلمه في بعض الأوقات، ومما يعينه على ذلك

المعاملة الحسنة مع طلابه والعلاقة الطيبة بهم، يحترمهم كما يجب عليهم احترامه، ويقدر آراءهم واختلاف مستوياتهم في الإدراك وغيره، يعاملهم بالتعامل المتزن لا بالعنف الذي يذهب روح التعلم وثمرته، ولا بالفوضى التي تقضي على التحصيل والانضباط والأدب.

خامساً: أن يكون المعلم مؤمناً برسالته، مقتنعاً بعمله، قد التحق في سلك التعليم والتدريس عن رغبة واختيار، فذلك من أهم الأمور التي تساعد على نجاح المعلم في مهمته العظيمة.

سادساً: على المعلم مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والمحافظة على ذلك في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمين على ما أودع من العلوم، وما منح من الحواس والفهوم، قال تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] . وقال الشافعي: "ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع" وعليه بدوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع لله والخضوع.

كتب مالك إلى الرشيد رحمهما الله: إذا علمت علماً فليزر عليك علمه وسكيتته وسمته ووقاره وحلمه؛ لقوله ﷺ: (العلماء ورثة

الأنبياء^(١)، وقال عمر رضي الله عنه : (تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار).^(٢)

أيها المسلمون! اتقوا الله، سبحانه وتعالى، وقوموا بمسؤولياتكم خير قيام؛ ليؤدي العلم ثمرته المرجوة، وخاصة ونحن في بداية العام الدراسي، تكونوا من المفلحين الفائزين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة رسوله ﷺ، وأقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه الصحيح برقم (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وأبو داود في سننه برقم (٣٦٤١) . وابن ماجه في سننه برقم (٢٢٣).

(٢) ذكره البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٧٨٩)، ٢/٢٨٧ ولفظه : "تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن يعلمكم ، وتواضعوا لمن تعلموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم".

الخطبة الثانية

الحمد لله الحكيم العليم، أحمدوه سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرؤوف الرحيم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبداً لله ورسوله. صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : أيها الآباء، إن مهمة التعليم ليست قاصرة على المعلم فقط، فالمعلم هو الوسيلة لإيصال هذا العلم، ويحتاج إلى من يساعده في ذلك، ويشد عضده ليقوم بمهمته الجليلة، وإنك أيها الأب، وولي أمر التلميذ أكبر مساعد للمعلم في نجاح مهمته؛ لأن التلميذ ابنك، واثمنت الأستاذ عليه، فعليك بمساعدته؛ وذلك بالاتصال بالمدرسة بين وقت وآخر؛ لتتطلع على أحوال أبنائك، ولتعرف على معلمهم، فأنت قد سلمته فلذات كبذك، وواجب عليك أن تعرف من سلمته هذه الأمانة، هل هم أهل لها وأهل لرعايتها، أم أن الأمر خلاف ذلك؟

أيها الأب: إن كان على المؤسسة التعليمية واجب الإشراف والتوجيه والمتابعة، وإن كان على المعلمين واجب التعليم والتربية والثقيف، فعلى أولياء الأمور التعاون مع السابقين، وعليهم تفقد أولادهم، ومتابعتهم في المدرسة والشارع والبيت؛ لكي تثمر العملية التعليمية المرجوة منها.

وليعلم الجميع أن الله سائل كل راع عما استرعاه مديراً وأستاذاً وولي أمر، حفظ أم ضيع؟ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).^(١)

أيها الطلاب: إن ما سمعتموه من عظم المسؤولية على المعلم وولي الأمر، يستوجب معونتهم في ذلك بالاتجاه إلى الجد والاجتهاد والتحصيل النافع، فتعلموا العلم. روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"^(٢) وعلى الطالب أن يحافظ على وقته، فلا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدد من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة، فإن بقية عمر المؤمن له قيمة عالية غالية، ومن استوى يومه فهو مغبون، وعليك بالصبر والتحمل والمصابرة، فقد قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله

(١) سبق تخريجه أول الخطبة حاشية رقم (١).

(٢) سبق تخريجه عند حديث "العلماء ورثة الأنبياء" من هذه الخطبة.

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
وقال الشافعي ينصح طلابه: "حق على طلبة العلم بلوغ غاية
جهدهم في الاستكثار من العلم، والصبر على كل عارض دون طلبه،
وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله
تعالى في العون".

وإن مما يعين على ذلك الصحبة الطيبة التي شبهها الرسول، ﷺ،
بحامل المسك، فعلى الطالب أن يختار من زملائه أهل الجد والاجتهاد
والحرص، وأهل السلوك المستقيم، فهم خير من يعين على ذلك، قال
الشافعي:

عن المرء لا تسَلَّ وَسَلَّ عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

وعلى الطالب أن يحترم أستاذه ويقدره، فقد كانت هذه سيرة
السلف الصالح، فهذا الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه
مع جلالته وقدره يأخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله
عنه ويقول: "هكذا أمرنا أن نفعل مع علمائنا"، وقال الإمام أحمد بن
حنبل لخلف الأحمر رحمهما الله، وهو أحد علماء اللغة: لا أقعد إلا
بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

ويقال: " إنما ينتفع المتعلم بكلام المعلم إذا كان في المتعلم ثلاث خصال: التواضع، والحرص على التعلم، والتعظيم للعالم؛ فتواضعه ينجح في العلم، وحرصه يستخرج العلم، وتعظيمه يستعطف العالم". فاحرصوا على ذلك، وفقكم الله وسدد خطاكم وجعلكم ذخراً لأنفسكم ولأسركم وللعباد والبلاد.

هذا وصلوا وسلموا على سيدنا ونبينا محمد كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

وأثر ذلك في الحياة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، ولي المؤمنين، امتن علينا بسلوك سبيل الناجين، أحمدته، سبحانه، وأشكره على نعمه حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة من النار يوم الدين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده، ورسوله، أفضل الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم، وسار على نهجهم إلى أن يبعث الله الخلق أجمعين. أما بعد :

عباد الله: اتقوا الله، وآمنوا به يؤتكم كفلين من رحمته، ويجعل لكم نوراً تمشون به، ويغفر لكم بفضله، ومنتته.

أيها المسلمون: عقيدة المسلم تقوم على الإيمان بأركان الإيمان الستة، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وجاء في حديث جبريل المشهور، عندما سأل رسول الله، ﷺ، عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره).^(١)

أيها المسلمون: الركن الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة الكرام، وهذا الإيمان يعني: التصديق بوجودهم، وبأعمالهم التي كلفهم الله بها في هذا الكون، خلقهم الله تعالى، لينفذوا أوامره، ويعبدوه حق عبادته، ويقوموا بالمهام التي أسندها إليهم. ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

والملائكة من عالم الغيب لا يراهم البشر، ولا يعرفون عددهم، ولا كيفيتهم، وخلقهم، ولكن يجب أن يؤمنوا بوجودهم إيماناً جازماً وأنهم خلقوا من نور.

أما صفاتهم التي أخبر الله عنها: فهم من أعظم جنود الله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧] وبين سبحانه شيئاً من مهامهم، وهيئاتهم بقوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحٍ مَشْفَى وَتِلْكَ وَرِثَةُ﴾ [فاطر: ١] فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة، أو أكثر، وقد رأى النبي، ﷺ، جبريل عليه السلام، وله ستمائة جناح.^(٢) وأعطاهم الله سبحانه قوة عظيمة بحيث لو صاح

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن

الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان (٩)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، برقم (٣٢٣٢) عن عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه.

المكلف منهم في الخلق لأهلكهم، كما حدث مع قوم ثمود، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ۝٣١﴾ [القمر: ٣١] وذلك عندما صاح بهم جبريل عليه السلام، فقطعت هذه الصيحة قلوبهم في أجوافهم، ومثل ذلك عندما رفع جبريل بجناحه قوم لوط، وهم في سبع قرى، حتى سمع الملائكة نباح كلابهم، وصياح ديوكهم، ثم قلبها عليهم، ومثله نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ۚ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۝٦٨﴾ (الزمر: ٦٨)

وأعمال الملائكة مختلفة، فمنهم من هو موكل بحمل العرش، وعددهم أربعة، ويزيدون يوم القيامة، فيصIRON ثمانية، ومنهم من يقوم على جهنم، وهم خزنة جهنم، أي: الموكلون بالنار، وتعذيب أهلها، ومنهم من هو موكل بالوحي، وبالأجنة في بطون الأمهات، يأمرهم الله لتمام أربعة أشهر بكتب رزقهم، وأجلهم، وعملهم، وأشقياء، أو سعداء، وبالقطر من السماء، والنبات في الأرض، وبقبض الأرواح، وبحفظ أعمال بني آدم، وكل إنسان معه ملكان موكلان به، ومنهم من هو موكل بضرب وجوه، وأدبار الكافرين عند الموت، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٥]

وملائكة لسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وملائكة يبشرون

المؤمنين بالجنة ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]
وملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون الأول فالأول، فإذا
خرج الإمام طووا الصحف، وجاؤوا يستمعون الذكر^(١)، وما بين موضع
شبر في السماء إلا ملك قائم أو ساجد، فسبحانه من خالق عظيم!
وبأعمال كثيرة لا يعلمها إلا الله.

وأسماءهم منها المعروف المسمى لنا، كجبريل، وميكائيل،
وإسرافيل، ومالك خازن النار، ومنهم من لم يسم لنا، والجميع
﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابٌ مُجِيمٌ﴾ (غافر: ٧)
أيها المسلمون!

يجب على المؤمن أن يؤمن بالملائكة على سبيل الإجمال فيما
أجمل، وعلى سبيل التفصيل، فيما فُضِّل في الكتاب والسنة، وهذا من
أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به.
أيها المسلمون!

والركن الثالث من أركان الإيمان: هو الإيمان بالكتب المنزلة من
عند الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام، ويعني ذلك الإيمان
بأنها أنزلت من عند الله حقاً لا مزية فيه، فيؤمن العبد بذلك إيماناً

(١) رواه البخاري برقم (٣٢١١) ومسلم برقم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة.

إجمالياً، ويؤمن بما سجل فيه تفصيلاً، كالتوراة التي أنزلت على موسى، عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام والزيور الذي أوتيته داود عليه السلام، وآخرها وخاتمها القرآن الكريم الذي أنزل على نبينا محمد، عليه الصلاة والسلام، ويلزم من هذا: الإيمان بها، والتصديق بما أخبرت به مما لم يحرف منها، والعمل بما نسخها كلها، وهو القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤٨] أي حاكماً.

والإيمان بالكتب، ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به، ومن يخالفه فقد عرض نفسه للكفر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديث: ١٣٦].

أيها المسلمون: والكتب السماوية كلها من عند الله تعالى، أنزلت هداية للبشر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وقررت قواعد مشتركة، ومنها مسائل الإيمان، والدعوة إلى العقيدة الصافية، والسلوك الحسن، ومكارم الأخلاق، والحكم بالعدل بين الناس، ومحاربة الشر، والفساد، والانحراف، وجاءت بكثير من العبادات، كالصوم، والحج،

ولكنها تختلف اختلافاً كبيراً في كثير من الشرائع التفصيلية، ومن الإيمان بالكتب، الإيمان بأن القرآن الكريم هو خاتمها، وأشمليها، وأطولها، وأحسنها، والحاكم عليها، فهو الكتاب الذي ختم الله به جميع الكتب، وقد تكفل سبحانه بحفظه، ولا يقبل من أحد سواه، وهو المتعبد بتلاوته، والأمر بالعمل بأوامره، وهو كلام الله المنزل على رسوله، ﷺ، وهو الذي " لا تزيف به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشيع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه " (١).

أيها المسلمون!

ومن مقتضى الإيمان بهذا الكتاب المبين قراءته، وترتيبه، وتأمله، وتدبره، وحفظه، أو حفظ شيء منه، وتصديق أخباره، والإيمان بمحكمه، والوقوف عند متشابهه، والعمل به، والانتفاء عن زواجه، وعبادة الله وفق ما شرع فيه.

أيها المسلمون!

المسلم الحق، هو الذي يراجع آثار الإيمان بملائكة الله وكتبه، وبالقرآن خاصة، فلذلك الإيمان آثار على الفرد، والمجتمع، والأمة.

(١) قطعة من حديث علي بن أبي طالب الذي أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٩٠٦) في كتاب فضائل القرآن. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث الأعور مقال.

فمن آثار الإيمان بالملائكة: أن هذا الإيمان يقرب العبد إلى الله، تعالى، فإذا علم العبد أن عليه ملائكة يحصون أعماله، فذلك معين له على عمل الخير، واجتناب الشر، ولا يظن أنه لا يطلع عليه أحد: ﴿كَرَامًا كَثِيرِينَ ۖ يَكْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) ﴿(الانفطار: ١٠-١٢)﴾، فهم يكتبون كل صغيرة، وكبيرة، ويحصونها على العباد.

ومن آثار الإيمان بالكتب: أنه يقوي إيمان العبد، ويقربه من ربه، ويسير بمقتضاه على صراط مستقيم، لا اضطراب، ولا اعوجاج فيه، وبه يؤدي شكر نعمة الله عليه، ويسلم من الزيغ والانحراف، والتخبط الفكري، والعملية، وبه ينشرح الصدر، ويطمئن القلب، ويفرح بنعمة الله ومنته، مهتدياً بهديه، ويظهر أثر ذلك الإيمان في الآخرة بالنجاة يوم القيامة، ودخول الجنة، وفوق ذلك كله رضا الله، سبحانه وتعالى.

أيها المسلمون!

في تعامل كثير من الناس اليوم مع هذين الركنين العظيمين أخطاء فادحة، فالذين لا يؤمنون بالملائكة ولا بأعمالهم، أو لا يؤمنون بالكتب المنزلة من عند الله، أو يفضلونها على القرآن الكريم، أو يقولون: هي سواء، ولا يعتبرون للقرآن منزلته التي جعلها الله له، أو لا يصدقون بهذا القرآن، أو يتهمون جبريل عليه السلام، أو محمداً ﷺ، في نقصانه، وعدم بيانه، أو يرون تعاليم البشر وقوانينهم مثل تعاليم

القرآن، وتوجيهاته، أو يرون تعاليمه تعالىم بائدة، أو وقتية، أو صلحت
لزمان الرسول، ﷺ، ولا تصلح لزماننا هذا، زمن الطائفة والحاسب
وغيرها أو هو مجرد تراث مقدس للافتخار والتباهي، وليس للعمل به،
ونحو هذه الآراء، فمن اعتقد شيئاً من ذلك، فقد ضل ضلالاً بعيداً،
وكفر كفرأً بواحاً.

أما أولئك الذين لا يقرأونه، ولا يتلونهم حق تلاوته، ولا
يحفظون شيئاً منه، ويتساهلون في تطبيق بعض تعاليمه، ولا يعملون
بتوجيهاته، فهؤلاء على خطر عظيم، ومزلق خطير، فليتنبه هؤلاء
وأولئك ليعيدوا النظر في إيمانهم، وتجديده في نفوسهم، جعلني الله
وإياكم من المؤمنين الصادقين، ونفعني وإياكم بما في القرآن العظيم من
الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر
المؤمنين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أحمده سبحانه وأشكره على نعمه وآلائه، ولو جحدوا الجاحدون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حق وصدق، ولو كفر بها الكافرون، وأشهد أن سيدنا، ونبينا محمداً عبده ورسوله الرسول المجتبي والنبي المصطفى، ولو كذب به المكذبون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ولو سبهم المنحرفون، والتابعين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون!

أما الركن الرابع من أركان الإيمان: الإيمان بأن الله تعالى أنعم على الناس بإرسال رسوله إلى خلقه مبشرين ومنذرين؛ ليدلوهم إلى الحق، ويرشدوهم إلى الهدى، وينيروا لهم الطريق، ويوجهوهم إلى دروب الخير، والرسول: هو كل من أوحى إليه من البشر بشرع، وأمر بتبليغه، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، أرسلهم الله تعالى ليأمروا الناس بعبادة الله وحده، ونبذ كل ما يعبد من دونه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والرسل: بشر مخلوقون، أكرمهم الله تعالى بإرسالهم إلى عباده،
فليس لهم من صفات الربوبية والألوهية شيء، قال تعالى عن نبيه
محمد، ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ
لَاسْتَكْرَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١٨٨]
[الأعراف: ١٨٨] ويعتريهم ما يعتري البشر من الحاجة إلى الطعام
والشراب والمرض والموت، وغيرها، قال تعالى عن إبراهيم عليه
السلام، في وصفه لربه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي
﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجَحِّبُنِي﴾ [الشعراء: ٧٩-٨١].

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم، وخاتمهم وأفضلهم نبينا
محمد، ﷺ، الذي نسخ الله تعالى بشريعته سائر الشرائع، وبدينه سائر
الاديان.

والإيمان بالرسل يعني: الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله
تعالى، فمن كفر برسالة واحدة، فقد كفر بالجميع، ويجب الإيمان بهم
جميعاً إجمالاً، وبمن علمناه تفصيلاً، كأولي العزم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

ومن لوازم الإيمان بهم تصديق ما جاء من أخبارهم، وكذا
العمل بشريعة من أرسل إلينا، وهو محمد، ﷺ، الذي هو خاتم الرسل،
والمرسل إلى جميع الثقليين، الإنس والجن، والعمل بها يقتضي تنفيذ

أوامره، واجتناب نواهيه، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع عليه الصلاة والسلام.

أيها المسلمون!

للإيمان بالرسول ثمرات جليلة من أعلاها: العلم برحمة الله لعباده، حيث امتن عليهم بإرسال هؤلاء الرسل، فيعبدون الله حق عبادته. ومنها: شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، ومنها: تقدير رسل الله، عليهم الصلاة والسلام، وما قاموا به من مهمة البلاغ، وكذا: الاقتداء بهم، واتباعهم، والنهل من ميراثهم النبوي الكريم، ومنها: تحقيق عبودية الله، تعالى، في الأرض، وكذا النجاة من النار، ودخول الجنة.

أيها المسلمون !

إن الذي يضع الرسول فوق منزلتهم، كمن يجعلهم بمنزلة الله تعالى فيجعل لهم حق العبودية، أو كمن يدعوهم بعد موتهم، أو يغالي فيهم، أو يطوف حول أضرحتهم، أو يتوسل إليهم بعد موتهم، فهؤلاء، وأمثالهم خرجوا عن الإيمان بالرسول، وغلوا غلواً يخرجهم من الإيمان بالله.

أما من يعصي أوامره، أو يشكك في أخبارهم، أو لا ينزل على حكمهم، أو يفضل أحكام سائر البشر على أحكامهم، فهؤلاء على خطر

عظيم بحسب ذنبهم الذي اقترفوه، وقد يخرجون به إلى الكفر، أو النفاق، أو إلى كبيرة من كبائر الذنوب.
أيها المسلمون:

لنصح إيماننا برسول الله، ولنعظم حقهم، ونقدرهم حق قدرهم، فلا نغالي فيهم إلى حد الألوهية، ولا نجافي جفاء يجعلنا على خطر من عدم اتباعهم.

وصلوا وسلموا وأكثروا من الصلاة والسلام على رسول الله، ﷺ، المبعوث رحمة للعالمين، ومخرجهم من الظلمات إلى النور، كما أمركم الله تعالى في محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٩٦﴾

الإيمان باليوم الآخر (١)

(نعيم القبر وعذابه)

الخطبة الأولى

الحمد لله نصب الكائنات على ربوبيته ووحدانيته براهين وحججاً، فمن شهد له بالوحدانية وآمن ببلقائه واستعد لمعاده، أفلح، ونجا، أحمدته سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة الحق واليقين، والخوف، والطمع، والمحبة، والرجاء، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه الكتاب ولم يجعل له عوجاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أنوار الهدى، ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما نهار تجلّى، وما ليل سجدى.

أما بعد : عباد الله: اتقوا الله ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، واتقوا الله تنجوا من عذاب الله ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مريم: ٧٢]، واتقوا الله تكونوا الوارثين لجنة الله ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣].
أيها المسلمون:

الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، هذا اليوم العظيم، جاءت الشرائع كلها بتقريره والتأكيد عليه، وبيان أحواله

وأهواله، وكتاب الله تعالى مليء بالآيات القرآنية الدالة عليه، والمرشدة إليه، والمقررة له، والموضحة لما يجري فيه، هذا اليوم يوم مجموع له الناس، وهو يوم مشهود، يوم تتغير فيه حياة الناس: بسننها ومعالمها، ذلك اليوم يوم الدين، وما أدراك ما يوم الدين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

يوم أخبر الله عنه بأبلغ وصف وأتم بيان، وأكثر من ذكره، وأحداثه العظام. اسمعوا ما قاله الله تعالى عنه: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً). [آل عمران: ٣٠]. (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه). [آل عمران: ١٠٦]. (يوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً). [الفرقان: ٢٧]. (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار). [الأحقاف: ٣٥]. (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) [هود: ١٠٥]. (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ويروى الله الواحد القهار). [إبراهيم: ٤٨]. (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم). [النحل: ٨٩] (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون). [النحل: ١١١]. (يوم يدعوكم فتستجيون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً).

[الإسراء: ٥٢]. (يوم ندعو كل أناس بإمامهم). [الإسراء: ٧١]. (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة). [الكهف: ٤٧].
 (يوم ينفخ في الصور ونحشر المعرّمين يومئذ زرقاً) [طه: ١٠٢].
 (يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب) [الأنبياء: ١٠٤].
 (يوم تمور السماء موراً، وتسير الجبال سيراً) [الطور: ٩، ١٠].
 (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) [الفرقان: ٢٥].
 (يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم) [الشعراء: ٨٨، ٨٩].
 (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض) [النمل: ٨٧].
 (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) [المزمل: ١٤].
 (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) [غافر: ١٦].
 (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) [غافر: ٥٢].

(يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون) [الدخان: ٤١].
 (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً). [النبا: ٣٨].
 (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله). [الانفطار: ١٠].
 (يوم يقوم الناس لرب العالمين). [المطففين: ٦].
 (يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة). [البقرة: ٢٥٤].

(اليوم تشخص فيه الأبصار). [إبراهيم : ٤٢].

هذا هو يوم القيامة، كما وصفه رب العزة، والجلال، هذا اليوم تتعالى فيه صيحات الكفار والمنافقين والمضيعين لأنفسهم في هذه الحياة الدنيا، فمن قائل: (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله). [الزمر: ٥٦] ومن قائل: (يا ليتني لم أوت كتابيه). [الحاقة: ٢٥]. (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً). [الفرقان: ٢٨]. (يا ليتني لم أشرك بربي أحداً). [الكهف: ٤٢]. (يا ليتني قدمت لحياتي). [الفجر: ٢٤]. (يا ليتني كنت تراباً). [النبا: ٤٠]. (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا). [الأنعام: ٢٧]. (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا). [الأنبياء: ٩٧]. (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا). [يس: ٥٢]. (يا ويلنا هذا يوم الدين). [الصفات: ٢٠].

وفي هذا اليوم يسعد المؤمنون المطيعون لربهم، وتتوالى تلك البشارات لهم (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور). [فاطر: ٤٣]. (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء). [الزمر: ٧٤]. (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله). [الأعراف: ٣٤]

أيها المسلمون!

يبدأ يوم القيامة بالنسبة للأفراد منذ لحظة، موتهم وسكونهم في قبورهم، فالقبر أول منازل الآخرة، كان الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على القبر بكى حتى تبطل لحيته، فقليل له: تذكر الجنة، والنار، فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إن النبي ﷺ، قال: " إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه" قال: وقال رسول الله ﷺ: (ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه) رواه الترمذي، وابن ماجه (١) .

القبر: تلك الحفرة الضيقة التي لا أنيس فيها ولا جليس، ولا صديق ولا سمير، إلا العمل الصالح أنيس أصحابه في قبورهم، ومزيل وحشتهم في رممهم.

القبر: موطن العظماء والحقراء، والحكماء والسفهاء، ومنزل الصالحين السعداء والطلالين الأشقياء، السكون يرفرف على فضائه، والرهبة تنتشر بين أجوائه.

القبر باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد القبر ما الدار
الدار دار نعيم إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في فظاعة القبر (٢٣٠٨) وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (٤٢٦٧) وأحمد ١/٦٤.

وقد ورد أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وأنه ينادي: (ويحك يا ابن آدم، ما عذك؟ ألم تعلم أنني بيت الظلمة، وبيت الغربة، وبيت الوحدة، وبيت الدود؟) ^(١).

هذه القبور: ظواهرها من التراب والحجارة مبنيات، وفي بواطنها الدواهي البليات، تغلي بالحسرات، كما تغلي القدور بما فيها، وقد حيل بين من فيها، وبين شهواتهم وأمانيتهم.

أيها المسلمون! في القبر السؤال والمناقشة، والتوفيق والتثبيت، إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، كما سبق ذلك في الحديث الصحيح.

إن عذاب القبر، ونعيمه هو عذاب البرزخ ونييمه، هو ما بين الدنيا والآخرة، فالمصلوب والغريق، والحريق، وأكيل السباع والطيور، والحيتان له قسطه من عذاب البرزخ، أو نعيمه، حتى لو علق العاصي على رؤوس الأشجار في مهاب الريح، لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه، نعتقد ذلك ونؤمن به، ولا نبحت في كفيته، إذ لا سبيل للعقل في كيفية ذلك، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ﴾ [غافر: ٤٦]. وقال تعالى ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [النسجدة

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حديث أكثرها من ذكر هادم اللذات (٢٤٦٠).

: [٢١] روى الإمام مسلم أن النبي ﷺ، دخل حائطاً من حيطان بني النجار، فسمع صوتاً من قبر، فسأل عنه: "متى دفن هذا؟" فقالوا: يا رسول الله، دفن هذا في الجاهلية، فأعجبه ذلك، وقال: "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله، عز وجل، أن يسمعكم عذاب القبر" (١)

أيها المسلمون! في القبر يسأل المرء عن أمور ثلاثة: عن ربه، ودينه، ونبيه، فالمسلم يجيب إجابة صريحة: ربي الله، وديني الإسلام، ونببي محمد، ﷺ، فيقال: صدقت، أما الكافر والمنافق فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه.

هذه فتنة القبر، فتعوذوا بالله من عذاب القبر، وأول منازل الآخرة، فأعدوا لهذا المنزل مقامه.

اللهم أعذنا من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة، (٢٨٦٧، ٢٨٦٨) والنسائي، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر (٢٠٦٠) وأحمد ١٠٣/٣، ١١١، ١١٤.

الخطبة الثانية

الحمد لله تفرد بكل كمال، وتفضل على عباده بجزيل النوال، له الحمد في الأولى، والآخرة، وله المآل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدس عن الأشباه والأمثال، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث بكريم الصفات وجميل الخصال، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المصير والمآل.

أما بعد : أيها المسلمون! قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (ينعم المؤمن في البرزخ على حسب أعماله، ويعذب الفاجر فيه على حسب أعماله، ويختص كل عضو بعذاب يليق بجناية ذلك العضو. فتقرض شفاه المغتابين الذين يمزقون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم بمقاريض من نار، وتسبح بطون أكلة الربا بالحجارة، ويسبحون في أنهار من دم، كما يسبحون في الكسب الخبيث، وتُرض رؤوس النائمين عن الصلاة المكتوبة بالحجر العظيم، ويشق شوق الكذاب الكذبة العظيمة بكلايب الحديد إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينية إلى قفاه، كما شقت كلمته النواحي، وتعلق النساء الزواني بثديهن، وتحبس الزناة، والزواني في التنور المحمى عليه، فيعذب محل المعصية منهم).

أيها المسلمون:

القبر منزل لا بد نازله، قد ترتحل إليه بعد لحظات، أو سويحات أو سنوات، ولا يشك مسلم أن ذلك لا محالة آت، هذه حقيقة أذابتها شمس المادية الملتهبة، وحب الدنيا الطاغي، وأطاحت بها أعاصير زينة الحياة .

القبر: واعظ صامت، لا يملك العبارات المنمقة، ولا يعرف نظم الشعر ولغته، وإنما يعرف لغة أشد تأثيراً من كل أنواعها، ومنظراً أعمق من كل عبارات الوعاظ، وللتراب الصامت صوت لا يسمعه، ولا يعي مدلوله إلا من وقف أمامه يتأمله ، وهو يضم بين جنباته الوالد والولد، الصديق، والغريب، والقريب الحبيب.. والأم والزوجة والبنت والأخت، يضم جثثاً هامدة لا حراك بها، ولا نفس في عروقها، يضم الأجسام البالية، والعظام النخرة، والأشلاء المبعثرة، والأوصال المقطعة.

أتيت القبور فناديتها	فأين المعظم والمحتقر؟
تفانوا جميعاً فما مخبر	وماتوا جميعاً ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى	فتلفي محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا	أمالك فيمن مضى معتبر

للقبر عظة أيما عظة، كان عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، تعالى، إذا نظر إلى القبور بكى، ثم قال: "هذه قبور آبائي، كأنهم لم يشاركوا

أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم
المثلات، واستحكم فيهم البلى، وأصابتهم الهموم في أبدانهم".
أيها المسلمون!

منظر القبر يرقق القلب، ويدمع العين، ويزهد في الدنيا، ويرغب
في الآخرة، يذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات، ويورث العظة
والاعتبار، يجعل العبد يتيقظ من غفلته، وينسلخ من أحضان أحلامه
وشهواته، إن ساعة من الزمن تعيشها النفس أمام المقابر، تطل على
حاضرها، وتبكي على الظلم من صفحات غابرها، وترسل بين
الأحداث المبعثرة أناتها، تتساءل عن وفاة صديق أو قريب، تذيع على
الدنيا العبر، وتتذكر تاريخ من غبر.

القبر: نعم الواعظ يعظ الأحياء بصمت، ليذكرهم بالمآل الذي لا
بد منه، فيدفعهم ذلك إلى زيادة الاستعداد ليوم المعاد (زوروا القبور فإنها
تذكر الآخرة)^(١).

نعم هو الدواء لمن قسا قلبه، ولزم ذنبه، وطال أمد غفلته، فليس
الخبر كالعيان.

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز (٩٧٦) والنسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك
(٢٠٣٤) وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور (١٥٦٩) وأحمد ٣/٣٨.

أين المتأخرون عن الصلاة، والعاكفون على الشهوات، والعاثون بالملهيات؟ أين التاركون للزكاة؟ أين من غرتهم الدنيا، فطال عليهم الأمد وقست قلوبهم؟ أين المتعاملون بالربا، وأكلة أموال الناس بالباطل؟ أين المضيعون لأماناتهم ومسؤولياتهم وأسرهم؟ أين الواقفون حرباً على الإسلام وأهله؟ الصادون عن دينه، أليس لهم في القبر معتبر؟ بلى إنه من أبلغ العلم والخبر، أين المراءون بأعمالهم، المفتخرون بأحسابهم وأنسابهم؟ أين اليد الظالمة، واللسان الكذوب، والعين الخائنة؟

أين القلب القاسي، والعقل اللاهي؟ أين هؤلاء من أولئك غداً من سؤال منكر، ونكير، وعندما يحاسب الإنسان على الدرهم والقطمير، نسأل الله الثبات فنقول : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وصلوا وسلموا على رسول الله البشير النذير، وحجة الله على العالمين، اللهم احشرنا تحت لوائه، ونجنا من عذاب القبر ولأوائه، يا نعم المولى، ونعم النصير. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾

الإيمان باليوم الآخر (٢) البعث والنشور والعرض والحساب والصراط الخطبة الأولى

الحمد لله دل على وحدانيته، وألوهيته بالبراهين والحجج،
أحمدته سبحانه، وأشكره وأسأله المزيد من فضله، بيده مفاتيح الفرج،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما جعل علينا في الدين من
حرج، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله هو المفدى بالنفوس
وبالمهج، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن
تبعهم، واقتفى أثرهم وسار على المنهج.

أما بعد: عباد الله ﴿ أَتَقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].
أيها المسلمون،

مراحل السير إلى الدار الآخرة مراحل يتبع بعضها بعضاً، تبدأ
بانتقال الإنسان من هذه الدار، ووضعها في قبره، ثم ما يلاقي فيه من
نعيم أو عذاب بحسب أعماله في هذه الحياة. بالتفصيل الذي ذكرناه في
خطبة سابقة، والمرحلة الثانية، هي تلك المرحلة العظيمة، والموقف
الرهيب، إنها مرحلة البعث والنشور، والخروج من الأجداث والقبور،

والوقوف بين يدي الكبير المتعال للحساب والجزاء وعرض الأعمال، ثم المصير، إما إلى جنة، وإما إلى نار ﴿فَمَنْ ذُخِرَ عَنِ التَّكْوَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].
أيها المسلمون!

يوم البعث يكون عند النفخ في الصور، عندما ينفخ إسرافيل نفخاته الثلاث، نفخة الفزع، والتي يكون فيها اضطراب العالم وفساد نظامه، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]. ونفخة الصعق فيها هلاك كل شيء في هذا العالم، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. ونفخة البعث، والنشور حيث يقوم الناس من قبورهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. يقوم الناس من قبورهم متوجهين إلى المحشر حفاة عراة غرلاً بهماً. وهذا يوم عصيب، وموقف رهيب، يوم البعث يوم مشهود، تعددت أسماؤه لعظم أهواله وأعماله، فهو يوم الحشر والنشور، ويوم الفصل، والقيامة، ويوم الدين والحساب، ويوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، حين تحقق الحاقة، وتقع الواقعة، والقارعة، وتجيء الصاخة والطامة، يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمة، ذلك يوم الخروج، يوم تبلى السرائر، وتتكشف خبيئات

الضمائر ﴿إِنَّ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]، يوم ترجعون فيه إلى الله، يوم ينفخ في الصور، فتأتون أفواجا، حفاة عراة غرلاً، في موقف يذيب هوله الأكباد، تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، يجمع الله بين كل عامل وعمله، وبين كل نبي وأمه، ومظلوم وظلمته، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [١٧] غافر: ١٧.

الأبصار خاشعة، والشمس من الرؤوس دانية، قد علا أهل الموقف العرق، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، أهواله شداد، أحواله عظام، تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فالسمااء فرجت وكشطت وانشقت، وفتحت فكانت أبواباً، والشمس كورت، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر، والنجوم انطمست وانكدرت وانتثرت، أما الأرض، فسجرت بحارها تسجيراً، ودكت جبالها دكاً، ونسفت نسفاً، وسيرت فكانت سراباً، وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت أثقالها، وحدثت أخبارها، وألقت ما فيها وتخلت.

أيها المسلمون!

هذا هو يوم البعث، والنشور، يوم تدنو الشمس من الخلائق حتى تكون منهم بقدر ميل، ويلجمهم العرق، فيكون منهم على قدر أعمالهم، والصفوة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فيبحث الناس عمن يخلصهم من هذا الموقف، فيتشفعون بالأنبياء والرسل من أولي العزم، وكلهم يعتذر لهول الموقف، حتى يشفع فيهم نبينا محمد، ﷺ، وهذه هي الشفاعة العظمى، فيكون بعد ذلك العرض والحساب، عرض الخلائق على الله، سبحانه، ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

ويتم الحساب، فيعرف الله سبحانه الخلائق على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فيذكرهم ما نسوه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وفي هذا الموقف تنشر الصحف، ويسأل الرسل وأمتهم جميعاً ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] لكن سؤال المؤمنين الصادقين العاملين يختلف عن سؤال الكفار والمنافقين، فالمؤمنون تعرض عليهم ذنوبهم، ويقرون بها ويؤسرون، ففي الصحيح عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي، ﷺ، قال: "يذني المؤمن يوم القيامة من ربه، عز وجل، حتى يضع عليه كنفه- أي ستره- فيقرره

بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: إي ربي أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم" (١).

ومن المؤمنين وهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

أما الكفار والمنافقون، فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته، وسيئاته؛ لأنه لا حسنات لهم ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] لكن حسابهم عرض أعمالهم، وتوبيخهم عليها. وفي ذلك الموقف ينصب الميزان لوزن أعمال العباد، وتميزها، وإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْ بِهَا حَسِيرًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبًا ۖ أَتَىٰ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۚ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ۚ نَارُ حَامِيَةٍ ۚ ﴾ [القارعة: ٦-١١] وبعد الانتهاء من

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء، وغيرهم (٧٥١٤) ومسلم في كتاب الإيمان، (٢٧٦٨) عن ابن عمر، وأحمد ١٠٥/٢ برقم (٥٨٠٩) من حديث عبدالله بن عمر.

الحساب، والميزان يأخذ كل كتابه، ويقرأ ما فيه ، فأخذ كتابه بيمينه،
وأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا
كِتَابِي ﴾ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٢٠) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿ قُطُوفُهَا
دَانِيَةٌ ﴾ (٢١) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ ﴾ (٢٢) وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ
يَلَيِّنَنِي لَمْ أَتُوتْ كِتَابِي ﴿ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي ﴾ (٢٣) يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴾ (٢٤)
هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿ [الحاقة : ١٩-٢٩].

أيها المسلمون!

وبعد تناول الكتاب، وتطير الصحف يمر الناس من على
الصراط، وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الأولون والآخرون، فمن
جازه سلم من النار، ومن لم يجزه سقط فيها، والعياذ بالله، قال تعالى:
﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ثُمَّ نَحْيِ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ
فِيهَا جِثًّا ﴿ [مريم: ٧١، ٧٢].

وروى مسلم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن رسول
الله ﷺ، قال: " .. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة،
ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله! وما الجسر" قال: "دحض
مزلة، فيه خطاطيف وكلايب، وحسك تكون بنجد فيها شويكة، يقال
لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح،
وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش،

ومكدوس في نار جهنم".^(١)

وبعد عبور المؤمنين على الصراط، ونجاتهم من النار، وقبل دخولهم الجنة، يقفون على قنطرة بين الجنة فيقتص بعضهم من بعض في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا، فإذا ذهبوا أذن لهم بدخول الجنة.

وحينئذ يحشر المتقون إلى الرحمن وفداً، فنعم الموفد ونعم الوافدون، ويساق المجرمون إلى جهنم ورداً، ظمأى وعطشى يتمثل لهم السراب كالماء، وما هو إلا الحر والسعير، والنار والزفير، فاتقوا الله عباد الله، وأعدوا العدة ليوم العرض والحساب، وقراءة الكتاب، وجواز الصراط، وأثقال الميزان، فالساعة آتية لا ريب فيها لا تأتيكم إلا بغتة، ولا يجليها لوقتها إلا الله، جل في علاه، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) [القيامة: ٢٢، ٢٣] (٧٤٤٠) ومسلم، كتاب الإيمان، (١٨٣).

الخطبة الثانية

الحمد لله رفع قدر أولي العلم، والإيمان، فلم يغتروا بهذه الدار، جدوا وأخلصوا وأيقنوا أن الآخرة هي دار القرار، أحمدته سبحانه وأشكره على خيره المدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار، صلى الله وسلم، وبارك عليه، وعلى آله وصحبه المهاجرين، والأنصار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : اتقوا الله عباد الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

أيها المسلمون:

لقد وقف كفار الماضي والحاضر وزنادقة الأمس واليوم من البعث وما بعده موقف المنكر المستهزئ. ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ما من شيء في دعوة رسل الله إلا استبعده الكفار، وأنكرته الملاحدة، واستهزأت به الزنادقة ولم يكن إنكارهم أشد من إنكارهم لليوم الآخر، فتراهم أجيالاً من بعد أجيال من أمم الكفر والإلحاد ينكرونه ويستبعدونه، ولقد سجل القرآن الكريم افتراءهم العظيم وإفكهم المبين: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظْماً أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ ﴿ هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ [٣٩] إِنْ هِيَ إِلَّا

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٥-٣٨] ويأتي آخر ليرفع عقيرته متسائلاً: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] ويتولى القرآن الرد والبرهان: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٧٩-٨٢].

أيها المسلمون ! إن الذين لا يؤمنون بالآخرة، والذين يكذبون بيوم الدين يعيشون في بؤس وشقاء، لا أمل لهم ولا رجاء، لا يرجون عدلاً في الجزاء، ولا عوضاً عما يلاقون في الدنيا من عناء.

الذي لا يؤمن بيوم الحساب، لا يعدو نظره حياة الدنيا القصيرة القاصرة في حدود أرضه الضيقة، ومسافة عمره القصيرة، فهو من ضيق إلى ضيق، ومن بؤس إلى مسكنة، لقد ضلوا وأضلوا، وما ضلوا إلا بما نسوا يوم الحساب، وما اجتروا على محرمات الله، وأفسدوا في أرض الله، وما ظلموا وتظالموا إلا لأنهم لا يرجون حساباً.

لم يتركوا الصلاة ويلهوا في متع الحياة، ولم يخرجوا الزكاة ويقتربوا معاصي الله، إلا أنهم لم يصدقوا بيوم الدين.

أما المصدقون بهذا اليوم، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون استعانوا على الحق والتوحيد، ونبذوا الشرك وأصلحوا أعمالهم،

وأخلصوا لربهم ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
[الكهف: ١١٠].

يحملهم إيمانهم باليوم الآخر على الصبر والتحمل، والبذل والإحسان، لا يتغنون من أحد غير الله جزاءً ولا شكوراً.
ما ثبتت أقدام المجاهدين في سبيل الله، وما استمر الدعاة إلى الله، والأمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، وما حافظ المحافظون على طاعة الله، وانزجروا عن المعاصي في حق الله وحق عباد الله إلا بمقدار إيمانهم بالله، وتصديقهم بعظم جزاء الله.
أيها المسلمون:

ورب السماء والأرض لُتُخْرِجُونَ من قبوركم، ولتحشرون إلى ربكم، ولتحاسبون على أعمالكم، ولتجزون بما كنتم تعملون، لتجزون عن القليل والكثير، والنقير والقطمير، وذلك على الله يسير، فأعدوا العدة لهذا اليوم، فهو آت لا محالة، وعن قريب كائن لا مفر منه، وصلوا وسلموا على البشير النذير. الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الإيمان باليوم الآخر (٣)

(نعيم الجنة وعذاب النار)

الخطبة الأولى

الحمد لله، وكفى، أحمده سبحانه وأشكره، وأسبحه وأقدسّه، لم يزل بنعوت الجلال والكمال متصفاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مقراً بوحدانيته ومعترفاً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبي المجتبي والرسول المصطفى وأزكاها فضلاً وشرفاً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى أصحابه السادة الحنفاء، أهل البر والصدق والوفاء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم، واقتفى.

أما بعد : فاتقوا الله عباد الله، اتقوه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

أيها المسلمون! في اليوم الآخر، عندما يجاوز الناس الصراط، ويقفون في قنطرة قبل دخول الجنة، ليقتنص بعضهم من بعض في مظالمهم، يقول أبو العتاهية:

ولو أنا إذا متنا تركنا	لكان الموت غاية كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا	ونسأل بعده عن كل شي

بعد ذلك يدخل الجنة المؤمنون، فيحشر المتقون إلى الرحمن وفداً، ويساقون إلى الجنة زمراً، لقد وجدوا ما وعدهم ربهم حقاً، رضي عنهم ورضوا عنه، ناداهم عز جلاله : ﴿ بَنِعْبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٠]، أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيّاً ﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) [يونس: ١٠] يناديهم المنادي: لكم النعيم سرمداً، تحيون ولا تموتون أبداً، وتنعمون ولا تبأسون أبداً، يحل رضوان ربكم فلا يسخط أبداً، جنات عدن يدخلونها، غرفاتها من أصناف الجواهر كله، يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، فيها من النعيم، واللذائذ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [السجدة: ١٧]، ﴿ وَفِيهَا مَا شَتَّىٰ هِيَ الْأَنْفُسُ وَلَكِنَّ الْأَعْيُنَ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١].

رياضها مجمع المتحابين، وحدائقها نزهة المشتاقين، وخيامها اللؤلؤية على شواطئ أنهارها بهجة للناظرين، عرش الرحمن سقفها،

والمسك، والزعفران تربتها، اللؤلؤ والياقوت والجوهر حصاؤها،
والذهب والفضة لبناتها ﴿عُرْفٌ مِّن فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
[الزمر: ٢٠] عاليات الدرجات في عاليات المقامات، بهجة المتاع، قصر
مشيد، وأنوار تتلألاً، وسندس وإستبرق، وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا
ممنوعة، وفرش مرفوعة، هم فيها على الأرائك متكئون، ظلها ممدود،
وطيرها غير محدود، فاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون،
قطوفها دانية للأكلين، وطعمها لذة للطاعمين، قد ذلت قطوفها تذليلاً،
فيها أزواج مطهرة، خيرات حسان الوجوه، جمعن الجمال الظاهر
والباطن من جميع الوجوه، في الخيام مقصورات، وللطرف قاصرات،
تقصر عن حسنهن عيون الواصفين ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ (٣٧) ﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ﴾ (٣٨) ﴿
[الواقعة: ٣٧، ٣٨] لا يفنى شبابها، ولا يبلى جمالها ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِشْسُ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦، ٧٤] لو اطلعت إحداهن على الدنيا
لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً وعطراً وشذى، ولطمست ضوء
الشمس، كما تطمس الشمس ما في النجوم من ضياء، حور عين،
راضيات لا يسخطن أبداً، ناعمات لا يبأسن أبداً، خالدات لا يزُلن أبداً،
أصحاب الجنة يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين، ويحلون من
أساور من ذهب ولؤلؤا ﴿وَسَقَنَّهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] نزع
من قلوبهم الغل، وطرد عنهم الحزن والهم، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

الْحَزَنُ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَلْهَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] هدوء ورضى يغمره السلام، والاطمئنان والود والأمان، يبلغهم ربهم السلام (سلام قولاً من رب رحيم) [يس: ٥٨] والملائكة يدخلون عليهم من كل باب بالسلام ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢١﴾ [الرعد: ٢٤] وخزنة الجنة يحيونهم بالسلام ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٨٣].

وفي الجنة: يأتلف شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]
وفي الجنة: الحسنى وزيادة، فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة إن ربكم، تبارك وتعالى يستزيركم - أي يطلب زيارتكم - فحي على الزيارة، فينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت، حتى إذا انتهى إلى الوادي الأفيح، نصبت لهم منابر من نور ولؤلؤ وزبرجد، سلام عليكم: (تحيتهم يوم يلقونه سلام) [الأحزاب: ٤٤] يا أهل الجنة! هذا يوم المزيد، ثم يكشف الرب الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من النور ما يغشاهم.

فيا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى الوجه الكريم في الدار الآخرة،
ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَفْهَمُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

أيها المسلمون!

أما الكفار، والمنافقون، ففي نار جهنم خالدون، النار: حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، يهوي الحجر من شفيرها سبعين خريفاً ما يدرك قعرها، مسالكها ضيقة، ومواردها مهلكة، يوقد فيها السعير، ويعلو فيها الشهيق والزفير، أبوابها مؤصدة، وعمدها ممددة، يرجع إليها غمها، ويزداد فيها حرها، هي غضب الجبار، وزجره وسخطه ونقمته، جثت الأمم على الركب، وتبين للظالمين سوء المنقلب، انطلق المكذبون إلى ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل، ولا يغني من اللهب، وأحاطت بهم نار ذات لهب، سمعوا الزفير والجرجرة، وعابنوا التغيط والزمجرة، ونادتهم الزبانية ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتًوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] الهاوية تجمعهم، والزبانية تقمعهم، في مضايقتهم يتجلجلون، وفي دركاتهما يتحطمون، ترى المجرمين مقرنين في الأصفاد، سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، الأغلال في أعناقهم، وبالسلاسل يسحبون، وبالنواصي والأقدام يؤخذون، وفي الحميم ثم في النار يسجرون، يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، مقامع فوق رؤوسهم، تكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] طعامهم الزقوم والضريع، لا يسمن ولا يغني من

جوع، شرابهم الحميم والغساق والماء الصديد، يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء، ويملاً البطون، ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بِدَلَّتُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] يتمنون الموت، والهلاك، ولكن أين المفر؟ ومتى الفكاك؟ ﴿وَنَادَا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّنْكَوْتُونَ﴾ [٧٧] ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [٧٨] [الزخرف: ٧٧-٧٨] ثم يعلو شهيقهم، ويزداد زفيرهم، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، فيعظم بأسهم، ويرجعون إلى أنفسهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] نعوذ بالله من غضبه، وأليم عقابه وعذابه.

أيها المسلمون!

هذه حال الناس في دار القرار، إما إلى الجنة وإما إلى النار، هذا هو المصير والمآل، فأعدوا العدة، وتزودوا لهذه الدار، ولينظر كل إلى عمله، ويطالع صحيفته ويحاسب نفسه، واتقوا النار التي أعدت للكافرين، واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه، وأقول قولي هذا،
وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رضي من عباده اليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وخص من شاء بهدايته وتوفيقه، فمنه النعمة وله الفضل، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الجللى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مؤمن بمقتضاها قولاً وعملاً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله رحمة للعالمين، وقدوة السامعين، وحجة السالكين، لا نبتغي إلى السعادة بغير طريقه أملاً صلى الله وسلم، وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم وسار على طريقهم قولاً وفعلاً.

أما بعد : عباد الله : فاتقوا الله رحمكم الله، وبادروا، وشمروا، واعملوا، وأحسنوا، وأبشروا.

أيها المسلمون!

أصحاب الجنة: لهم صفات يعرفون بها، وسمات يتصفون بها، تردد ذكرهم في القرآن والسنة، قال الله عنهم : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَٰكِن مَّا يَهْتَفُونَ بِهَا ﴾ [الذاريات: ١٧] - [١٩]، وجاء في السنة: يصلون بالليل والناس نيام، ويصومون وغيرهم يأكل، وينفقون وغيرهم يبخل، ويقاتلون وغيرهم يتقاعس ويجنب، أولئك هم عباد الله حفظوا وصية الله، وراعوا عهده بربهم يؤمنون، ولا

يشركون، وهم من خشيته مشفقون، استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا سرّاً وعلانية، يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلّة، يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون، عن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون، كثر استغفارهم فحطت خطاياهم، وكلّ ما طلبوا من ربهم أعطاهم، فسبحان من اختارهم، واصطفاهم، أقوام يقطرون نراهة، أفئدتهم مثل أفئدة الطير، فيهم من لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، متحابون في جلال الله، فيهم صاحب القرآن يقرأ ويرتل ويرتقي، وفيهم من ترك المراء ولو كان محقاً، وترك الكذب ولو كان مازحاً، وبيت في الجنة لمن حسن خلقه يكظم غيظه، ويعفو عن الناس، والله يحب المحسنين، فيهم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام، خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، جنة ربي لكل أبواب حفيظ، من خشي الرحمن بالغيب، وجاء بقلب منيب، يخافون من ربهم يوماً عبوساً قمطيراً، فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً.

أيها المسلمون!

هؤلاء أهل الجنة، وتلك سماتهم وعلاماتهم، ألا هل من مشمر إلى الجنة؟ قولوا كما قال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن المشمرون إن شاء

الله. (١)

أما أصحاب النار- والعياذ بالله- فموجود فيها كل شرك ومشاركة، فويل لهم، وويل لكل خبيث وخبيثة، ممن طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا، ولم يؤمن بيوم الحساب ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ فَمٍ حُلَاًفٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠) هَازِمْ شَاءِ نَبِيمٍ ﴿مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيرِ﴾ (١٢) عُنْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿[القلم: ١٠-١٣].

النار موجود بها كل مدمن للخمر، وقاطع للرحم، والمصدق بالسحر، والمتمان والنمام، موجود بها الذين يكتزون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله.

ومن أشد الناس عذاباً طائفتان: المصورون الذين يضاهئون خلق الله، والذين يعذبون الناس في الدنيا.

(١) فقد أخرج ابن حبان في صحيحه برقم (٧٢٦٧) عن أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: " ألا هل مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطّرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبداً، في حيرة ونضرة، في دار عالية، سليمة بهية، قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: قولوا: إن شاء الله. ثم ذكر الجهاد، وحض عليه.

وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٣٣٢) عن أسامة.

موعود بها من اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة، والذي يشرب في آنية الذهب والفضة، وإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، والذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً.

أيها المسلمون: ويل، ثم ويل لأكلة الربا، ويل لهم، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، وصنفان من أهل النار: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، والكاسيات العاريات المائلات المميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، والمكر والخداع في النار، والفجور يهدي إلى النار، وشر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه، وويل للذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

فاتقوا النار عباد الله! وتعوذوا من النار، واعملوا للنجاة من النار، فهذه صفات أهل النار.

أيها المسلمون: هذا المقر في الآخرة: الجنة أو النار، فكل ينظر في عمله، ويغتني ساعات عمره، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويزن أعماله قبل أن توزن، اللهم أجربنا من النار، اللهم أجربنا من النار، اللهم أجربنا من النار.

وصلوا وسلموا على البشير النذير كما أمركم الله في محكم
 كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الإيمان بالقضاء والقدر

الخطبة الأولى

الحمد لله الرؤوف الرحيم، العليم الحكيم، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأحكم شرائعه ببالغ حكمته بياناً للخلق وتبصيراً، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه السابعة، ونعمه المتتالية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي النفوس المؤمنة، والأفئدة الموقنة، والقلوب المطمئنة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله :

اتقوا الله، تعالى، فإن تقواه أمان عند الفزع، ونجاة عند الهلكة، ومخرجة من النار، والمتقون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أيها المسلمون:

تعرفنا في جُمعٍ سالفة على أركان الإيمان الستة المجموعة في بيان رسول الله، ﷺ، لجبريل بقوله: "والإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته،

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره".^(١)

فتعرضنا بشيء من التفصيل للأركان الخمسة الأولى، ونكمل بيان السادس في هذا اليوم المبارك.

هذا الركن: آمن به أقوام فسلمت حياتهم، واطمأنت قلوبهم، وارتاحت ضمائرهم، وعلت هممهم، فنالوا حسنة الدنيا والآخرة، وضلَّ فيه أقوام فتخبطوا في ظلمات التيه والضللال، واستولت عليهم الحيرة، وعلت عقولهم الشكوك والأوهام، ووقعوا في اضطراب وعدم استقرار، سئموا من هذه الدنيا، ولا يدرون إلى أين هم صائرون؟ لم يسعدهم المال ولا الشرف ولا الجاه، يحزنهم المرض، وتقلقهم المصائب، وتفزعهم قلة ذات اليد، يعلوهم الهم والحزن عند كل حادث، فلا يجدون له تفسيراً، ولم يعرفوا له حكمة وتقديراً، هذا الركن - أيها المسلمون - الذي أقسم الناس فيه إلى قسمين هو الإيمان بالقضاء، والقدر.

والقدر: هو تقدير الله سبحانه وتعالى للكائنات كلها حسبما سبق به علمه، وما اقتضته حكمته، سئل الإمام أحمد رحمه الله عن القدر،

(١) جزء من حديث جبريل، رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي، ﷺ، عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان، والإسلام، والإحسان (٩).

قال: القدر: قدرة الله تعالى. والمسلم يجب أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومرّه، ويعني هذا الإيمان: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً، وأنه كتب المقادير كلها في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] وكذا الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئته، تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] والإيمان كذلك بأن جميع الكائنات مخلوقة لله، سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] ويتضمن الإيمان بالقضاء والقدر العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وعليه فكل ما يحصل في هذا الكون، مما ظاهره خير أو شر، سعادة أو شقاء، صحة، أو مرض، غنى أو فقر، سلم أو حرب، وما يحصل لهذا الإنسان، كل ذلك بقضاء الله وقدره، وهكذا يجب أن يؤمن المؤمن، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] هذا هو الأصل الذي يجب الإيمان به واعتقاده.

أيها المسلمون! إن الإيمان بقضاء الله وقدره لا ينافي أن يكون للعبد مشيئته في أفعاله، فالله سبحانه وتعالى قد جعل له مشيئة، ولكنها

تحت مشيئة الله، ولذا فلم يكلفه ما لا يستطيع في هذه الحياة، ولن يحاسب إلا ما كان داخلاً تحت استطاعته وقدرته، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وهذا - أعني مشيئة العبد الذاتية - ما يحس كل إنسان بنفسه، أي: أنه يشاء، ويختار.

والإيمان بالقضاء والقدر لا يعني أن تتخذ حجة بترك الأعمال الصالحة، أو فعل المعاصي والسيئات، وهذا احتجاج البطالين الكسالى الذين يرمون عجز أنفسهم، وكسلهم على قضاء الله وأقداره وبيان هذا أن الله سبحانه، وتعالى بين الطريق المستقيم، وحث عليه، وأمر به، وأرسل الرسل للدلالة عليه، وحثر من المعاصي وارتكابها، وهذا البطال الكسلان يقول: أنا أرتكبها بقدر الله تعالى وأنا لا أصلي بقدر الله، تعالى، ولا أدفع زكاة مالي بقدر الله، تعالى، وأقترف الأعمال السيئة بقدر الله، تعالى، وأستعمل المحرمات بقدر الله تعالى، وهذا كله من الدعاوي الباطلة، وهي غاية في الفساد والبطلان، إذ يقال له: لِمَ لا ترمي نفسك بالنار؟ ويكون بقدر الله، تعالى، وَلِمَ تشرب الدواء حال مرضك؟ وَلِمَ تأكل الطعام حال جوعك؟ وَلِمَ تشرب الماء حال عطشك؟ لِمَ لا تقول: إن ذلك بقدر الله تعالى؟ فحرصك على أمور دينك ليست بأقل أهمية من حرصك على أمور دنياك، فلا تحتج على

أمر دينك بالقدر، روى الشيخان عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن النبي، ﷺ قال: " ما منكم من أحد إلا قد كُتِبَ مقعده من النار أو من الجنة، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ ٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ ٨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ ٩ ﴾ [الليل: ٥-١٠] ^(١) فالنبي، ﷺ، أمر بالعمل، ونهى عن القعود والكسل والالتكال.

أيها المسلمون! والإيمان بالقضاء والقدر، لا يعني ترك فعل الأسباب أو القعود، فمن المعلوم أن الله سبحانه هو الذي يقدر المقادير كلها، وتتم وفق تقديره سبحانه، ولكن من حكمته سبحانه، أن جعل لكل نتيجة ثمرة وسبباً، فمن أراد النسل فلا بد من الزواج، ومن أراد الرزق فعليه بالعمل والجهد، ومن أراد النجاح في الامتحان فلا بد من المذاكرة، والمراجعة. ومباشرة الأسباب، وفعلها عزم وجد، وتركها قعود وتخاذل، قال أحد العلماء (وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه

(١) الحديث رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (فأما من أعطى واتقى) (٤٩٤٩) ومسلم، كتاب القدر، (٢٦٤٧).

مكروه، ومنه محرم، وقد كان النبي ﷺ، أفضل المتوكلين، ومع ذلك
يلبس لائمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب) ا.هـ.
فاحذر أيها المسلم! من ترك فعل الأسباب، أو من الاعتماد على
الأسباب بالكلية، فطرفا قصد الأمر ذميم، والمشروع التوكل على الله في
كل شيء، ثم مباشرة الأسباب المشروعة، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه
وسنة نبيه. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر
المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الم محمود على كل حال، فإليه المرجع والمآب في جميع الأحوال، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى الصالحين والآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المصير، والمآل.

أما بعد : أيها المسلمون: إن الإيمان بالقضاء، والقدر على الصفة المذكورة فيما سبق يورث في العبد آثاراً حسنة، ويمنحه ثمراتٍ جليلةً تعود عليه في الدنيا والآخرة، ومن ذلكم أن يكون محققاً لهذا الإيمان العظيم، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه عند الموت: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك وقد قال عليه الصلاة والسلام لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف" ^(١).

(١) رواه الترمذي ، كتاب صفة القيامة (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا
وانعم بطول سلامة تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيئ وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط لك في عواقبه رضى
الله يفعل ما يشاء فلا تكن معترضا

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري على العبد من أقدار، فلا يقلق، ولا يضجر، ولا يتأفف، أو يضيق صدره، ولا تظلم الدنيا في عينيه عندما يحصل له مما ظاهره مكروه، كفقْدان حبيب، أو حصول مرض، أو خسارة مالية، أو فوات محبوب؛ لأنه يؤمن أن ذلك كله من الله سبحانه وتعالى، وهو كائن لا محالة.

قال ابن المفكر:

رب أمرٍ تتقيهِه جرّأً أمراً ترتجيهه
خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه
فاترك الدهر وسلمه إلى عدلٍ يليه

وما قدره الله، سبحانه وتعالى ففيه الخير كل الخير سواء كان هذا الخير ظاهراً أو غير ظاهر. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى

مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

ومما يورثه الإيمان بقضاء الله وقدره قوة التعلق بالله سبحانه، والاعتماد عليه عند فعل الأسباب، فلا يعتمد على الأسباب نفسها، فما هي إلا وسيلة قد تحصل من خلالها النتيجة، وقد لا تحصل، فيخلص التعلق به سبحانه.

ومن آثاره أيضاً: ما يحصل للعبد من عبادة الصبر والشكر، الشكر حال الرخاء والنعمة والفرح، والصبر على ما يحصل من مكروه أو شدة أو كرب، روى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له).^(١)

أيها المسلمون!

هذه الآثار كلها قائدة إلى الجنة، ورضوان الله، تعالى وهي الغاية الكبرى والهدف الأسمى، التي يسعى لها الإنسان.

أيها المسلمون!

إن من يجحد قدرة الله تعالى ينقسمون إلى أقسام، قسم يقول :

(١) رواه مسلم ، كتاب الزهد (٢٩٩٩).

إن العبد مجبور على أفعاله، وليس له من القدرة شيء، وقسم لا يتعاطون فعل الأسباب بزعم تجريد التوكل على الله، أو تركوا التعلق بالله، واعتمدوا على الأسباب بالكلية، ونسوا الله تعالى وقدرته، أو شغلوا أنفسهم بالتأسف على الماضي، والأسى على ما فات بقول: "لو أنني فعلت كذا لكان كذا" هؤلاء، وأمثالهم وقعوا في أخطاء فادحة، وجروا في مسالك وعرة، قد تقودهم إلى الضلال والتهيه، والحيرة والقلق، والاضطراب في هذه الحياة، والاشمئزاز منها، وضيق الصدر، وظلمة الدنيا، والتشاؤم من كل ما يحصل، فلنجدد أيها المسلمون إيماننا بالله سبحانه.

عبدالله: قال بعض العارفين:

اجتنب سبع خصال يسترح جسمك، وقلبك، ويسلم لك عرضك ودينك:
 لا تحزن على ما فات.
 ولا تحمل همًّا لم ينزل بك.
 ولا تلم الناس على ما فيك مثله.
 ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل.
 ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك.
 ولا تغضب على من لم يضرك غضبه.
 ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك.

وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، اللهم اجعلنا
ممن يسعد بشفاعته، ويحشر تحت لوائه، كما أمر الله جل وعلا في كتابه
الكريم بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

من نواقض الإيمان: النفاق

الخطبة الأولى

الحمد لله شرح صدور عباده المؤمنين لطاعته، وأعانهم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وحذر من الالتواء والنفاق في معاملته، أحمده سبحانه وأشكره على منّه وفضله ونعمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وأسمائه وصفاته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اصطفاه الله من خلقه وأكرمه برسالته، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجه، وسيرته، أما بعد: اتقوا الله عباد الله، فبتقواه تزكو النفوس، وتطهر، وتنظف القلوب وتعمر، وتصلح الأحوال.

أيها المسلمون!

ناقض من نواقض التوحيد خطير، وخلل في العقيدة كبير، تهواه النفوس المريضة، وتتعامل به القلوب الصدئة، وتتاجر به الأفئدة الخاسرة، مسلك مشين، وطريق مشبوه، عواقبه وخيمة، ونتائجه مهلكة في الدنيا والآخرة، تنفر منه الطباع السليمة، ويأباه الناس في تعاملهم المادي، حذر منه الإسلام تحذيراً شديداً، وشنع على المتعاملين به، وبين صفاتهم، وقبح أفعالهم.

ذلك أيها المسلمون! هو النفاق، وأهله هم المنافقون، المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر، يظهر الحب والمودة للمسلمين ويبطن البغض والكره لهم، يظهر مؤاخاته، ونصرتهم وموالاتهم، ويبطن الحسد والغل والحقد عليهم، يظهر النصيح والصدق، ويبطن الضرر، والكذب، يظهر الإصلاح، ويبطن الفساد.

النفاق: شر عظيم، وداء عضال، ووبال كبير.

أيها المسلمون!

النفاق نوعان: اعتقادي، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فيظهر هذا المنافق أنه مؤمن بالله سبحانه، مستقيم على دينه، يحب المسلمين ويواليهم، ويظهر النصيح لهم، وحقيقة أمره أنه يخادعهم بأقواله، وكلماته، ويلبس عليهم دينهم، ويفرح بالضرر إذا أصابهم، وأصحاب هذا النوع: خالدون مخلدون في النار، بل في الدرك الأسفل منها، يصطلون بحرّها، ولهيبها، (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليزوقوا العذاب)، [النساء: ٥٦] هذا جزاؤهم ومصيرهم، وتلك عاقبتهم، ونهايتهم، عاقبة وخيمة، ونهاية أليمة، استحقوها لما اتصفوا به من صفات مشينة أخرجتهم عن الملة، وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون.

أيها المسلمون!

ولعظم خطرهم وفداحة جرمهم ذكرهم الله تعالى في مطلع سورة البقرة بثلاث عشرة آية بينما ذكر الكفار في آيتين، فالكفار: أعداء واضحون، أما المنافقون: فأعداء مستترون، بل ويظهرون بمظهر المؤمنين، ويلبسون لباسهم. ولكن لهم صفات يتصفون بها، وعلامات يتميزون بها.

فمن صفاتهم دعوى الإيمان، والتباكي على الدين كذباً وزوراً، ورأس مالهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والتحايل، وقلوبهم مليئة بالفتن والأمراض، وشعارهم الباطن الفساد والإفساد في الأرض، يتعاملون بوجوه كثيرة، ومجالسهم الخاصة يغمرها السخريّة والاستهزاء بالدين وأهله والعلم والعلماء مع رفع شعار الإصلاح، وعدم الإفساد، قال تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خِدَائِهِمْ ۝٩﴾ ٨ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ ١٠ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ ١١ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ ١٢ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ ١٣ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ۝١٤﴾ ١٤ [البقرة: ٨-١٤].

والمنافقون: يظهرون عبادة الله، وقد يصلّون ولكن بكسل وخمول ورياء، قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

حديثهم يعجب السامع، وعباراتهم منمقة، ولكنه كذب وخداع، قال سبحانه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝١٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤]. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَخَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنُكَلَّهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤَفِّكَوْنَ ۝١٠٦﴾ [المنافقون: ٤].

إذا دعوا إلى كتاب الله، تعالى أو سنة رسوله - ﷺ - أو طلبوا لتحكيم شرعه ضاقت صدورهم حنقاً وغيظاً، وصدوا وأداروا الحديث للشرق والغرب: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝١١﴾ [النساء: ٦١].

المنافقون يأمرّون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويتعاونون على ذلك، بخلاء جبناء، لا ينفقون إلا وهم كارهون، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ

الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ [التوبة: ٦٧] وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ وَلَا يُفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

همهم الفساد والإفساد، وإن صلوا وجاهدوا: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وإن نُصَحُوا غضبوا، وتأففوا وتبرموا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، يتخذون الكذب والأيمان الكاذبة جنة وستاراً عن أفعالهم القبيحة، وأفكارهم المشينة: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].
أيها المسلمون!

المنافقون تاريخهم أسود، حتى مع رسول الله - ﷺ -، آمنوا كذباً وزوراً، كذبوا ولَبَّسُوا عليه، حاولوا قتله، وصدوا عباد الله المؤمنين عن الجهاد والقتال، واستهزءوا به عليه الصلاة والسلام، وصفوه بالصفات القبيحة بالجبن والخور، ففي غزوة بدر ثاقفوا عن الخروج بدعوى أنه ليس فيه قتال، وفي أخذ انخذه عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث الجيش المسلم بحجة أن الرسول - ﷺ - لم ينزل عن رأيه، وكشروا عن أنيابهم في غزوة الخندق وقالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] وطائفة ادعوا الخوف على بيوتهم ﴿يَقُولُونَ إِنَّا يَوْمًا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ

إِلَّا فِرَارًا ﴿ [الأحزاب: ١٣] وبعد الرجوع من غزوة بني المصطلق قال رأسهم في النفاق: ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨] ولما دعا رسول الله - ﷺ - إلى غزوة تبوك ادعوا الحر الشديد: ﴿ قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢] ، فليضحكوا قليلاً وليبكون كثيراً ﴿ [التوبة: ٨٢] ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢] ، وبعضهم ادعى خوف الفتنة بنساء بني الأصفر ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَن لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩] ، أما القلة القليلة التي خرجت، فكان همهم السخرية واللمز والهمز برسول الله - ﷺ - وأصحابه قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، قال تعالى عنهم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِكُمْ وَأَبِإِيَّتِهِمْ وَرَسُولِهِمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] لَا تَمْنَدُوهَا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿ [التوبة: ٦٥، ٦٦] .

أيها المسلمون!

واستمر تاريخهم الأسود على مدار تاريخهم يحيكون المؤامرات ضد المسلمين، فهم الذين أذكوا الفتنة، وأججوا نيرانها بين الصحابة رضي الله عنهم في عهد عثمان، وفي عهد علي- رضي الله عنهما-

واستمروا يشبطون المؤمنين عن نصره دينهم وأمتهم، ويلصقون التهم والأباطيل، ويشيعون الشبه مع تباكيهم على البلاد والعباد، ينشطون وقت الضعف، ويخرجون وقت الأزمات والمحن بما يشبط العزائم، يبجلون الكفار ويعلون مكانتهم، ويحتقرون الدين وأهله، والعلم الشرعي وأهله، ويستهزئون بالمتمسكين بالإسلام، ويفرحون بالمصائب النازلة بالأمة. يريدون للأمة المسلمة أن تكون تابعة، لا متبوعة، يقدحون في التشريع، ويوهنون مكانة السنة، ويزعمون أن كثيراً من التشريعات كانت لزمن معين، وأنها لا تصلح لزماننا، وغير ذلك من أفكارهم وشبههم، (هم العدو فاحذرهم) [المنافقون: ٤]، اللهم أعذنا من النفاق، واكفنا شر المنافقين، بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، وسنة سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله أعزنا بالإسلام، ورفعنا باتباع هدي خير الأنام، أحمدته سبحانه وأشكره على آلائه العظام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل من تعبد لله وصلى وزكى وصام، وحج إلى البيت الحرام، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واقتفى أثرهم على الدوام.

أما بعد : عباد الله! بعد أن أتينا على ذكر النوع الأول، وهو النفاق الاعتقادي، نأتي على ذكر النوع الثاني من النفاق، وهو ما يسمى بالنفاق العملي، أو النفاق الأصغر، وهو ليس بصغير بل من أعظم المنكرات وأشد الآثام، ولكنه أصغر بالنسبة لما هو أكبر، وهو النفاق الاعتقادي، وهذا النفاق العملي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه خطير، وصاحبه ضعيف الإيمان يستحق العقوبة من الله، جل وعلا.

أيها المسلمون!

لقد أوضح النبي، ﷺ، بعض علامات هذا النفاق، فقد روى الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي، ﷺ، قال: (أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه

خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر^(١). وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) وفي رواية لمسلم: (وإن صلي وصام وزعم أنه مسلم)^(٢). جماع هذه الصفات تدل على أن شخصية صاحبها الظاهرة تختلف عن الباطنة، وهذا حال بعض الناس الذين يكثرون من التملق مع الآخرين، والمجاملات حتى على حساب الدين والشرع. أيها المسلمون:

شر النفاق عظيم، وخطره جسيم، شخصية المنافق مزدوجة، وله أوجه يتعامل بها: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجْدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣] ، ويكفي أن المنافق في جهنم بل في قعرها: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦، ١٤٥].

وفي الدنيا: مضطرب الحال، قلق القلب، غير واثق من نفسه، متبوء ممن حوله لعدم ثقته به، غير مستقر، وهو من الخاسرين.

(١) رواه البخاري في الإيمان، باب علامات النفاق (٣٤) ومسلم في الإيمان، (٥٨).

(٢) رواه مسلم في الإيمان، باب خصال المنافق (٥٩).

هذا- أيها المسلمون- هو النفاق، وهؤلاء هم المنافقون، وقد كان السلف رحمهم الله يخافون من هذا الداء المستطير، قال ابن أبي مليكة رحمه الله: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد، ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل، وميكائيل^(١). هؤلاء هم أهل القرن الأول مع فضلهم وسبقهم وصحبتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم يخافون النفاق، فما بالك بأهل القرن الخامس عشر؟ ألا فليتنق كل مسلم ربه جل وعلا، ويحذر من صفات المنافقين وأفعالهم وشبهاتهم، وحيلهم، ومكائدهم، ثم صلوا وسلموا على من أخلص وجهه لله، خير خلق الله محمد بن عبد الله، كما أمركم الله جل وعلا في محكم التنزيل قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) ذكره البخاري في كتاب الإيمان في ترجمة باب (٣٦) خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

من نواقض الإيمان : السحر

الخطبة الأولى

الحمد لله المستحق للحمد والشكر، يحكم ما يريد وله الخلق والأمر، وأعوذ بالله من حال أهل الشقاوة والسحر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء وأفضل البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على النهج والأثر، أما بعد:

عباد الله، اتقوا الله تعالى حيثما كنتم، وقوموا بالأمر الذي من أجله خلقتكم، وحذار من كل ما يفسده ويناقضه، فيحبط ما عملتم.

أيها المسلمون ! الحقيقة الثابتة المؤكدة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وبعث من أجلها الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق من أجلها الإنس والجن: عبادة الله تعالى وحده دون سواه: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: ٥٦]. (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: ٣٦]. وتقتضي هذه العبادة الحذر من الوقوع في كل ما يخالفها، أو يناقضها اعتقاداً وقولاً وعملاً.

أيها المسلمون! ومن أهم ما يخل بهذه العبادة وينقض التوحيد، وهو من أخطر مخالفات العقيدة، أمر استشرى بين كثير من الناس است شراء النار في الهشيم، وهي وسيلة خبيثة تلبس به الشياطين على

ضعاف العقول والإيمان، وتعلقهم بالأوهام والخزعبلات، وتجعلهم يركضون وراء سراب خادع يقودهم إلى الكفر والضلال، ويزجهم في النار، ويؤس القرار.

عباد الله: هذا الداء الخطير والمرض العضال والناقض الكبير هو السحر وتعاطيه، والتعامل به والعكوف عند أهله، والسحر: هو العجبت، والطاغوت: الشيطان كما عرفه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ^(١)، وقال جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما: الطواغيت : كُهَّان كان ينزل عليهم الشيطان" ^(٢)

والسحر: عزائم وعقد، ورقى تؤثر في القلوب والأبدان والعقول والعلاقات الشخصية، فيورث الحب والبغض، يمرض البدن، ويسلب التفكير، ويذهب العقل، ويقعد عن العمل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويسبب التشاؤم من الحياة، وينتج القلق والاكتئاب، ويفسد العلاقات الودية، ويورث الوسوسة والشكوك، ويجعل الأوهام، والخزعبلات تفرخ في الإنسان، وهي التي تقوده في عمله وسلوكه أعاذني الله وإياكم منه.

والسحر أنواع، وبعضه أخطر من بعض، فمنه ما هو قائم على الشعوذة، وأخذ العيون بحيث ينظر الأمر على غير ما هو عليه، فيرى

(١) رواه البخاري معلقاً ١٦٧٣/٤ ووصله ابن حجر في فتح الباري ٢٥٢/٨.

(٢) رواه البخاري معلقاً ١٦٧٣/٤ ووصله ابن حجر في فتح الباري ٢٥٢/٨.

هذا الناظر المتحرك ساكناً، والساكن متحركاً، والصغير كبيراً، والكبير صغيراً.

ومنه ما هو قائم على تركيب أدوية معينة، فتؤثر هذه الأدوية والعقاقير على البدن أو العقل أو القلب، ومن ذلك العطف والصرف، فينصرف هذا المسحور لشيء معين، أو ضد شيء معين، كمن يصرف عن أهله وأولاده، أو والديه أو زوجته، أو العكس من ذلك.

ومنه ما هو قائم على الاستعانة بالشياطين بسبب إشراكهم في العبادة، أو في نوع منها مع الله سبحانه وتعالى، وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً وانتشاراً، وهو الذي يوافق ما ذكر من أن السحر عقد ورقى، وعزائم وقراءات وطلاسم، ورموز يتوصل بها الساحر إلى الاستعانة بالشياطين، فيما يريد لضرر المسحور والتأثير عليه . قال النبي ﷺ: " من عقد عقدة، ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِّلَ إليه".^(١)

ومن أنواع السحر الاستدلال بالنجوم على معرفة الغيب، والتوصل من خلال ذلك إلى التنبؤ بما يقع في المستقبل على سبيل القطع والجزم، وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيما

(١) أخرجه النسائي في السنن ١١٢/٧ من حديث أبي هريرة برقم (٤٠٧٩) وللحديث شاهد عند أحمد والترمذي من حديث عبدالله بن عكيم يرقى به إلى مرتبة الحسن لغيره.

رواه أبو داود بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد)^(١).

أيها المسلمون! هذا شيء من السحر المتعامل به، ولكن الساحر قد يلتبس أمره على كثير من المسلمين، فيتظاهر هذا الساحر بمظاهر الصلاح، ويتلفظ ببعض الآيات القرآنية، والأذكار والأوراد النبوية، فيخدع بها هذا المستمع أو المريض أو الضعيف، ولكن مع هذا كله فلا يستطيع أن يخفي كل شيء، فيظهر عليه من العلامات ما يستدل بها على سحره، ومن ذلك أن يطلب من المريض شيئاً من ملابسه الداخلية، أو يسأله عن اسم أمه، أو شيئاً من أحواله الماضية، أو يطلب منه أعمالاً شركية، أو أعمالاً محرمة، كتمزيق المصحف، أو وضعه في دورات المياه، أو وضعه في أماكن القاذورات والمزابل، أو ذبح شيء من الحيوان أو الطيور، وتلطيف المصحف بشيء من دمها، أو تذبح باسم الشيطان أو الجني الفلاني، أو يردد طلاسماً معينة لا يفقه معناها مثل: كركون، دهنه، شراها، جلجوت، وأمثال هذه الطلاسماً، أو يربع أربعاً على ورق، أو دوائر، ويضع حروفاً غير مفهومة، أو يضع رموزاً وصوراً مقطعة، كل هذه وأمثالها من السحر، ومما يعرف به الساحر.

(١) رواه أبو داود في الكهانة والتطير، باب في النجوم (٣٩٠٥) وابن ماجه في الأدب، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦) وأحمد في مسند بني هاشم برقم (٢٠٠١ و ٢٨٣٦).

أيها المسلمون: لا خلاف بين أهل العلم أن السحر من الموبقات العظيمة، وكبائر الذنوب الخطيرة، ومن المهلكات في الدنيا والآخرة، جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات-أي المهلكات- وذكر منها السحر)^(١).

وذكر أهل العلم أن عمل السحر إذا كانت وسيلته الإشراف بالله تعالى، والاستعانة بالشياطين والتقرب إليهم، أو الاعتقاد بالكواكب، ونحو ذلك، فهو شرك أكبر، وكفر مخرج عن الملة.

فالساحر يصرف العبادة هنا إلى الجن والشياطين من دون الله، فيتقرب إليهم بالأوراد الكفرية والذبح، وإحراق المصحف، والبول عليه، ونحو ذلك مما لا شك في كفره، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ

(١) رواه البخاري في الوصايا، باب قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) برقم (٢٧٦٧) ومسلم في الإيمان باب الكبائر وأكبرها برقم (٨٩).

عَلِمُوا لِمَنِ اشْتَرَوْهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

ووجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أن كثيراً من أقسامه لا تأتي إلا بالشرك، والتوسل بالأرواح الشيطانية، ولهذا قرنه الشارع بالشرك في قوله، ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر... الحديث..." فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

- من جهة ما فيه من استخدام الشياطين، ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون، ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

- ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه، وذلك من شعب الشرك والكفر^(١).

وروى النسائي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله، ﷺ، قال: "ومن عقد عقدة، ثم نفث فيها، فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً فقد وكل إليه"^(٢).

(١) من كتاب التوحيد وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن سعدي بتصرف.

(٢) رواه النسائي في تحريم الدم، باب الحكم في السحرة (٤٠٧٩).

أيها المسلمون! ومن أخطار السحر، وأضراره أنه مخل بأصل التوحيد، وناقل لصاحبه إلى الكفر، ونتيجته في الدنيا القتل، وذكر بعض أهل العلم أن صاحبه يقتل ولو تاب؛ لأنه مفسد في الأرض، روى الترمذي، وغيره أن رسول الله ﷺ، قال: "حد الساحر ضربة بالسيف"^(١)، قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، ومن آثاره ما يورثه من الأسقام والأمراض والأوجاع، وأشد من ذلك كله: التعلق بغير الله سبحانه وتعالى، وضعف التوكل عليه، وعدم الثقة به، وإساءة الظن به، وصرف ذلك إلى السحرة والشياطين والمشعوذين حتى يصل الأمر إلى أن يظن هذا المسحور، ونحوه أن الشفاء، والمرض، والغنى والفقر، والقوة والضعف عند هؤلاء السحرة، ولم يعلم أنهم لم يغنوا أنفسهم، هل سمعتم أن ساحراً ملك الدنيا أو جزءاً منها، أو عدّ في أغنياء العالم، أو منع عن نفسه الموت؟ فبهيات، فلا يملكون لأنفسهم، بل لا يملكون ضرراً ولا نفعاً مثقال ذرة من حطام الدنيا، فكيف يملكونه لغيرهم؟ وإن خدعوا النفوس الضعيفة، والعقول المريضة جراء استعانتهم بالشياطين، فإنهم لا يقدرّون على من جعل الله ملجأه ومُعِينه، وجعل من الأذكار النبوية حصنه ومُعِينه. قال ابن تيمية رحمه الله:

(١) رواه الترمذي في الحدود، باب ما جاء في حد الساحر (١٤٦٠).

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره
فاتقوا الله، عباد الله، واحذروا السحر، وأهله، وتعاطيه، أو اللجوء
إلى السحرة والاستشفاء عندهم، أو التعلق بهم، وكلوا أموركم إلى
خالقكم، والجاؤا إليه في السراء، والضراء يصلح أمركم في دنياكم،
وأخراكم ، نفعي الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي
هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب،
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي حبب الإيمان إلى قلوب عباده المؤمنين، وكره الكفر والفسوق والعصيان إلى عباده المتقين، أحمده سبحانه وأشكره على كرمه، وفضله العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل من عبد الله حتى أتاه اليقين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه البررة الأكرمين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أن هذا الداء الخطير، مصدره ومورده هو الشيطان الرجيم، فقد ابتلى الله تعالى به عباده، وجعل له شيئاً من النفوذ، والتأثير على بني آدم، قال تعالى موضحاً هذه الحقيقة الكبيرة: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [١٦] [الإسراء: ٦٤]. وقال تعالى عنه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [١٧] [الأعراف: ١٧]. وهذا التأثير، عباد الله، على صورة وساوس، وإيحاءات يستغل بها نقاط ضعف عند كل فرد، ففي هاجس الفقر، وحب المال، ومسالك الفحشاء، يقول تعالى عنه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ

أَلْفَقَرُوا وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴿البقرة : ٢٦٨﴾، وفي حب الأولاد،
والعواطف: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء : ٦٨] وفي الخوف
منه، والوقوع في حبائل الأوهام، يقول تعالى عنه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ
أَوْلِيَائَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّجَوَّىٰ مِنَ
الشَّيْطَانِ لِخُرُوتِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ [المجادلة: ١٠]، ويطرق إلى
بث النزغات العدوانية: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾
[الإسراء: ٥٣] وكما له تأثير روحاني بقدرة الله تعالى، فله تأثير
محسوس وملمس، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام: "أن كل بني آدم
يطعن في جنبه بإصبعه حين يولد" ^(١) أي يطعنه الشيطان، واشتكى ابن أبي
العاص إلى النبي ﷺ شيئاً يأتيه يصرفه عن صلاته، فقال ﷺ: "ذاك شيطان"
ثم ضرب على صدر ابن أبي العاص، وقال: "أخرج عدو الله" ثلاثاً. رواه ابن
ماجه بسند صحيح ^(٢)، وجاء في الصحيح أنه "إذا تشاءب أحدكم فليمسك
بيده على فمه، فإن الشيطان يدخل" ^(٣). غير أن، عباد الله، الذين تحققوا
بعبوديتهم لله في أمره ونهيه، وهم متوكلون عليه في كل حال ليس له عليهم

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٦) ومسلم في
الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٦).

(٢) رواه ابن ماجه في الطب، باب الفرع والأرق وما يتعوذ منه (٣٥٤٨).

(٣) رواه أبو داود في الأدب ما جاء في التثاؤب (٥٠٢٦).

سبيل ولا سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَأَنسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء : ٦٥].

أيها المسلمون! ونحن نحذر من هذه المعضلات الفتاكة، والأمراض الخطيرة، لا ننسى أن من أهم أسبابها ضعف العلاقة بالله، سبحانه وتعالى، وترك طاعته، واقتراف معصيته، والغفلة عن ذكر الله تعالى، وهجران كتابه، والتعلق للصور، واتخاذ الكلاب، ونصب التماثيل، فاتقوا الله، عباد الله! وتمسكوا بشرعه، وعضوا عليه بالنواجذ؛ ليعصمكم من الزلل، ويقيكم من العثار والخطل، ويغفر ذنوبكم، ويفرج كربكم.

أيها المسلمون! من أهم ما يتقى به من السحر قوة التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، والالتزام بشرعه وأحكامه والعمل بها وأداء الصلاة وإقامتها، وقراءة القرآن الكريم وتدبره، وكثرة ذكر الله تعالى في الأذكار المطلقة، والمقيدة بوقت أو مكان أو حال، وعدم اقتراف المعاصي، والتوبة منها حال وقوعها وتحصين البيت بالقرآن الكريم والأذكار، وعدم تعليق الصور. إن على المسلم أن يلتزم بذلك، وقانا الله وإياكم شر كل ذي شر، ثم صلوا وسلموا على البشير النذير كما أمركم الله جل وعلا بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الكهانة والعرافة

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الوهاب، غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، يقبل التوبة من عباده ممن أذنب وتاب، أحمده سبحانه وأشكره على ما تفضل به وأجاب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فهو الغفور التواب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير من صلى وصام وأتاب صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى الآل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم وسار على خطاهم إلى يوم المآل والمآب.

أما بعد : عباد الله! اتقوا الله تعالى، فإن خير الزاد التقوى، فما هي إلا أعمار تطوى، وآجال تبنى.

أيها المسلمون:

في دنيا الناس من التعامل مع الغيب أمور خطيرة، زلت بها أقدام، وزاغت بها عقول، وسارت في ركاب الوهم والخرافة، وتعلقت بها قلوب من دون الله، عز وجل، وتلاعبت الشياطين بأصحابها، وقد وقفنا على شيء من ذلك في خطبة سابقة مع السحر والتعامل به، والمنخدعين بالسحرة، وما السحر إلا تعلق بالشياطين من دون الله، يسجد لهم الساحر، ويذبح لهم، ويستغيث بهم؛ لذا كانت عقوبة الساحر

عظيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا القتل، وفي الآخرة جهنم، وبئس المصير.

أيها المسلمون!

وثمة أمور كثيرة من تعاملات الناس لها علاقة وطيدة وقوية، أو خفية بالسحر، تعلق بها أقوام، وانحرفت بهم عن الصراط المستقيم، وحادت بهم عن المنهج القويم، وأوكلتهم إلى أوهام وخرافات، وأوقعتهم في مزالق وخزعבלات، وكل ذلك بسبب ضعف الإيمان، وقلة اليقين بالله سبحانه وتعالى، وسذاجة العقول.

من هذه الأشياء الخطيرة، والموبقات العظيمة إتيان الكهان والعرافين، والوقوف عندهم، وطلب معرفة أحوال المستقبل منهم، والكاهن، هو الذي يأخذ عن مُسْتَرَق السمع من الجن، ويخبر عن المغيبات في المستقبل، فيقول- مثلاً- : سيحدث في العالم كذا، أو سيموت فلان، أو سيحصل زلازل وبراكين، أو سيفتقر أناس، وسيغنى آخرون إلى آخر هذه الادعاءات الكاذبة.

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا ساجعات الطير ما الله صانع والعراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يزعمها، وهو يستعين بالشياطين، كمعرفة مكان الضالة دون أن يكون له معرفة بالقيافة، أو معرفة الإنسان المفقود، وغيرها من أمثالها، فينخدع ضعاف

الإيمان والعقول بما يدعيه أولئك، وهم لا يعلمون من أمرهم شيئاً،
فكيف بغيرهم؟
أيها المسلمون!

داء الكهانة والعرافة داء خطير، وشره مستطير؛ لذا حسم الشرع
أمرهم والتعامل معهم، لئلا يتلطخ المسلم بهذه الشوائب، فتختل
عقيدته، ويضعف توحيده، وتهتز علاقته بربه، روى مسلم في صحيحه
عن بعض أزواج النبي ﷺ، أنه قال: "من أتى عرافاً، فسأله عن شيء
لم يُقبل له صلاة أربعين ليلة" ^(١)، وروى أصحاب السنن، عن أبي
هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: "من أتى كاهناً، فصدقه بما
يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" ^(٢) وروى الحاكم، وغيره: "من أتى
عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد، ﷺ" ^(٣)،
فإذا كان هذا الوعيد الشديد في حال المصدق لهؤلاء، والسائل لهم،
فكيف بحال المتعامل بهذه الكهانة؟ إنه الكفر والضلال، والعياذ بالله!
أيها المسلمون:

قد ينخدع بعض الناس فيما يرونه يقع أحياناً مما يحدث به

(١) رواه مسلم في السلام، (٢٢٣٠)

(٢) رواه أبو داود في الكهانة والتطير، باب في الكهان (٣٩٠٤) والترمذي في الطهارة، باب ما
جاء في كراهية إتيان الحائض (١٣٥) وابن ماجه في الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان
الحائض (٦٣٩) وأحمد في باقي مسند المكثرين برقم (٩٨١١).

(٣) رواه أحمد في مسند أبي هريرة برقم (٩٢٥٢).

هؤلاء، فقد سأل أناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: "إنهم ليسوا بشيء" فقالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقًا فقال النبي ﷺ: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة" رواه البخاري^(١)، وقد قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلُ الشَّيْطَانُ ۖ ﴿٣٣﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

أيها المسلمون!

ومن الأشياء الخطيرة الناتجة من التعامل بالغيب: التشاؤم بالطيور، أو الأسماء، أو الألفاظ، أو البقاع، أو الأشخاص، أو الأيام، والشهور، كالتشاؤم بطائر البوم، أو بشهر صفر، أو ببعض منازل القمر، ونحوها، وهذه أوهام وخرافات كانت في الجاهلية، وموجودة عند بعض الأمم الكافرة إلى اليوم، فيجب الإنكار عليهم، ومحاربتهم، وعدم التجاوب أو التساهل في هذا الأمر. ومن ذلكم ما يفعله بعض الناس بزعم اتقاء العين أو السحر من تعليق التماثيل والخيوط على صدور الأولاد، أو تعليق خرق سوداء على الدابة أو السيارة، أو تعليق تعاويذ ورقى ملفقة ينسجها أديعاء الكهانة، أو العوذة، ونحوها مما يخدعون

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم وأنها لا تعجز حناجرهم (٧٥٦١).

بها العامة والسذج، وضعاف الإيمان والعقول من الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: "إن الرقى، والتمايم، والتولة شرك" رواه أحمد، وأبو داود^(١).

أيها المسلمون!

إن جميع ما ذكر من هذه الأوهام والخرافات والخزعبلات، وأشباهها كلها محرمة في دين الله عز وجل، بل من الموبقات العظيمة، والآفات الخطيرة، والأدواء الفتاكة التي إذا طغت على حياة فرد أردت المهالك، وجعلته يتعلق بالشياطين والأوهام، وعرضته للوساوس والخيالات التي لا تنتهي، وجعلته يبني حياته على غير أساس، فهو يتنقل بين تعويذة وخرقة، وتعلق بالخيال، والشياطين من الجن والإنس، فيلعبون عليه، حتى يخرجوه من دينه من حيث يشعر، أو لا يشعر أما مرضه الذي تعلق بهم أو مصيبته، أو فقره، أو مشكلته التي يريد حلها، أو كربته التي يريد أن ينفسوها له أو همه الذي يريد المخرج منه، فهذه كلها تزداد عليه، وتصبح ظلمة فوق ظلمة حتى تتلاطم عليه الظلمات.

أيها المسلمون!

إن من الحصافة والعقل، فضلاً عن الديانة والخلق، البعد عن

(١) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٣٦٠٤)، وأبو داود في الطب، باب في تعليق التمايم (٣٨٨٣) وابن ماجه في الطب، باب تعليق التمايم (٣٥٣٠).

كل هذه الترهات والخزعبلات، والاعتقاد الجازم بأن الله مدبر الكون، وله الحكم والقضاء، فما أنت فاعل أيها الإنسان الضعيف إلا التعلق بربك والتوكل عليه، والتعلق بالواحد الأحد، وهو مطلع على أحوالهم وحده، فمهما أصيب الإنسان بأمراض، أو توالى عليه البلايا والمحن، أو تكاثرت عليه الخطرات، أو ازدادت عليه المشكلات، أو استمرت عليه المصائب، أو اشتد عليه الفقر، فليس ذلك كله مبرراً للولوج في هذه المسالك الوعرة، والطرق المظلمة، والسبل المهلكة، وإنما عليه اللجوء إلى رب الأرباب، ومسبب الأسباب، ومنشئ السحاب، وخالق الناس من تراب، فهو الذي إليه الملجأ وإليه المآب، (ومن يَتَّقِ الله يجعل له مخرجاً) [الطلاق: ٢] اللهم أعذنا من شياطين الإنس والجن، واحفظنا بحفظك واكلأنا برعايتك، يا سميع الدعاء، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم، فاستغفروه، فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل الضلال،
وأساله العفو والعافية في الدين والدنيا والحال والمآل، أحمده سبحانه،
وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وهو الكبير المتعال، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله
شريف النسب وكريم الخصال، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وصحبه خير صحب وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل.

أما بعد : عباد الله! اتقوا الله سبحانه، واعلموا أنه يجب على
المسلم العاقل أن يتجنب الأسباب الموصلة إلى الوقوع في تلك
الأوهام والأدواء الخطيرة المهلكة الموقعة في الكفر والشرك، ومن أهم
الأسباب الموصلة للوقوع فيها: ضعف التوحيد في القلوب، وقلة
الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وضعف استشعار عظمتة في النفوس،
وعدم استشعار قدرته في تدبير الكون والإنسان والحياة.

ومن أهم الأسباب أيضاً التساهل في أداء الواجبات الشرعية،
كالتساهل في أداء الصلاة، أو الصيام، أو فعل بعض المحرمات، تناول
المسكرات والمخدرات وما شابهها.

وإن من أعظم الأسباب أيضاً الغفلة عن كتاب الله تعالى قراءةً
وتدبراً وعملاً وإهمال ذكره سبحانه، فيعيش هذا العبد هائماً على وجهه

مبتعداً عما يربطه بخالفه، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] فمتى ما خلا جوف الإنسان وبيته ومقر عمله من ذكر الله تعالى، كان مرتعاً للشياطين ، والعياذ بالله.

ومن الأسباب ملء الأماكن فضلاً عن القلوب بالأشياء الملهية عن عبادة الله تعالى، كقضاء الأوقات أمام الملهيات من الفضائيات، وغيرها.

أيها المسلمون!

إن المسلم الحصيف، الذي يريد النجاة في الدنيا والآخرة، ويسعى لسعادة الدارين ، هو الذي يصنع السياج القوي، والحصن المنيع من أن تتسلل إليه هذه الشرقيات والخرافات، وإن من أهم هذه الحصون: قوة التعلق بالله سبحانه وتعالى، والتوكل عليه، واستشعار عظمته، فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتمد عليه آواه، ومن كان مع الله كان الله معه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق: ٣].

ومنها المحافظة على الفرائض، أداؤها بأوقاتها، وأركانها، وشروطها، وعدم الإخلال بها، أو النقص فيها، أو التساهل بها، وأن يجتهد في عمل المستحبات، والبعد عن المحرمات، والمكروهات بأنواعها، فمن قام بهذه الأشياء فقد حفظ الله تعالى، ومن حفظ الله تعالى حفظه في دينه ودنياه وأهله وماله وآخرته، قال عليه الصلاة

والسلام : " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك".^(١) ومن أهم ما يحفظ به الإنسان نفسه كثرة ذكر الله تعالى والمحافظة عليه، وبخاصة الأوراد الخاصة، كأذكار الصباح، والمساء، وعند النوم، والخروج من المنزل، وركوب السيارة، وغيرها.

وإن من السياج المنيع قراءة كتاب الله تعالى، والحرص على ذلك، فلا يجتمع مزمار الشيطان وقرآن الرحمن في جوف إنسان. أيها المسلمون!

وإن من السياج المنيع أيضاً أن يكون الإنسان في هذه الحياة عاملاً نشيطاً أياً كان عمله، مبتعداً عن العزلة الشيطانية، فلا يترك عمله، أو يتساهل به بل يمضي مجداً قوياً مهما اعترته الهواجس والوساوس، فدين الإسلام دين العمل والإنتاج، لا دين الكسل، والخمول والفتور، وإن الفرد العامل القوي هو الذي لا تقوى عليه الشياطين، ولا توسوس له.

أيها المسلمون!

إن الأمم فضلاً عن الأفراد إذا كان همها وشغلها شاغل هو التعلق بهذه الأوهام فقد خسرت، وجانب الطريق الصواب، وأصبحت

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة، باب (حديث حنظلة) (٢٥١٦)، وأحمد بأرقام (٢٦٦٤)،

في ذيل القائمة بين الأمم، والإسلام دين القوة والإنتاج، والبعد عن
 سفاسف الأمور، فلا نكن فريسة للشياطين، فنهلك في الدنيا والآخرة،
 أسأل الله تعالى أن يحفظنا من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، وحقد
 الحاقدين، وأن يحفظنا بحفظه وأن يكلأنا برعايته، وصلوا وسلموا على
 رسول الله وخيرته من خلقه، لتسعدوا في دنياكم وأخراكم، كما أمركم
 الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الجمعة وآدابها

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل يوم الجمعة من أشرف الأيام، وجعله عيداً لأهل الإسلام، وأحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله ليوم تبيض فيه وجوه، وتسود فيه وجوه، يوم يجعل الولدان شيباً.

أيها المسلمون:

إن من نعم الله تعالى علينا أن فَضَّلَ يوم الجمعة على سائر الأيام، وجعله عيداً لأهل الإسلام، فهو من أعظم الأيام عند الله تعالى، وفيه خمس خصائص: فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه مات، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً، وهو يوم أضل الله عنه الأمم السابقة، فطلبوا فضله في غيره، وهدى الله تعالى له هذه الأمة، فوافقته فضلاً منه وإحساناً، فاحمدوا الله تعالى على هدايته، واشكروه على فضله، واجتهدوا في هذا اليوم بما شرع لكم من

العبادات ابتغاء رضوانه وجنته واتقوا الله وأحسنوا، فإن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون.

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، وحذيفة، رضي الله عنهما، قالاً: قال رسول الله، ﷺ : (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق).^(١)

وفي هذا اليوم تقام صلاة الجمعة التي هي من أكبر فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، بل أعظمها سوى مجمع يوم عرفة، ولذا يسن للمسلم أن يتهيأ لها، ويستعد بالاغتسال والطيب واللباس الحسن، ويمشي لها بخشوع ورغب ورهب مبكراً. فقد روى البخاري في صحيحه^(٢)، عن سلمان، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٥٦)، عن حذيفة، رضي الله عنه، في كتاب الجمعة، وأخرجه النسائي في المجتبى، عن حذيفة برقم (١٣٦٦) في كتاب الجمعة، باب إيجاب الجمعة. وكذا أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٠٨٣)، عن حذيفة عن أبي هريرة في كتاب إقامة الصلاة، باب افتتاح الصلاة.

(٢) برقم (٨٨٣) من كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة.

استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه، وبين الجمعة الأخرى).

وروى مسلم في صحيحه ^(١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى يوم الجمعة، فاستمع وأنصت غفر له ما بين الجمعة والجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام".

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه). ^(٢)

وقد جاء بيان هذه الساعة عن النبي ﷺ أنها ترجى في أحد وقتين: أولهما: وقت خطبة الجمعة، كما في صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة) ^(٣).

(١) برقم (٨٥٧) من كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٣٥) من كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، ومسلم برقم (٨٥٢) من كتاب الجمعة.

(٣) برقم (٨٥٣) من كتاب الجمعة.

وثانيهما: آخر ساعة من عصر الجمعة، كما في مسند أحمد ' عن أبي هريرة، وأبي سعيد، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: (إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه إياه، وهي بعد صلاة العصر). ويشهد له ما رواه ابن ماجه ^(١) ، عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: قلت: أي ساعة هي؟ قال: يعني رسول الله، ﷺ: (هي آخر ساعات النهار). ^(٢)

أيها المسلمون! ومن فضائل يوم الجمعة أنه يوم تُكَفَّر فيه السيئات، وتغفر فيه الذنوب، وتعظم فيه الأجور، وتعتق فيه الرقاب من النار لمن أخذ بهدي النبي، ﷺ، في لزوم سنته، كما جاءت البشارة في ذلك، في جملة من أحاديث النبي، ﷺ، وكفى به شرفاً أنه أفضل أيام الأسبوع، وأنه يوم ادخره الله لهذه الأمة، وجاءت الأحاديث تنص على اسمه، وتنوه بفضله في الكتاب والسنة، فسارعوا أيها المؤمنون لاغتنام هذا الفضل العظيم، وتنافسوا في هذا العطاء الكريم من ربكم الرحيم، فقد

(١) برقم (٧٦٣١) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

(٢) وأخرج ابن ماجه في سنته برقم (١١٣٩) من كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة عن عبدالله بن سلام قال: قلت ورسول الله جالس: إنا لنجد في كتاب الله، في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئاً لا قضى الله له حاجته، قال عبدالله: فأشار إليّ رسول الله: أو بعض ساعة، فقلت: صدقت، أو بعض ساعة، قلت: أي ساعة هي؟ ... الحديث.

دعاكم إلى هذا الخير، وحثكم على السعي إليه ، ونهاكم عن التشاغل بالأهل والأولاد، أو البيوع وامتع الحياة، وهاكم خطابه ونداءه احبابه لأهل الإيمان والاستجابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة : ٩-١٠].

أيها المسلمون: ومع هذه المزايا والخصال التي خص الله بها هذا اليوم العظيم نجد واقع بعض المسلمين تجاه هذه الشعيرة واقعاً مؤلماً، فكثير من المسلمين لا يعرف عن يوم الجمعة إلا أنه يوم عطلة وكسل، وكثرة النوم في النهار والسهر في الليل، يلهو ويعبث، وقد يكون على آلات محرمة مسموعة أو مرئية، ولم يعلم أن الله تعالى يمهّل ولا يهمل، وأن الدنيا دار ممر وليست دار مقر، فانتبهوا أيها المسلمون من غفلتكم، وقوموا من رقدتكم، واستغلوا هذه الفرصة الربانية فإنها قد لا تمر على الإنسان مرات من دهره ، واستثمروها بالأعمال الصالحة قبل أن تقول نفس: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ، استغلوها قبل أن تندموا ولات ساعة مندم، بادروا بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان وكونوا من أولي الأبواب الذين أجابوا رب الأرباب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ . [ق: ٣٧]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وبهدي سيد المرسلين،
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبي الكريم، والرسول الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً... أما بعد :

أيها المؤمنون! توبوا إلى الله عز وجل قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وَصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم تُؤجروا وتُحمدوا وترزقوا، واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة، فريضة مكتوبة إلى يوم القيامة من وجد إليها سبيلاً، فمن تركها جحوداً بها، أو استخفافاً بها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك في أمره، ويخشى عليه من العقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة.

عباد الله ! (احضروا الجمعة، وادنوا من الإمام)، فإن منازلكم في الجنة على مثل صفوفكم من الجمعة، (وإن الرجل ليتخلف عن الجمعة، حتى إنه ليتخلف عن الجنة)^(١)، فبكروا إلى الجمعة تكتبوا عند

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٩٦٠٥) من حديث سمرة بن جندب، رضي الله عنه.

الله من السابقين، فقد ثبت في الصحيحين ^(١) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي، ﷺ، قال: "إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر - يعني المبكر - كمثل الذي يُهدي بدنة، ثم كالذي يُهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صُحفهم، ويستمعون الذكر".
أيها المسلمون!

إن من المؤسف جداً أن نرى كثيراً من المسلمين لا يقيم ليوم الجمعة ولا لصلاتها وزناً، فجعل هذا اليوم يوماً للهو والعبث، فتراه يسهر ليلة الجمعة على الملهيّات عند التلفاز أو الفيديو، أو لعبة الورق، أو الخروج إلى البراري أو الاستراحات إلى ساعات متأخرة من الليل، ثم ينام، فيخيم عليه الشيطان، فتفوته صلاة الفجر، ولا يستيقظ إلا عند صلاة الجمعة، فيأتي إليها يلهث من غير استعداد نفسي، وقد دخل الإمام يخطب الجمعة، وفاته ذلك الفضل العظيم.

زد على ذلك كثيراً أن أجهزة الإعلام وبالذات الفضائيات تركز على برامج خاصة ليلة الجمعة؛ لتساعد الناس على لهوهم وغيهم، والرسول، ﷺ، وصحابته يتنافسون آخر الليل في الصلاة والقيام

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٩٢٩) من كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة. ومسلم برقم (٨٥٠) كتاب الجمعة، واللفظ للبخاري.

والتهجد وقراءة القرآن، وشبابنا وشاباتنا يتنافسون في متابعة المسلسلات تلك الليلة، ليناموا بعدها إلى صلاة الجمعة، إنها حالة مؤسفة يندى لها جبين المسلم، فكم يضيع هذا المسكين من وقت؟ وكم فاته من الأجر؟ وكم حصل من الإثم؟ والله إن الموتى في قبورهم يتمنون تسبيحة أو تكبيرة أو تهليلة، أو ركعتين يصلونها أو غيرها من الطاعات، ولكن هيهات، وهذا يلعب بوقته، ويضيعه فيما حرم الله، ويفوت على نفسه الأجر والثواب.

إن المساجد يوم الجمعة تشتكي إلى الله من الجفاء الذي تبدى عن كثير من المسلمين، يدخل الإمام يوم الجمعة، ولا يجد إلا نفرًا قليلًا، وإذا سلم من الصلاة وجد صفوفًا متراسة؟ أين هؤلاء قبل الصلاة؟ أزهداً في الأجر يا عباد الله! أم عدم مبالاة في أوامر الله!!
عباد الله:

إذا دخل أحدكم المسجد يوم الجمعة، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين، لما في الصحيحين^(١) عن أبي قتادة، رضي الله عنه، أن النبي، ﷺ، قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٦٧) في كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثني مثني، ومسلم برقم (٧١٤) في كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين كلاهما عن أبي قتادة، كما أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٧٤) من حديث أبي قتادة، إلا أن البخاري أخرج في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برقم (١١٧٠)

ولو دخل أحد والمؤذن يؤذن الأذان الأخير للجمعة، فإن المشروع في حقه أن يشرع في الركعتين، ولا ينتظر حتى يفرغ المؤذن، حتى يتهيأ لاستماع الخطبة؛ لأن استماع الخطبة مقدم على إجابة المؤذن، وإياكم أن تشغلوا أيديكم حال الخطبة بلمس الأرض أو العبث بالفرش، أو نحوها، فإن هذا مما يَحْرِمُ الرجل فضل الجمعة، فقد روى مسلم في صحيحه ^(١)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ومن مس الحصى، فقد لغا).

وكذلك من اللغو أن تتحدث مع غير الإمام، ولو على سبيل الإرشاد، لما في الصحيحين ^(٢)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب، فقد لغوت). وإياكم، وتخطي رقاب الناس دون أن تروا مكاناً خالياً، فإن ذلك يعرض الإنسان

ومسلم برقم (٨٧٥) "إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب، فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما" واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٥٧) في كتاب الجمعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٥١) في كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، ومسلم برقم (٥٨١) في كتاب الجمعة.

المسلم لتحصيل الإثم، وفوات الأجر، فقد رأى النبي، ﷺ، رجلاً يتخطى رقاب الناس، فقال له: "اجلس قد آذيت وآثيت- يعني قصرت".^(١)

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٢٤٤) من حديث عبدالله بن بُشر، رضي الله عنه. كما أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨١٢) في كتاب الجمعة، باب ذكر فرض الجمعة.

أيها المسلمون!

اعلموا أنه "يحضر الجمعة ثلاثة ، رجل حضرها بلغو، وهو حظه منها، ورجل حضرها يدعو، فهو رجل دعا الله، عز وجل، إن شاء الله أعطاه، وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصات وسكوت، ولم يتخط رتبة مسلم، ولم يؤذ أحداً، فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، وذلك بأن الله، تعالى عز وجل، يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١) [الأنعام: ١٦٠].

هذا، وأكثروا من الصلاة على النبي، ﷺ، فإن للصلاة عليه في يوم الجمعة فضلاً كثيراً، وأجرأً كبيراً، فعن أوس، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، ﷺ: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثرُوا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي).^(٢)

اللهم صل وسلم وبارك على رسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٦٨٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما. كما أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له برقم (١١١٣) في كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٥٨٥٣) من حديث أوس بن أبي أوس، رضي الله عنه. كما أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له، برقم (١٠٤٧) في كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة.

في مقدم رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله خلق فقدر، وملك فدبر، وشرع فيسر، وخص الصيام بالإفطار وأكلة السحر، بيده تصريف الأمور، أحمدته سبحانه وأشكره على ما أنعم علينا بأفضل الأيام والشهور، وأتوب إليه وأستغفره ما تعاقب الجديدان، وتوالت السنون والدهور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الرحيم الغفور، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل من صام وصلى، وأعطى واتقى، فكان العبد الشكور، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم للاهتداء نجوم وفي الظلم بدور، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم النشور.

أما بعد: عباد الله ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي الغاية والمطلب، والمنجية من غضب الرب، يوم لا ينفع والد ولا ولد، ولا صديق أو حميم.

أيها المسلمون! ها هو الوافد العظيم، والضيف الكريم والمنحة العظمى، والمنة الكبرى، ها هو ميدان المتنافسين، ومنحة رب العالمين، أظننا بنفحاته وخيراته، وأطل علينا بنوره ومسراته، ها هو غبطة

الصالحين وأمنية العباد الصادقين، قد حلّ بنا بأجوره العظيمة، ونسماته الإيمانية، لينادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

رمضان المبارك فيه الصيام والقيام، والقرآن والذكر، والصدقة والمواساة، والتفطير وقضاء الحاجات، فيه الأجور المضاعفة، والجنان المنفتحة، والنيران المغلقة، فيه تصفد الشياطين، وتسلسل مردة الجن، فيه الخيرات والبركات، والخصائص العظيمة والنفحات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم".^(١) رمضان هو رمضان منحة الرب جزيل العطايا والمكرمات، شهر الله المعظم، الموسم السنوي للتجديد والتدريب، والتربية والتهذيب، شهر المحاسبة لهذا الكدح الطويل.

شهر الأمانة والصيانة والتقوى والخير فيه لمن أراد قبولاً أيها المسلمون! حق لنا الفرح ببلوغنا الشهر العظيم، نفرح لما فيه من رفعة الدرجات، وتكفير الخطايا والسيئات ومضاعفة الأجور، وكثرة العطايا والهبات، ونيل الفوز وأعلى المقامات، لكن هذا لا يناله إلا من

(١) أخرجه النسائي برقم (٢١٠٨) وإسناده صحيح.

صام حقيقة الصيام، وقام بحق هذا الشهر حق القيام، من أدرك غايته، والعمل بآدابه، مع التوبة الصادقة، والمنافسة في أعمال البر والإحسان، والتسابق في الخيرات.

أيها المسلمون: غاية الصيام التقوى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، تقوى يتمثل فيها الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، تقوى صادقة دقيقة، يترك فيها الصائم ما يهوى حذراً مما يخشى، ولئن كانت فرائض الإسلام وأحكامه وأوامره ونواهيه كلها سبيل التقوى، فإن خصوصية الارتباط بين الصيام والتقوى تظهر بصورة أدق وأقوى.

يصوم القلب ويتقي إذا جرد العبودية لله وحده، خضع لجلاله وسعى لقربه وأنس بمناجاته، خلص من الشرك، وسلم من البدع، وتطهر من المعاصي، قلبٌ تقي، يرى الهوى والشهوة، والظن والبغي، والعداوة والبغضاء، والحقد والحسد، والغل والجدل أمراضاً قلبية فتاة تقتل الأفراد وتهلك المجتمعات والأمم، القلب الصائم التقي يرفضها ويتقيها، وصيامه ينفىها ويجفوها. وجوارح الإنسان الصائم عين وأذن ويد ولسان وفرج كلها محفوظة بالصيام والتقوى، صلح القلب، فصلحت الجوارح وقامت بحق الطاعة، وكفت عن الآثام، فالصائم تقي بأذنه، فلا يسمع محرماً، ويمسك لسانه، فلا يطلقه في الغيبة والنميمة،

والكذب وقول الزور، وعينه مصانة عن النظر إلى المحرمات، والبطن محفوظ وما حوى، قال عليه الصلاة والسلام: "الصيام جُنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشرة أمثالها".^(١) يتعدل السلوك، وتتقوم الأخلاق، وتصح الأعمال وتتهذب الجوارح بالصيام والتقوى.

أيها المسلمون! ورمضان ميدان الأعمال والمسابقة، فهو شهر القرآن والذكر، قراءة وترتيلًا، وتدبرا واتعاظًا، وعملاً وسلوكاً ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] نهاره صيام وليله قيام. جاء عن البشير النذير "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"^(٢)، في كل حرف منه عشر حسنات، ويحاج عن صاحبه يوم القيامة، وهو شفيع لقارئه، ونور له في قبره، وهدى وموعظة ونور مبين، وشفاء ورحمة وفرقان ونبأ عظيم، يقال لصاحبه يوم القيامة: "اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في

(١) رواه البخاري في الصوم (١٨٩٤) باب فضل الصوم، ومسلم في الصيام (١١٥١) باب فضل الصيام.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧). في كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ومسلم في صلاة المسافرين برقم (٧٥٩).

الدنيا"^(١)، من أفضل العبادات، وأجل الطاعات، قارئه الماهر مع السفارة الكرام البررة، ومن يتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران^(٢)، ومن خلا من جوفه كان جوفه كالبيت الخراب، هكذا صحت الأخبار عن النبي المختار عليه أفضل الصلاة والسلام، وهكذا فضل القرآن عموماً فما بالكم به في هذا الشهر الكريم ؟ فيا غبن ذاك الغافل اللاهي، الذي ضيع وقته في القيل والقال والملاهي، ويا خسارة تلکم الفئات المشغولة بأمور الدنيا الفانية؟!

أيها المسلمون! ورمضان شهر الإنفاق والبركات، والحب والمواساة، والعطايا والهبات، هكذا كان أفضل الخلق والبريات، وقد كان نبيكم ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ. يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٧٨٠) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وأخرجه أبو داود في سننه برقم (١٤٦٥) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. باب استحباب الوتر، كتاب الوتر.

(٢) رواه البخاري (٥٩٣٧) في تفسير القرآن سورة عبس وتولى، ومسلم (٨٩٨) في صلاة المسافرين.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦) في بدء الوحي ومسلم برقم (٢٣٠٨) في الفضائل.

أيها المسلم الكريم: قلبُ طرفك ووجهُ جهتك في بقع من الأرض كثيرة، فسترى الأوطان المسلمة استباحها الغرباء، وشعوباً تخطفها الموت والتشريد، وحقوقاً دفنها الباطل وغطتها المظالم، ومستقبلاً يكتنفه الغموض والظلام، هؤلاء البؤساء فيهم المنفي الذي يتلهى بالبكاء، والطريد الذي يهيم في الصحراء، وشبه الصحراء، تفرقوا تحت كل كوكب، وتشرذموا في كل صقع، إخوان لنا في الدين يعيشون أياماً قاسية، ويذوقون مرارات متنوعة، فيهم فقراء لا مورد لهم، ونسوة لا عائل لهن، وأيتام لا آباء لهم، ومشردون لا أوطان لهم، يتامى فقدوا أحضان من يرعاهم، أطفال يتضورون جوعاً، وآباء يتقطعون حشرات، وأمّهات مكلومات تحجر الدمع في أعينهن، هذه الصور وغيرها من موجعات القلب تجدها في كثير من البلدان المسلمة، وممن حولكم محتاجون ملهوفون، ثقلت عليهم أعباء الحياة، وتوالت عليهم نوائب الدهر، واشتد عليهم شظف العيش، وأهلكتهم الحاجة والديون، ويأتي رمضان ليجدد صلاح الصالحين وإحسان المحسنين، ويذكر الصوم الصائمين الذين يتمتعون بأفئدة رقيقة ونفوس إلى الخير سبابة؛ ليمدوا أيديهم بسخاء تفتيراً لصائم وسداً لدين مديون، وتلبية لحاجة محتاج، ومواساة لفقير ومسكين وأرملة ويقيم ومشاركة في عمل بر وإحسان، ودعوة إلى الخير وتحفيظ القرآن.

أيها المسلمون! هذا هو الصائم حقاً الذي عرف ربه صدقاً، وقام
بواجبه، وطلب جنة ربه ورحمته، وسعى لحصول رضوانه.
فاتقوا الله رحمكم الله! واتخذوا من بلوغكم الشهر دافعاً قوياً
للتوبة والعمل والقيام بالفرائض والسنن، اللهم قد أظلنا شهر رمضان
فسلمه لنا وسلمنا له، ووفقنا لصيامه وتقبله منا، اللهم وارزقنا فيه الجد
من العمل والقوة في الطاعة وحسن العبادة، وأعذنا فيه من الفتن ما ظهر
منها وما بطن، ونسألك اللهم التوفيق لكل خير والمزيد من كل بر،
وأوزعنا اللهم شكر نعمتك، ووفقنا لعمل صالح ترضاه، وأدخلنا
برحمتك في عبادك الصالحين، نفعلني الله وإياكم بالقرآن والسنة،
وجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله
لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله نعمه تترى، وإحسانه لا يحد، أحمدده سبحانه وأشكره،
وأتوب إليه وأستغفره أعطى فأجزل وأنعم فأسعد، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، عليه المعول، وإليه المستند، وأشهد أن سيدنا
ونبينا محمداً عبده ورسوله، عبد شكور يواسي الأحمر والأسود، صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه، القدوة في البر والإحسان والخلق الأمجد،
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : أيها المسلمون! هذا هو الشهر الكريم قد هلّ، وها هو
الضيف العزيز قد حلّ، الموفقون فيه ليلهم قيام ودعاء، ونهارهم صيام
وبر وإحسان، طرفهم مغضوض عن الحرام، وأذانهم لا تشنف بالحرام،
وألسنتهم رطبة بالذكر والقراءة والدعوة والدعاء، وجوارحهم خاضعة
لرب الأرض والسماء، لا تسمع منهم إلا خيراً، ولا ترى إلا سلوكاً
حسناً وعملاً صالحاً، أوقاتهم محفوظة، وساعات ليلهم ونهارهم
بالطاعات مملوءة، في الخير يتنافسون، وبالأعمال الصالحة يتسابقون،
المساجد ميادينهم، فيها يصلون ويقرؤون ويدعون ويذكرون ويعتكفون،
وقلوبهم خاشعة ولربهم خاضعة، وأفئدتهم بذكر الله هادئة مطمئنة،
أياديهم بالكرم سخية، يصلون القريب، ويعطفون على المسكين واليتيم،
هؤلاء- أيها المسلمون- هم الموفقون، وفي درب ربهم سائرون، عرفوا

حق شهرهم فاستقبلوه بالعزم على هذه الفعال، فحق لهم أن ينالوا غاية مناهم، الجنة ورضا مولا هم.

أيها المسلمون!

وفئات من المسلمين محرومة، وعن الأجور والخيرات مقطوعة، ليلهم سهر على الملاهي والمحرمات، عكوف على مشاهدة الفضائيات بما فيها من المكروهات والمحظورات، أو على اللهو والعبث والممنوعات، ونهارهم تأفف وتبرم، وضيق ونكد، تعاملهم سيء، وجوههم عابسة، وصدورهم ضيقة، وغيظهم حائق، لا يرون الشهر والصيام إلا جوعاً لا تقوى عليه بطونهم، إرادتهم في الخير ضعيفة، ونفوسهم في الشر كثيبة، هؤلاء صنف من المحرومين.

ومحرومون آخرون شحوا بما في أيديهم، في البذخ والإسراف يتسابقون، وفي بذل الخير يمسكون، وعن أعمال البر والصدقات والإحسان معرضون، أعطاهم الله تعالى من نعمه وأفضاله فبخلوا وأمسكوا، لا يعطفون على مسكين، ولا يحنون على يتيم، ولا تتحرك قلوبهم شفقة على أرملة ومشرّد وضعيف، في لهوهم غافلون، وعن إخوانهم المسلمين منشغلون، قلوبهم قاسية، وأفئدتهم مظلمة.

ومحرومون آخرون كسل وخمول، وبرود وفتور، تثقل عليهم الطاعة، عن صفوف الصلاة متأخرون، وعن أعمال الخير متشاغلون،

يرضون بالقليل، والصيام عليهم ثقیل، یکتفون بما قلّ وندر من الأعمال، لا یهمهم إلا النوم والكسل، همتهم دنیئة، وغایاتهم قریبة. ومحرومات من النساء جعلن الأسواق میادینهن، والتباهی بالمأكولات والمطعمومات همهن، وقتهن ضائع بالقیل والقال والغیبة والنمیمة، نهارهن نوم ثقیل، ولیلهن سمر طویل.

ومحرومون تعساء، أهملوا أسرهم رجالاً ونساءً، فی اللیل سمر مع الزملاء والأصدقاء، والنساء بین الهاتف والسوق والتباهی بالأزیاء، أولادهم فی شتات وضياع بین المسلسلات والشوارع، فهم أشقیاء لا یقرئونهم قرآناً ولا یسمعونهم ذكراً ولا علماً ولا دعاء، ولا یربونهم تربية حسنة.

أيها المسلمون!

هؤلاء أصناف من المحرومین، فحذار من الانخراط فی سلكهم أو الوقوع فی شراکهم، فنحن فی بداية شهرنا فاعزموا أن تكونوا من الموفّقین الذین فرحوا بنعمة ربهم بإدراکهم الشهر، فعزموا على الاستکثار فیهِ من الطاعات والنوافل من بعد الواجبات والفرائض، أتاکم رمضان شهر بركة، یغشاکم الله فیهِ، فینزل الرحمة، ویحط الخطایا، ویستجیب فیهِ الدعاء، ینظر تعالیٰ إلى تنافسکم فیهِ، ویباهی بکم ملائکته، فأروا الله من أنفسکم خیراً، فالشقی من حرم فیهِ رحمة الله، وصلوا وسلموا على الصائم القائم محمد بن عبد الله. كما أمرکم فی

كتابه الكريم حيث قال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً).

الجود في رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله أعاد وأبدى، وأنعم علينا من النعم والجود وأسدى،
أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من اتبع هداه، فلا يضل ولا
يشقى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، كرم رسولاً،
وشرف عبداً، وكان أسخى الناس في رمضان يداً، صلى الله وسلم
وبارك عليه وعلى آله وصحبه منارات الهدى، ومصابيح الدجى،
والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واهتدى.

أما بعد: اتقوا الله عباد الله، فبتقوى الله تزكو الأعمال، وتنمو
الأموال، وتُنال الدرجات، وتعلو المقامات.
أيها المسلمون!

شهر رمضان شهر البركات والخيرات، شهر الجود والإحسان،
شهر البذل والإنفاق، شهر المسابقة والمنافسة، وهكذا كان رسول الله
ﷺ أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، ويتضاعف
جوده في رمضان، وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان
أجود الناس كفاً، وأوسعهم صدرأ، وأصدقهم لهجة، وأوفاهم ذمة،

وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، وما سئل عن شيء قط إلا أعطاه، أتاه رجل فسأله، فأمر له بشيأ كثيرة بين جبلين من شيأ الصدقة، فرجع إلى قومه وهو يقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر^(١). قال عنه المولى سبحانه وتعالى: (وإنك لعلی خلق عظیم) [القلم: ٤].

ووصفه القائل:

هو البحر من أي النواحي أتته فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليثق الله سائله
هكذا كان عليه الصلاة والسلام، كان جواداً ليس بماله فقط،
جواداً بإبلاغ دعوة ربه، جواداً بالكلمة، جواداً بحبه لأمته، جواداً بجهدته
ووقته، جواداً بنفعه لأمته، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام.
ولقد تعلم أصحاب رسول الله ﷺ من نبيهم الجود والسخاء
والبذل والعطاء، حتى ليؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: (رأيت عائشة رضي الله
عنها تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع ثوبها، وأنها قسمت في يوم ثمانين
ومائة ألف بين الناس، فلما أمسّت قالت: يا جارية علي فطوري،

(١) رواه مسلم في الفضائل، (٢٣١٢).

فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكرتني فعلت).^(١)
أيها المسلمون!

الجود والبذل من أعلى الصفات النبيلة، والسمات المحمودة، أعلى منازل الكرم، وأفضل السجايا والخصال، صاحبه محبوب عند الله، مقدم عند الناس، له في القلوب منزلة عظيمة، وفي الآخرة درجات رفيعة، جاء في منشور الحكم: الجود حارس للأعراض، ومن جاد ساد، وجود الرجل يحبه إلى أضداده.

أيها المسلمون!

يظهر أمام الناس أن صورة الجود والكرم والبذل صورة واحدة، وهي الجود بالمال من بذل وعطاء، وصدقة وقربة وهدية وضيافة، وأنعم بها من صفة عالية، ولكن الجود أوسع من أن تكون له صورة واحدة، فدروب الخير كثيرة وحوائج الناس متنوعة، إطعام جائع، وكسوة عارٍ، وعيادة مريض، وتعليم جاهل، وإنظار معسر، وإعانة عاجز، وإسعاف منقطع، ودعوة إلى الخير، وأمر بمعروف، وشفاعة حسنة، وكلمة طيبة، تطرد عن أخيك همماً، وتزيل غمماً، تكفل يتيماً، وتواسي أرملة، وتفطر صائماً، وتكرم عزيز قوم ذلّ، وتشكر على

(١) انظر تحفة الأحوذى للمباركفوري ٣٩٥/٥.

الإحسان، وتغفر الإساءة، وتعفو عن الخطأ، وتشفع شفاعة حسنة تفك بها أسيراً، وتحقن بها دماً وتجربها معروفاً وإحساناً، تدعو لمسلم من مجاهد وضعيف ومريض، وتدخل السرور على قلب محزون.
أيها المسلمون!

من أعلى مراتب الجود: الجود بالعلم الشرعي وبذله بمختلف الصور، إقراء للقرآن وتعليماً لجاهل، وإرشاداً لضال، وتنبهاً على فعل خير، ودلالة على صواب، وبياناً لحق، وأمرأً بمعروف، ونهياً عن منكر، ودعوة إلى الله تعالى، وحثاً على سلوك قويم بقاعة علمية، أو في ساحة مسجد، أو في بيت، أو بكتابة كتاب أو بمحاضرة ودرس، بأي صورة من الصور، في الأرض أو في الجو أو في البحر.

أيها الصائم المتعلم الجواد، فتش عن أهلك وأقاربك، وجيرانك، ومعارفك؛ فستجد من لا يحسن قراءة الفاتحة، أو يجهل أحكام الصلاة المهمة، أو ما تقوم به أمور دينهم، وستجد أخطاء شرعية ومنكرات يظن أنها معروفة، فهنا يأتي جودك وسخاؤك وثمره تعلمك فضلاً أن تكون حاملاً للعلم، قارئاً للقرآن، مهتماً بتحصيل السنّة، متعلماً للأحكام الشرعية.

فيجب أن يكون جودك أعظم، وبذلك أقوى، تشارك هنا وهناك بما تستطيع، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

تَكْتُمُونَهُ، فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [ال عمران: ١٨٧].

أيها المسلمون! ومن مراتب الجود العليا، وهو من صفات الموفقين من عباد الله، المصطفين من عند الله: الجود بالجاء كالشفاعة الحسنة، والمشي مع الإنسان لقضاء حاجته، ومحاولة نفع الناس ومساعدتهم، والسعي في مصالحهم وتلبية طلباتهم، فإنه إذا أراد الله بعبده خيراً حبب إليه المعروف وإسداءه، وجعل قضاء حوائج الناس على يديه، ومن كثرت نعم الله عليه كثر تعلق الناس به، فإن قام بما يجب عليه لله فيها، فقد شكرها، وحافظ عليها، قال عليه الصلاة والسلام: "اشْفَعُوا تَوْجَرُوا وليَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ مَا شَاءَ"^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: "من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسرّه بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة". وجاء في الأثر: "إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع عباده، يقرهم فيها ما بذلوا، فإن منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم"^(٢). وفي الصحيحين: "ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته،

(١) رواه البخاري في الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً (٦٠٢٧)، ومسلم في البر والصلة، (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥١٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه محمد بن حسان السمطي وثقه ابن معين وغيره، وفيه لين، ولكن شيخه أبا عثمان عبد الله ابن زيد الحمصي ضعفه الأزدي، وانظر مجمع الزوائد ١٩٢/٨. والمعنى سليم

ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة".^(١)

ويكون هذا السخاء والجود لله تعالى وفي الله، لا لطلب شكر الناس ومدحهم إياه، ولا لأجل رياء وسمعة ومنّ على الناس وإنما يبذل معروفه طلباً لما عند الله، فإن الله يخلف على المنفقين الكرماء والأسخياء.

ويُظهر عيب المرء في الناس بخله ويستتره عنهم جميعاً سخاؤه تغطّ بأثواب السخاء فإنني أرى كل عيب بالسخاء غطاؤه قال علي رضي الله عنه: (يا سبحان الله! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير! عجبت لمن يجيئه أخوه لحاجة، فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً؛ لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبل النجاح) وقال بعض الحكماء: أعظم المصائب أن تقدر على المعروف ثم لا تصنعه.

أيها المسلمون!

ومن مراتب الجود الجود بالجهد البدني على اختلاف أنواعه،

(١) رواه البخاري في المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة، (٢٥٨٠).

وهو جود يقدر عليه صاحب كل بدن، يصور لنا رسول الله ﷺ صور الجود بالجهد البدني بقوله: "يصبح على كل سلامى من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة" متفق عليه. إنه لتصوير بليغ يجعل المسلم يحث الخطفى للمشاركة في سبيل هذا الجود، فالبخيل حقاً هو من بخل على نفسه، وحرّمها أجر هذا الجود في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون!

ومن مراتب الجود الجود بالمعاملة الطيبة مع الناس، والتخلق بالأخلاق الحسنة الفاضلة، فما أجل هذا الجود! وما أعظم تلك الخصلة! وما أطيب تلك الخلال، طلاقة في الوجه، وابتسامة في الثغر، وجمال في المنطق، ولطافة في العبارة، وصراحة في الألفاظ والتصرفات!

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

فضلاً عن الإحسان والبذل والتصدق، قال عليه الصلاة والسلام مبيناً أهمية هذا الجود وعظمه: " لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن

تلقى أخاك بوجه طلق" (١).

وهكذا كان رسول الله ﷺ قال عنه جرير البجلي رضي الله عنه: (ما حجبني رسول الله ﷺ، ولا رأي منذ أسلمت إلا ضحك).

أيها المسلم الصائم! قد لا تسع الناس بمالك وبجاهك، ولكنك تسعهم بخلقك وحلمك وكرمك وابتسامتك، وإنك لتعجب من أناس صامت بطونهم عن الأكل والشرب، ولكنهم - وبخاصة في هذا الشهر شهر الجود والبذل - وجوههم عابسة وصدورهم ضيقة، وألفاظهم بذية ونفوسهم حنقة، عجباً لمن لم ينل حظه من شهر الجود، فأضاع شهره ولم يستفد من صيامه، فكان بخيلاً شحيحاً حتى على نفسه، فاتقوا الله عباد الله، واجعلوا شهركم مدخلاً لكم في دائرة الأجودين الأكرمين. نفني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب، (٢٦٢٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الجواد، أفاض من جوده، وكرمه على الحاضر والباد، أحمده سبحانه وأشكره على ما تفضل به على جميع العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الشركاء، والأمثال والأنداد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه أهل السبق والفض، والأمجاد، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم التناد.

أما بعد، ونحن نتحدث عن الجود، هذه الخصلة النبوية الكريمة، التي لا يتصف بها إلا الكرام من العباد، وبخاصة في شهر الجود والكرم والعطاء يبرز لنا، الجود بالمال، والبذل فيه، وإنفاقه في سبيل الله، فاز به أهل الدثور، وسبقوا غيرهم بالأجور، فنالوا الدرجات العلى، والمقامات السامية، تسابقوا في هذا الميدان العظيم في صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو مسجد يبنى، أو نهر لابن السبيل يجرى، أو صدقة على مسكين، أو فقير، أو محتاج، أو يتيم يسدّ بها خلته، ويفرج بها كربته، أو مجاهد يعان في جهاده، أو مشروع علمي يرجي عموم نفعه، أو شاب يساعد على زواجه، أو بيت يؤمن فيه صاحبه أولاده، فضلاً عن الزكاة المفروضة، والحقوق الواجبة على الوالد والولد، والزوجة، والخادم، والقريب.

كم للجود- عباد الله - من فضل ومزية، كم جلب من نعمة،

ودفع من نقمة، وكم أزال من عداوة، وجلب من صداقة، وعمق مودة، كم تسبب من دعوة مستجابة من قلوب صادقة، رفع عنها المسلم بصدقته كربة.

هذا الجود بالمال يرفع درجتك، ويمحو سيئتك، كم أنت يا صاحب المال محتاج إلى هذا يوم يكون الحساب عليك عسيراً في مالك، فتأتي صدقتك، وإنفاقك، وبذلك، وعطاؤك، وجودك، وسخاؤك؛ ليكون بين يديك يقيك من النار، ويدخلك الجنة. "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يتقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلؤه حتى تكون مثل الجبل".^(١)

إن هذا الإنفاق، والبذل، والجود مخلوف عليك في الدنيا، فما نقص مال من صدقة، هكذا قال الصادق المصدوق، عليه الصلاة والسلام^(٢)، وقال سبحانه : ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب برقم (١٤١٠) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٦٨٦) من حديث عبد الرحمن بن عوف. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٤٢٣) عن أبي هريرة بلفظ : " ما نقصت صدقة من مال". وابن حبان في صحيحه في باب فضل الزكاة برقم (٣٢١٦). ولم أر زيادة (بل تزيده أو تزده) عند أحد من أهل الحديث، فضلاً عن أنها لا تصح صناعة؛ لأن أكثر من يرويها فإنه يرويها بالجزم (تزده) ولا موجب له.

أَجْرًا ﴿ [المزمل: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

فأنفق أيها الصائم المسلم من طيب مالك، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.

أيها المسلمون:

إن من المؤسف حقاً أن تجد من الأغنياء من لا يثنى لمتألم، ولا يتوجع لمستصرخ، ولا يحزن لبائس، تجرد من العاطفة وحنان الإخاء، لا يعطف على فقير، ولا يسهم في مشروع علمي أو إغاثي، قلوبهم كالصخرة الصماء، لا يؤثر فيها الأعاصير، ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوَّنُ بِهَا جَاثِمُهُمْ وَجُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْزُوتُ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

أيها المسلمون! إخوانكم الفقراء والمستضعفون، والمجاهدون في سبيل الله، وقد دخل عليهم فصل الشتاء، فهم في أمس الحاجة إلى جودكم، وكرمكم، وبخاصة في هذا الشهر المبارك الذي تضاعف فيه الأجور والحسنات، وترفع الدرجات، إن هؤلاء وأولئك ينتظرون دعمكم وسخاءكم، ولو بالقليل، فالقليل مع القليل كثير، أروا الله من أنفسكم خيراً،

فالله أعطاكم وأمدكم وأنعم عليكم، فأنفقوا بذلك " ولا تمهلوا حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا" ^(١) أنفقوا من أموالكم يكن لكم جنة، وسترًا عن النار، "واتقوا النار، ولو بشق تمره" ^(٢)، والصدقة تطفئ الخطيئة ^(٣)، وتطفئ غضب الرب ^(٤)، وتظل في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ^(٥)، ويأتي المسلم في ظل صدقته يوم القيامة لتدخله الجنة ^(٦)، هكذا صحت الأخبار عن النبي المختار، عليه الصلاة والسلام، فافتدوا به في الشهر المبارك، ولتكن النفوس سخية، والأيدي بالخير ندية، واستمسكوا بعري السماحة، ومن بذل اليوم قليلاً جنّاه غداً كبيراً، تجارة مع الله رابحة، ومن أنفق بالليل والنهار، والسر والعلن ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤١٩) في كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

ومسلم برقم (١٠٣٢) في كتاب الزكاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٤١٧) في كتاب الزكاة، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

ومسلم برقم (١٠١٦) في كتاب الزكاة عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٤٩٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ولفظه: "يا كعب بن عجرة.. إلى أن قال: والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار".

(٤) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٦٦٤) عن أنس بن مالك، وقال: حسن غريب، ولفظه:

"إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء".

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٤٢٣) في كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين عن أبي هريرة قال:

سبعة يظلهم الله..... إلى أن قال: ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.

(٦) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧٠٠٦) من حديث عقبة بن عامر، ولفظه: "كل امرئ

في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس".

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة : ٦٢﴾.

ثم صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة عليه تفوزوا دنيا وأخرى، قال جل وعلا: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

الحج : آداب ودروس وتربية

الخطبة الأولى

الحمد لله خص بيته الحرام بمزيد من التكريم والتفضيل، وافترض حجه على من استطاع إليه السبيل، فارتفع النداء على حج هذا البيت بأمر الله على لسان إبراهيم الخليل، أحمدده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الموحى إليه بأشرف تنزيل، صلى الله، وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه خير صحب وأكرم جيل، والتابعين ومن تبعهم، وسار على نهجهم، واقتفى أثرهم في الكثير والقليل، أما بعد:

عباد الله ! اتقوا الله ربكم، واحفظوا أمره، وعظموا شعائره، وحرماته ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

أيها المسلمون: في هذه الأيام المباركة، وفي هذا الشهر المبارك في أشهر الحج، يخطو الحجاج خطواتهم دالّفين إلى الأرض الطيبة، مزدلفين إلى المشاعر الآمنة، وقلوبهم متجهة لاهفة إلى بيت الله العتيق، ليؤدوا ركناً من أركان الإسلام العظيمة التي لا يقوم إلا بها ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وآخرون يشدون

الرحال للتوجه إلى تلك البقاع الطاهرة بقلوب مفعمة بالإيمان، راغبين راغبين، ويجمع هؤلاء وأولئك آصرة عظيمة، ورابطة كبرى سمت فوق كل الروابط، والعلاقات، لم يجمعهم لون أو دم، ولا قبيلة أو نسب، ولا مصالح دنيوية، أو أغراض سياسية، أو علاقات أرضية، يربط بينهم التقوى والعقيدة والتوحيد، جمعت الأسود والأحمر، والعربي والأعجمي، والصغير والكبير، والغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، (إنما المؤمنون إخوة) [الحجرات: ١٠] فلا رابط ولا علاقة، ولا أخوة أسمى، وأشرف ولا أعظم، ولا أجل من تلك الرابطة التي ارتضاها ربنا سبحانه وتعالى، وتظهر واضحة جليلة في الاجتماع في هذا المكان لأداء هذه الشعيرة العظيمة في هذا الوقت الموحد، والحركة الموحدة متجهة لرب واحد بلباس واحد، سبحانه ربي ما أعظمك! سبحانه ربي ما أروع تشريعك! سبحانه ربي ما أجل الاستجابة لك! تذهب فوارق اللغة واللون والجن والغنى، ويبقى الدين والإيمان والتوحيد.

أيها المسلمون: والمسلم المبارك، وهو يستعد لأداء هذه الشعيرة المباركة يختلج في نفسه مشاعر عدة، مشاعر الاستعدادات والتهيؤ، ومشاعر رجاء القبول من الله تعالى، ومشاعر تكفير السيئات، ورفع الدرجات، يرجو أن يقدم إلى مكة بكامل الاستعداد، ويرجو أن يكون حجه مبروراً وسعيه مشكوراً، ويرجو أن يعود من حجه، وقد خرج من

ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(١)، يقرأ ويسمع قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] ويقرأ ويسمع قوله عليه الصلاة والسلام: "والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" ^(٢)، ويقرأ، ويسمع أن الله تعالى يباهي بأهل الموقف، ويقول لهم عشية يوم عرفة، انصرفوا مغفوراً لكم.

هذه النصوص العظيمة، وهي تمر على ذهنه ومخيلته، وهو يستعد للحج رجاء الحصول على مضامينها، وما احتوته من تلك الفضائل، والرغائب.

أيها المزمع على الحج: ابدأ تفكيرك بالحج بالاستشعار القوي بأنك متوجه لأداء عبادة عظيمة، وأداء ركن من أركان الإسلام، وستبذل جزءاً من مالك، وجهداً من جهدك، وستترك بلدك وولدك، كل ذلك رجاء ما أعده الله تعالى لمن حج هذا البيت، فاستشعارك لهذا الأمر يعينك على أداء مهمتك بكل خشوع وخضوع.

وهذا الاستشعار يجعلك تجدد التوبة مع الله تعالى، لتقدم عليه مستغفراً تائباً، راجياً ما عنده، خائفاً من عدم القبول، وهذه بداية

(١) رواه البخاري في الحج، باب فضل الحج المبرور (١٥٢١) ومسلم في الحج، (١٣٥٠).

(٢) رواه البخاري في أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها (١٧٧٣) ومسلم في الحج،

الانطلاقة السليمة لأداء عبادتك.

وانظر بعد ذلك إلى مالك الذي ستنفقه لأداء هذا الركن العظيم، فخلصه من شوائبه، فقد ثبت عن النبي، ﷺ، أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا" ^(١) فمن حج بمال حلال فحجه مقبول، ودعاؤه مقبول، وخطواته كلها أجر وثواب ومن حج بمال مشبوه أو محرم فقد عرض جهده وتعبه وحجه للرد وعدم القبول.

أيها المتوجه للحج : خلص نفسك من مظالم الخلق بداية بالأقربين من الأسرة، والأقارب، والجيران، ثم ممن كان له حق عليك، لثلا يتعلق عملك، فلا يقبل، وتأتي غداً بأعمال كالجبال، ولكن لكثرة مظالمك توزع عليهم حسناتك، ثم لتعلم أيها الحاج الكريم أن أهم ما يعينك، ويسر حجك، ويقربك إلى الخير الصعبة الطيبة ، فانتقِ الحملة المعروفة بضبطها للمناسك واقتدائها بحج النبي، ﷺ، فللصعبة أثرها الذي لا يخفى، والقرين بالمقارن يقتدي.

أيها المسلمون: يا من نويتم الحج : شرطان عظيمان للحج المبرور بعد التهيؤ بتلك الاستعدادات: إخلاصه وتجريده لله سبحانه وتعالى، فيحج الحاج استجابة لأمر الله تعالى، واقتداء برسول الله ﷺ ورجاء لما أعده الله تعالى لحجاج بيته الحرام، وخوفاً من أليم عقابه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا

(١) رواه مسلم في الزكاة، (١٠١٥).

إِلَّا لِعِبَادُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ ﴿٥﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ ، [الزمر: ١٤]، والشرط الآخر: التأسي برسول الله ﷺ، فقد حج عليه الصلاة والسلام حجة الوداع، وعند أداء كل منسك يقول: "خذوا عني مناسككم".^(١)

حجاج بيت الله الحرام: إن مما يجرح القبول، ويؤثر فيه قضاء وقت الحج بالقييل والقال، والغيبة والنميمة، والكذب وقول الزور، والتعامل بالحرام، وعدم التوبة، وضياح الوقت سدى، فالمكان أفضل الأماكن، والزمان كذلك، والحال أداء الحج، فهذا وقت الرجاء والعمل والدعاء، فأين الموفقون؟

أيها المسلمون: يتجلى في الحج عظم توحيد الله تعالى، وترسيخه في القلوب، فانطلاقة الحاج، وشعاره التوحيد: (لبيك اللهم لبيك).. وذكره في الطواف الدعاء، والثناء على الله، وأعظم الذكر في أعظم وقت في يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فهذه الكلمة خير ما قال النبي، ﷺ، والنبيون من قبله، وما شرعت أعمال الحج كلها إلا لتعميق التوحيد.

ويتجلى في الحج عظم الاستجابة للمولى، جل وعلا، فامرأة الخليل عليه السلام تقول له لما تركه عند البيت: "الله أمرك بها؟ قال:

(١) رواه مسلم في الحج، برقم (١٢٩٧).

نعم "فاستسلمت، وأذعنت لأمر الله قائلة: "إذا لا يضيعنا الله" ^(١) ويأمر الله تعالى الخليل بذبح ابنه، فيستجيب ويستسلم، ويقابل الابن عليهما السلام الاستجابة بمثلها: ﴿يَبْنِيْ اِنَّ اَرَىٰ فِي الْمَنَازِلِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَابَعُ اَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿ (الصفات: ١٠٢)، وتأتي أعمال الحج كلها لتعمق هذا المعنى العظيم؛ فالطواف، والسعي، وتقبيل الحجر، ورمي الجمار، والوقوف، والمبيت تتجلى فيه هذه الاستجابة، يلهج لسان الحاج ليقول: لبيك اللهم لبيك.. معلناً استجابته لمولاه، وهكذا- عباد الله- حالة المؤمن مع ربه جل وعلا، في جميع أحواله وظروفه، استجابة وتلبية، فإذا سمع أمراً، أو نهياً قال: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

المؤمن الحق يستشعر في الحج، وغير الحج قوله تعالى: ﴿اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّاْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اَللّٰهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَّلَاجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نّٰكِرٍ ﴿٩٧﴾﴾ [الشورى: ٩٧]، وكذا قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ اِذَا قَضَىٰ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ اَمْرًا اَنْ يَكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ اَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وفي الحج تتجلى -أيها الإخوة- أخوة الدين، والتقوى والتنافس في تعمق التوحيد، والمسابقة في العمل الصالح، فلا فوارق إلا

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) برقم

بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الحج - عباد الله - يتجلى نفع عباد الله، فتجتمع أنواع من العبادة في هذا الوقت القصير، فانفع بما تستطيع النفع فيه بلسانك، وببدنك، وبجهدك، وبرأيك، وبمالك، وبعلمك، وبنصيحتك، ودعوتك، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وبإطعام الطعام، وطيب الكلام، والصدقة، والإحسان، فإن لم تستطع هذا، ولا ذاك، فاستعمل لسانك في الذكر، والدعاء، وكف الشر عن الناس، فذاك صدقة منك على نفسك..

هذا هو الحج - عباد الله - وهذه غاياته، وتلك آدابه، ودروسه، اللهم يسر على الحجاج حجهم، واحفظ عليهم أنفسهم وأهليهم، واخلف ما أنفقوا من أموالهم، وتقبل منهم، واجعل حجهم مبروراً، وسعيهم مشكوراً، وذنبهم مغفوراً، إنك سميع مجيب، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الحج كفارة للذنوب، أحمدته سبحانه وأشكره،
وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله ذكراً تطمئن به القلوب، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له علام الغيوب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً
عبده، ورسوله إلى كل قلب محبوب، صلى الله وسلم، وبارك عليه
وعلى آله وأصحابه ما تعاقب الشروق والغروب، والتابعي، ومن تبعهم
بإحسان، أما بعد:

أيها المسلمون: وفضل الله تعالى يتوالى على عباده المؤمنين،
فبالأمس انتهى شهر رمضان المبارك، وأعقبه أشهر الحج، وفي نهاية
هذا الأسبوع يأتي موسم من مواسم الخير، مغنم للمؤمنين، وميدان
لتنافس الصالحين، عشر ذي الحجة؛ أخرج البخاري رحمه الله، عن ابن
عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، أنه قال: (ما العمل في أيام
أفضل منها في هذه. قالوا: ولا الجهاد! قال: ولا الجهاد! إلا رجل خرج
يخاطر بنفسه، وماله، فلم يرجع بشيء) ^(١).

ها هو ميدان السعداء، أهل الحظ والتوفيق، الذين يلحظون هذه
المواسم، فيتقربون إلى المولى في الطاعات والقربات، في هذه العشر:

(١) رواه البخاري في الجمعة، باب فضل العلم في أيام التشريق (٩٦٩).

الحج إلى بيت الله الحرام، وفيه يوم عرفة أفضل أيام السنة، ما رُئي الشيطان أحقر، ولا أصغر منه في ذلك اليوم، وفيه يوم الحج الأكبر، يوم عيد الأضحى، وفيه نحر الهدى والأضاحي، عبادات وقربات عظيمة، وأجور موفورة، فأين الموفقون المجتهدون الباذلون الناصحون؟

في هذه العشر يستحب الذكر بأنواع من التكبير والتهليل والتحميد، والإكثار منه في البيوت والأسواق، وأماكن العلم وغيرها، قال عليه الصلاة والسلام: " فأكثرُوا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد)^(١)، فأحيوا هذه السنة التي تكاد أن تهجر، ويستحب الصيام، وبخاصة يوم عرفة لغير الحاج، فهو يكفر السنة الماضية والباقية، ويستحب الصدقة، والبذل والعطاء والتوسيع على المساكين والمحتاجين والفقراء، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فانهلوا من معين القربات تنالوا رحمة رب الأرض والسموات.

أيها المسلمون: تمر هذه المناسبات العظيمة، ولا زال كيد أعداء الإسلام بمختلف مللهم، ومذاهبهم يشنون الحروب، والمعارك العسكرية، والفكرية، وأقرب شاهد ما يقوم به اليهود - قاتلهم الله - في أرض فلسطين قتلاً، وتشريداً، وهدماً، وتخريباً، وتيتيماً، وتجويعاً، وليس العجب من أولئك الأعداء الألداء، بل العجب كل العجب من

(١) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم (٥٤٢٣).

أولئك المؤيدين لهم، والداعمين لأفعالهم مادياً، ومعنوياً، وقلباً للحقائق، فيوصف المسكين في داره، الذي يصب عليه العذاب صباً حين يقاوم بالإرهابي والمتطرف الذي يحتاج إلى تأديب، وذاك الغاشم المعتدي بالدفاع عن الحقوق والأمن، ألا قاتلهم الله أنى يؤفكون، والعجب أشد ممن يلبسون تلك الحقائق من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا مدافعين عن أولئك اليهود علناً، أو تصريحاً.

أيها المسلمون: تأتي هذه المواسم؛ لتوقظ الشعور الفياض، الذي يعيش في قلب كل مؤمن، ليستيقظ هذا الشعور، فيترجمه كل مسلم بعمله، ولسانه، وقلمه، وماله مدافعاً عن دين الله، تعالى، وعن حقوق إخوانه، دعاء لهم، وبذلاً من ماله مستغلاً هذه الأوقات الفاضلة، والأمكنة المباركة في عشر ذي الحجة، وفي يوم عرفة حال الحج، حقق الله الآمال، ونصر الأمة والدين، وخذل الكفار والمنافقين، وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، كما أمركم الله جل وعلا فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

صفة الحج

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وأمناً، والحج إليه أساساً من أسس الإسلام وركناً، أحمدده سبحانه وتعالى وأشكره على ما أنعم به تفضلاً ومناً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين، والآخرين إنساً وحيّاً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله الله تعالى للعالمين رحمة صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بالقرآن والسنة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث الإنس والجنّة، أما بعد:

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى: ﴿وَتَكَزَّوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

أيها المسلمون: الحج رحلة مباركة، تتشوق إليها النفوس المؤمنة، وتتلهف للقيام بها القلوب الواثقة بربها، وتتطلع إليها الأفئدة المطيعة لخالقها.

الحج رحلة طاعة وعبادة، وطلب وقربة، والحج رحلة تكليف، ومشاق في سبيل إرضاء الله تعالى، رجاء ما أعده سبحانه لحجاج بيته، وعشاق حرمه، رحلة تبدأ خطواتها الأولى بالتفكير، والتخطيط، والعزم

والتصميم، فإذا ما جاءت مثل هذه الأيام بدأ التنفيذ، والعمل.

أيها المسلمون: الاستعداد النفسي للحج من أهم ما يبدأ به الحاج رحلته الميمونة المباركة، فيهيئ نفسه لهذه الرحلة العبادية بأعمالها، ومشاقها، وتكاليفها البدنية والمالية، كل ذلك لينفقه ويبدله في سبيل الله تعالى، فإذا ما انضم إليه الإخلاص لله، عز، وجل، فأجره مضاعف، وثوابه جزيل، يهيئ نفسه لأعمال الحج طوافاً، وسعيّاً، ووقوفاً ومبيتاً، وحلقاً ونحراً ورمياً، يستشعر هذه الأعمال لتضيف إلى رصيد حسناته ما لا يعد، ولا يحصى، ويساعده هذا الشعور العظيم لتحمل تلك الأعمال، ومجاهدة النفس على أدائها.

هذه هي الانطلاقة الكبرى، ومن ثم يركب السيارة، أو الطائرة أو الباخرة متوجهاً إلى تلك البقاع الطاهرة، فإذا ما وصل إلى الميقات - أو حاذاه إن كان في الباخرة أو الطائرة - تجرد من ملابسه المعتادة ليلبس الرجل رداءين أبيضين نظيفين، بعد أن يغتسل وينظف جسده ويتطيب، وتلبس المرأة ما شاءت من الثياب وليس لها لباس معين، ولعل الحاج وهو يتجرد من لباسه، يستشعر أنه خلع الذنوب السابقة بعد أن خلع ثيابه المعتادة، وتنظف منها بعد أن نظف جسده، وعليه أن يطهر قلبه من جميع الأدران والأوساخ بعد أن طهر ظاهره، وأن يقبل على الله تعالى بصفحة بيضاء نقية بعد أن لبس لباسه الأبيض الطاهر.

فإذا تهيأ الباطن كما هيأ الظاهر، صلى إن كان وقت فريضة، وإن

دخل المسجد صلى تحية المسجد، ثم يحرم بالحج إن نوى أفراد الحج فقط قائلًا: (ليتك حجًا، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك، والملك، لا شريك لك) وإن نوى العمرة، والحج بنسكين منفصلين قال: (ليتك عمرة متمتعاً بها إلى الحج، لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..) وهذا ما يسمى بالتمتع، وإن نوى عمرة وحجاً متداخلين قال: (ليتك عمرة، وحجاً، لبيك اللهم لبيك..) وهذا ما يسمى بالقران، ولا مانع أن يضيف: اللهم يسره لي، وتقبله مني، فإن حسني حابس فَمَحَلِّي حيث حبستني، فإذا توجه إلى مكة يكثر من هذه التلبية يرفع بها صوته، ويُسرُّ بها المرأة بما تسمع نفسها، هذه التلبية التي فيها إعلانه الصريح باستجابته لنداء الله تعالى بهذا الحج، فلم يأت رياءً ولا سمعةً، ولم يطلب دنيا ولا جاهاً، ولا أي مقصد آخر، كما يعلن توحيدَه لله، سبحانه وتعالى، فالحج بدون التوحيد لا ينفع، وما الحج إلا ترسيخ لعقيدة التوحيد، يكثر منها ما استطاع؛ فهي شعار الحج، وهكذا فعل النبي ﷺ القائل: "خذوا عني مناسككم" ^(١). ولا مانع من بقية الأذكار، وتنويعها من الدعاء، والثناء على الله تعالى.

فإذا وصل إلى مكة استحب له أن يغتسل كما فعل النبي ﷺ، فإن لم يفعل فلا حرج، ثم يدخل إلى المسجد الحرام مقدماً رجله اليمنى داعياً بدعاء دخول المسجد، فإذا وصل إلى الكعبة قطع التلبية إن

(١) رواه مسلم في الحج، (١٢٩٧).

كان متمتعاً، ويبدأ طوافه بالبيت مبتدئاً بتقبيل الحجر الأسود إن استطاع دون مزاحمة، ولا إيذاء لنفسه، ومن معه، أو إيذاء للآخرين، فإن لم يستطع فيتسلمه بيده ويقبلها، فإن لم يستطع فيشير إليه قائلاً : الله أكبر.

ويبدأ طوافه بالبيت جاعلاً البيت عن يساره، ثم يستغل طوافه بما شاء من الأذكار، والأدعية، أو قراءة القرآن، وليس للطواف دعاء مخصوص، كما يظنه كثير من العامة، فله أن يدعو بما شاء، وإن قال بين الركن اليماني، والحجر الأسود: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، فحسن، ويطوف الحاج، أو المعتمر سبعة أشواط جاعلاً وسط ردائه تحت منكبه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر، ويستحب له الرمل في هذا الطواف - وهو الإسراع في المشي - في الأشواط الثلاثة الأولى، إن تيسر له ذلك دون مزاحمة أو إيذاء، وهذا الرمل للرجل دون المرأة، فلا رمل لها، وبعد انتهاء الطواف يصلي ركعتين خلف المقام إن تيسر ذلك، وإلا ففي أي موضع من الحرم ولا حرج، وبعد أداء الركعتين يتوجه إلى الصفا، وإذا قَدِمَ عليه قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] ثم يرقى الصفا إن تيسر ذلك، ويستقبل القبلة، ويحمد الله، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم

الأحزاب وحده، ثم يدعو رافعاً يديه بما تيسر من الدعاء، ويلح في الدعاء، ثم ينزل من الصفا متوجهاً إلى المروة، حتى يصل إلى العلم الأول، فيسرع الرجل، ويهرول إلى العلم الثاني، والمرأة لا تسرع، ويواصل سيره إلى المروة، ويقول عندها ما قال عند الصفا، ثم ينزل إلى الصفا، ويكرر ذلك سبع مرات، ذهابه مرة، ورجوعه مرة، وفي سعيه يستحب الإكثار من الذكر والدعاء وقراءة القرآن، فإذا ما انتهى من الشوط السابع حلق رأسه، إن كان متمتعاً، أو قصر، والحلق أفضل، وإن كان قارناً، أو مفرداً بقي على إحرامه حتى يوم النحر.

أيها المسلمون! هذا هو الطواف والسعي، وليعلم الحاج أن الطواف بغير الكعبة لا يجوز، هكذا تعبدنا الله تعالى، وهكذا فعل النبي، ﷺ، ونحن أمرنا بهذا التعبد، وتلك الاستجابة، كما قال عمر رضي الله عنه عندما قبل الحجر: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ، ﷺ، يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ^(١)، وهكذا جميع الشعائر التعبدية مبنية على التعبد والاستجابة، وفي الطواف - عباد الله - يحذر الحاج من المزاحمة، والإيذاء ليطوف ويسعى بخشوع، ورغب، ورهب، وتتجنب النساء الزينة والروائح العطرية مما يلفت إليهن الأنظار، فيفتن نفوسهن،

(١) رواه البخاري في الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٩٧) ومسلم في الحج،

ويفتن القلوب المريضة.

أيها المسلمون! يبقى القارن، والمفرد على إحرامه، أما المتمتع، فيحل من إحرامه ويعود حلالاً، ويحل له كل شيء حرم عليه أثناء الإحرام حتى ضحى اليوم الثامن، فيحرم من جديد، ويفعل عند إحرامه ما فعله عند الميقات، وهكذا أمر النبي ﷺ، أصحابه الذين أحلوا من إحرامهم، فإذا جاء ضحى اليوم الثامن خرج جميع الحجاج إلى منى رافعين أصواتهم بالتلبية والتهليل، والتكبير، والدعاء، ويستقرون ذلك اليوم في منى، ويسمى يوم التروية؛ لأن الحجاج كانوا يستعدون بالماء ليوم عرفة، فيردون الماء، ويصلون بمنى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء قصراً بدون جمع كل صلاة في وقتها، كما فعل النبي ﷺ، ويبيتون بها ليلة التاسع، وهذا المبيت سنة لمن تيسر له ذلك، ومن لم يتيسر له فلا حرج، ويصلون بها فجر اليوم التاسع، وبعد طلوع الشمس يتوجهون إلى عرفة، ويستقر بها الحجاج طوال ذلك اليوم، ويصلون بها الظهر والعصر جمعاً وقصراً في وقت الظهر، ويسن لإمام المسلمين أن يخطب في الناس، أو من ينييه ليعظهم، ويذكرهم بأهمية هذا اليوم، وبقية مناسكهم، وما يهمهم من أمور عقيدتهم ودينهم، وهذا اليوم العظيم هو أفضل أيام السنة على الإطلاق، فينبغي للحاج أن يكثر فيه التضرع، والخضوع والإلحاح في الدعاء، والإكثار من التلبية، والتهليل، وتجديد التوبة، والإنابة، فقد جاء في الحديث: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا، والنبيون من قبلي:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" ^(١). وفي هذا اليوم العظيم يجود الله تعالى على عباده، ويباهي بهم ملائكته، ويكثر فيه من العتاق من النار، وما رُئي الشيطان أذحر، ولا أصغر، ولا أحقر منه في يوم عرفة إلا ما رُئي يوم بدر، وذلك لما يرى من جود الله على عباده، وإحسانه إليهم، وكثرة عتقه، ومغفرته ^(٢)، ويدنو الله تعالى عشية عرفة، ويباهي بأهل الموقف ملائكته، ويقول: ما أراد هؤلاء؟ ^(٣) فينبغي للمسلم الحاج أن يري من نفسه خيراً، وأن يهين عدو الله، ويحزنه بكثرة الذكر، والدعاء، وتجديد التوبة، والاستغفار، ولعموم فضل الله تعالى فقد شرع رسول الله ﷺ، صيام ذلك اليوم لغير الحاج؛ لأن الحاج مشغول بطاعة أعظم، فصيام ذلك اليوم يكفر سنتين؛ الماضية، واللاحقة، ويستقر الحجاج في عرفة حتى غروب الشمس لينصرفوا منها بعد ذلك إلى مزدلفة. نسأل الله تعالى أن ييسر على الحجاج حجهم، ويتقبله منهم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الترمذي في الدعوات، باب دعاء يوم عرفة (٣٥٨٥).

(٢) كما في الموطأ لمالك في كتاب الحج (٩٦٢).

(٣) كما في صحيح مسلم في كتاب الحج، باب فضل يوم عرفة (١٣٤٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الحج خامس أركان الإسلام، وأحد مبانيه العظام،
أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظيمة ما توالى الليالي والأيام،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال، والإكرام،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك
عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم يبعث الأنام، أما بعد :

أيها المسلمون: وبعد غروب شمس يوم عرفة يتوجه الحاج إلى
مزدلفة ملبين مهللين بسكينة ووقار، فإذا ما وصلوها صلوا بها المغرب
والعشاء جمعاً وقصراً، وباتوا بها تلك الليلة إلى طلوع الفجر من يوم
العيد، وهكذا عمل رسول الله، ﷺ، إلا لمن كان معه ضعفاء، ونساء،
ومرضى، فله أن ينصرف منها بعد منتصف الليل، فقد أذن، عليه الصلاة
والسلام، بذلك وقبل طلوع الشمس يتوجه الحاج إلى يوم منى في
صبيحة يوم العيد حتى يصل إلى جمرة العقبة، وهي الجمرة الكبرى
التي تلي مكة، فيبدأ الحاج أعمال اليوم العاشر برميها بسبع حصيات كل
حصاة قدر حبة الحمص متواليات، وليس مجتمعات، يكبر مع كل
حصاة، وحيث تنقطع التلبية، ويبدأ التكبير، ثم ينحر المتمتع والقارن
هديه إن تيسر له ذلك، ويحلق الرجال رؤوسهم، أو يقصرون، والحلق

أفضل، فقد دعا عليه الصلاة والسلام للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة واحدة^(١)، والمرأة تقصر من شعر رأسها قدر أنملة أصبع، تجمع صفائرها، وتقصها بهذا المقدار فقط، وبعد ذلك يبقى على الحجاج طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج لجميع الحجاج، والسعي على المتمتع، أو القارن، والمفرد اللذين لم يسعيا مع طواف القدوم الأول، فإذا أتى الحاج باثنين من هذه الأفعال الثلاثة؛ الرمي، والحلق، والطواف، فقد حل له كل شيء حرم عليه أثناء الإحرام إلا النساء من جماع ومقدماته، وعقد نكاح، فإذا أتى بالفعل الثالث حل له كل شيء حتى النساء.

ويستقر الحجاج بمنى ذلك اليوم، ويبيتون بها ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر، ويرمون الجمار الثلاث كما رموا جمرة العقبة، يبدأون بالجمرة الصغرى، وهي التي تلي منى، ثم الوسطى، ثم الكبرى، وذلك في اليوم الحادي عشر، وفي اليوم الثاني عشر، ثم لا يبقى على الحاج إلا طواف الوداع - وهو واجب إلا على الحائض، والنفساء - إلا لمن أراد التأخر، وهو أفضل اقتداءً بالنبي، ﷺ، لكن كلاً الأمرين

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب الحلق والتقشير عن الإحلال (١٧٢٧) ومسلم كتاب الحج برقم (١٣٠١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأحمد في المسند برقم (٢٦٨٥٨) من حديث أم الحصين الأحمسية رضي الله عنها.

التعجل، أو التأخر جائز، كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣] ومن تأخر عليه أن يبيت بمنى ليلة الثالث عشر، ويرمي الجمار في اليوم الثالث عشر، فإذا طاف الحاج طواف الوداع انصرف إلى أهله، داعياً مستغفراً حامداً الله تعالى على فضله ومنته.

أيها المسلمون!

على الحاج أن يحذر من مقارفة محظورات الإحرام إذا أحرم للحج والعمرة؛ من حلق الشعر، وتقليم الأظافر، والتطيب، ولبس المخيط المحيط بالبدن؛ كالثوب، والفانيلة، والبنطال، وتغطية الرأس، وجميع ما يتصل بالنساء من خطبة وعقد نكاح، وجماع، أو مقدماته، وكما يحذر من هذه المحظورات يحذر من مفارقة الآثام؛ كالغيبة، والنميمة، والكذب وضياع الأوقات بالذهاب والإياب، وكثرة الضحك والمزاح، وتضييع الصلوات، ويحرص على استغلال هذا الوقت القصير الفاضل في هذا المكان الفاضل حال أداء هذه العبادة الفاضلة، وأن يحرص على تأدية حجه كما أداه النبي ﷺ، القائل: "خذوا عني مناسككم" ^(١) ومن جهل شيئاً فعليه بالسؤال والقراءة، فسبل التعلم والسؤال متيسرة، والحمد لله، تقبل الله من جميع الحجيج حجهم،

(١) رواه مسلم في الحج، (١٢٩٧).

وطاعتهم ودعاءهم، ويسر سبلهم، وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين كما أمركم الله تعالى بقوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً).

الأمر بالمعروف (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي المجيد، المدبر لخلقه كما يشاء، وهو الفعال لما يريد، أحمدده سبحانه وأشكره ، أحكم ما خلق وشرع، فهو الحكيم الرشيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الولي الحميد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أشد الناس غيرة في دين الله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، فنعم الأقوياء ونعم العبيد، وعلى التابعين لهم بالإحسان والتسديد، أما بعد:

عباد الله: اتقوا الله تعالى يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم. أيها المسلمون! إن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق في هذه الحياة شرع لهم ما يناسب حالهم، ويصلح شأنهم، ولا يتعارض مع أسس حياتهم، ومن حكمته جل شأنه وتقدسست أسماؤه، أن جعل في الخلق مؤمناً صالحاً، وكافراً طالحاً، وفاسقاً عاصياً، وجعل استقامة الحياة وأمنها وصلاحها بفعل وسائل الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله جل وعلا، وبذل النصيحة، فلهذا كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس إذا قامت بهذه المهام العظيمة:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أيها المسلمون!

ولهذا جعل الله لهذا المبدأ العظيم فضائل عظيمة، وحكماً
جليلة، فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أكبر عوامل الصلاح
في النفس، والإصلاح في المجتمع، به يعلو الحق، ويندحر الباطل،
ويعز المؤمن، ويذل الفاسق، به تقوم السعادة والإيمان، وينتشر الخير
والأمان، به يصلح الفاسد، ويقوم المعوج، وترتفع درجات المؤمن.

يقول أحد العلماء: (إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو
القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين
أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه، وعمله لتعطلت النبوة،
واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة،
واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم
يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد). ١. هـ

أيها المسلمون:

إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وظيفة الرسل الكرام،
عليهم الصلاة والسلام، يقول جل وعلا في صفة نبينا محمد، ﷺ:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهو من صفات المؤمنين الصادقين، يقول سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَنُتُوا الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وجعل سبحانه ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من
صفات المنافقين، ويقول جل شأنه: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وجعل الله سبحانه وتعالى خيرية هذه الأمة معلقة بقيامها بالأمر
بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أيها المسلمون: اعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب من واجبات الدين، وفرض من فرائضه لا يقوم الإسلام إلا به،
يقول سبحانه: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالله سبحانه أمر بأن تقوم طائفة من هذه الأمة بهذا الواجب
العظيم، وأنه لا يتم الفلاح إلا به، ولذا جاء في الحديث الصحيح، فيما

رواه مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).^(١)

أيها المسلمون! إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد كل بحسبه ومكانته، وحسب استطاعته، فالسلطان، والقاضي، والوزير، والمدير، والموظف، والمدرس، وولي البيت، والرجل، والمرأة، والشيخ، والشاب مهما اختلف السن، أو الوظيفة، فالواجب على كل فرد أن يأمر، وينهى باليد إن كان يستطيع ذلك، كولي الأمر، ورب الأسرة، وإن لم يستطع، فبلسانه في بيان الحق وتوضيحه، والنهي عن الباطل، وإن لم يستطع، فلا أقل من إنكار المنكر في قلبه، وظهور علامات ذلك في وجهه.

أيها المسلمون: لقد رتب الله سبحانه وتعالى النجاة، والسلامة من مصائب الدنيا، وعقوبات الآخرة بقيامها بهذا الواجب العظيم، ورتب حصول العقوبات، والبلايا، والمحن على ترك هذه الشعيرة العظيمة يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد، أو باللسان، أو بالقلب، برقم (٢١٧٢) عن أبي سعيد، رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

الْشَّوْءَ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥]. وروى البخاري وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً".^(١) وروى الترمذي، وغيره بإسناد حسن، عن حذيفة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعونه، فلا يستجيب لكم"^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟ برقم (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بشير، رضي الله عنه. وأخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٦٤٧) من حديث النعمان بن بشير، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، برقم (٢١٦٩) عن حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه. وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٧٩٠) من حديث حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

وروى أصحاب السنن بإسناد صحيح، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده".^(١)

وفي رواية لأبي داود: "ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرון على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب".^(٢) أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى لعن بني إسرائيل لأنهم لا يتناهون عن منكر فعلوه، وهذه قاعدة عامة وسنة كونية، فإذا انتشر المنكر في الأرض، وعمت الخطيئة، وتساهل الناس في الإنكار، عاقبهم الله سبحانه وتعالى صالحهم وطالحهم، مؤمنهم وفاسقهم، فإذا دعا صالحوهم فلا يستجاب لهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) كَانُوا لَا

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب، برقم (٢١٦٨) عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥). وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده برقم (٣٠) من مسند أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.

(٢) رواية أبي داود هي المخرجة في الحاشية رقم (٣).

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴿[المائدة: ٧٩، ٧٨].

وروى البيهقي وغيره عن جابر رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، ﷺ: "أوحى الله إلى جبريل عليه السلام، أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها، قال: يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال: فقال: اقلبها عليه، وعليهم فإن وجهه لم يتمر في ساعة قط" (١).

فاتقوا الله عباد الله! وقوموا بهذه الشعيرة العظيمة كل بحسبه، وبحدود قدرته، ودائرة اختصاصه، تأمنوا عذاب الله وعقوبته أفراداً وجماعات في الدنيا والآخرة ﴿وَلْيَنْصُرِكُمُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١١﴾ ﴿[الحج : ٤٠ ، ٤١].

أسأل الله تعالى أن يقينا عقابه في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، نفعمي الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٣٦/٧ ، برقم (٧٦٦١) عن جابر رضي الله عنه. وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا عمار بن سيف تفرد به عبيد بن إسحق العطار، وهو ضعيف، إلا أنه جاء من وجه آخر عند البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٥٩٤) عن مالك ابن دينار، وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ من قول مالك بن دينار، وقد روى مرفوعاً، وذكر رواية جابر رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي فتح لعباده طريق الفلاح، وأرشدهم على ما فيه الخير والصلاح، فمن سلك هذا الطريق فله الفوز والنجاح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق الحب والنوى وفالق الإصباح، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الذي بددت رسالته ظلمات الجهل والظلم كما بدد ظلام الليل نُورُ الصباح، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان ما أشرق الفجر ولاح، أما بعد:

عباد الله!

اعلموا أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يؤتي ثماره اليانعة، ونتائجه الطيبة إلا إذا كان مقروناً بالإخلاص لله سبحانه وتعالى، لا يقال: أمر ونه، ولا ليكسب سمعة أو جاهاً، ولا ليتكلم في جرائته وشجاعته، بل يطرح كل هذه المقاصد الدنيوية، ويتجه إلى تحقيق الطاعة لرب البرية، فالأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وعلى من يقوم بهذه المهمة أيضاً أن يتلبس بلباس التقوى، والخلق الكريم والرفق في الأمر والنهي، وأن يستعمل الأسلوب المناسب، والعرض الملائم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ليكن أمرك بالمعروف، وليكن نهيك عن المنكر غير منكر، وقد روى البخاري، وغيره أن رجلاً أعرابياً بال في المسجد بحضرة النبي ﷺ، فهتم به الصحابة رضي الله عنهم ليزجروه، فقال النبي ﷺ: " لا تزرموه - أي لا تقطعوا عليه البول - ثم قال: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء، وفي رواية: دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء - أي دلواً - فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين^(١)، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِأَلْسِنَةِ حَسَنَةٍ﴾ [النحل: ١٢٥].

وينبغي للأمر، والناهي، والداعي أن يلتزم ما يقول، ويأمر به، وإلا فلن يؤدي إلى نتائج مثمرة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً	إن عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً	والموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين بها	وأنت أكثر منهم رغبة فيها

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم (٢٢٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول، برقم (٢٨٥) عن أنس بن مالك،

ولفظ: (لا تزرموه) لمسلم.

كما أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٢٥٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

فاحرص أيها المسلم أن تطبق، وتعمل بما تقول.

أيها المسلمون! إن الناظر في أحوال عامة المسلمين يجد منكرات كثيرة، ومعاصي عظيمة. وفتناً مهلكة، ويرى تقاعساً واضحاً تجاه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فأصبحنا في فتن عظيمة كالأمواج المتلاطمة، فإذا لم يدرك كل واحد منا مسؤوليته وأمانته، ويقوم بواجبه، ويتقي الله في أعماله، فسنة الله ستجري علينا.

فالله الله، أيها المسلمون! والمبادرة المبادرة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ابتداء بأنفسنا، ثم في بيوتنا لأبنائنا وبناتنا، وإخواننا وأخواتنا، وأسرنا، كل حسب استطاعته وقدرته وسلطته، وما منحه الله، سبحانه وتعالى من إمكانيات وقدرات.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه،
ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله
الأولين والآخرين، وأشهد أن نبياً محمداً عبده ورسوله، وصفيه
وخليله، وصفوته من خلقه، قائد الغر المحجلين، صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى حق التقوى، وتعاونوا على البر
والتقوى، وقوموا بعبادة ربكم في الجهر وما يخفى، وتجنبوا المنكرات
في السر والنجوى، تفلحوا في الآخرة والأولى.

أيها المسلمون! تحدثنا في جمعة سابقة عن أهمية الأمر
بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله عز وجل، وعرفنا أن
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الناس أجمعين، ومهمة
الصالحين، وأبرز صفات المؤمنين الصادقين، والعلامة الفارقة بين
الموحدين والمنافقين، وفعله والقيام به سبب للفلاح والنجاة يوم الدين،
وتركه وإهماله سبب لعقوبة الناس أجمعين، كما حدث في عصور

السالفين، قال تعالى في قصة أصحاب السبت عن الفرقة الناهية: ﴿لَمْ يَعْطُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] ومع هذا كله، فلن يعدم الداعي استجابة، ونفعاً من أمره ونهيه، فالذكرى تنفع المؤمنين.

أيها المسلمون! ومن الملاحظ على كثير من الناس أنهم يدعون أن الإنسان يهتم بنفسه فقط، فإذا استقام واهتدى فلا يهمه أمر الآخرين أضلوا أم اهتدوا، نجوا هلكوا؟ ويستدلون بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وهذا بلا شك تصور خاطيء، وقصور في الفهم، واستدلال في الآية في غير موضعها، فمن ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لم يهتد، ولما خشي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أن ينتشر هذا المفهوم الخاطيء قال، رضي الله عنه: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"، وفي رواية أبي داود قال: "ما من قوم يعمل فيهم

بالمعاصي يقدرّون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك الله أن يعمهم بعقاب".^(١)

أيها المسلمون! إن الناظر في حال كثير من المسلمين يجد ممارسات عملية لكثير من المنكرات، ولا يتحرك فيهم ساكن، كالشرك بالله عز وجل من مثل دعاء الصالحين، والاستغاثة بهم من دون الله عز وجل، أو اللجوء للأموات والقبور والأضرحة وغير ذلك من الأمور الشركية الصريحة، وكذا تجاه بعض الأمور الكفرية، كالاستهزاء بالدين أو بالرسول ﷺ، وترك الصلاة عمداً، أو كبعض الأمور الكبيرة كالتماعل بالمحرمات كالربا، والغش، والخداع، وصرف الأموال في غير مصارفها الشرعية، أو السخرية بالعلماء والمصلحين والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكذا التساهل في الأمور المنزلية من تربية الأولاد من بنين وبنات، وتنشئتهم أحياناً على شبهات في الدين، أو شهوات في النفوس، وجلب الأشياء التي تنشئهم على حب الرذيلة، وميوعة التصرفات، فينشؤون نشأً غير صالح، وكذا ما يعاش في الأسواق، والشوارع من انتشار المجلات الساقطة، ونحوها التي تأمر بالمنكر

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب، برقم (٢١٦٨) وقال: حديث صحيح.

علانية، وتنهى عن المعروف، وكذا المنكرات الفكرية مما ينشر ما يخالف الإسلام، ويشكك في الدين، ويسهل المنكر، وكذا ما يتصل بالفحشاء من تبرج وسفور، وتساهل في الخروج من المنزل، وغير ذلك من المنكرات العظيمة التي تغضب الله جل وعلا، وتسبب الفرقة، والخلاف، والشقاق، والعقوبة على الفرد، والمجتمع عاجلاً أم آجلاً.

فاتقوا الله عباد الله! ومروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر في أنفسكم، وفي بيوتكم، وفي مؤسساتكم، وما وقع ما وقع من تفشي كثير من المنكرات في البيوت وغيرها، إلا من تساهل عموم الناس، وصار كل فرد منا يجعل المسؤولية على غيره، ولم يع أنه مسؤول في حدود ما منحه الله جل وعلا، والمجتمع كالسفينة الواحدة إذا أحدث فيها خرق واحد في أسفلها سبب هلاك من في السفينة كلهم إذا لم يأخذوا على يد من قام بهذا الخرق.

أيها المسلمون!

ليعلم كل أمر وناصح وموجه ونه أن الأمر لا يحتاج إلى قوة، أو عنف، بل الأمر سهل، وميسور إذا استعمل كل فرد صلاحياته، ومسؤولياته، فلا يجوز استعمال القوة إلا لمن يملكها، كالسلطان في سلطانه، والأب في بيته، ولكن هناك وسائل كثيرة، كالنصيحة المباشرة

المصحوبة بالابتسامة، والرسالة الرقيقة، وإهداء الكتاب النافع، أو الشريط المفيد المناسب للموضوع.

فاتقوا الله عباد الله، وتحلوا بصفات المتقين الأبرار، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون! إن المسلم - أيا كان موقعه - في حال أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر عليه الأمر، والنهي، وليس عليه الاستجابة، فالرسول، ﷺ، لازم عمه أبا طالب يدعوه، ويأمره، ويطلب منه أن يقول: لا إله إلا الله، ولم يستجب، حتى مات على ذلك، ومع ذلك، فقد استمر الرسول، ﷺ، في دعوته، وتوجيهه، وحزن الرسول، ﷺ، على ذلك، حتى أنزل الله عليه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذا يؤكد على كل فرد أن يستمر في التوجيه، والدعوة، والإرشاد، فالداعي مهمته البلاغ، ويكفي في ذلك الإعذار إلى الله، سبحانه، والخروج من عهدة التكليف، والمسؤولية، كما قال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) [المائدة: ٧٨، ٧٩].

أيها المسلمون! اعلّموا أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر، فهو فرض كفاية على عموم المسلمين، وفرض عين على كل مسلم قادر إذا لم يقم به غيره، لقول الله جل وعلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وروى مسلم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، ﷺ: "من رأى منك منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (١).

فليس الأمر بالخير، والمعروف، وإرشاد الناس، وتوجيههم، وتصحيح أخطائهم، وتقويم سلوكهم قاصراً على فئة معينة من الناس، كالهيئات الرسمية فقط، فهؤلاء تعيّن عليهم هذا الأمر، وصار في حقهم أكد ولهم أن يستعملوا من الوسائل، والأساليب ما في حدود استطاعتهم، وإمكاناتهم، وصلاحياتهم مما فوضهم فيه ولي الأمر، ولكن الواجب أيضاً يعم كل فرد مسلم كل بحسبه، وكل هيئة رسمية، أو غير رسمية بحسبها، وبالوسيلة المناسبة، والأسلوب الحكيم، فالسلطان أمر بالمعروف داع إلى الخير ناهٍ عن المنكر في حدود سلطانه، والقاضي في حدود قضائه، والمسؤول في التعليم، والمدرس في دائرة

(١) انظر الخطبة السابقة حاشية رقم (١) من الأمر بالمعروف.

اختصاصه، وموظف الإعلام المسموع، والمرئي في إذاعة، أو تلفاز، أو صحيفة، أو مجلة، فالمهمة على عاتقه كبيرة، والمسؤولية في هذا الباب جسيمة، كيف، وأجهزة الإعلام دخلت إلى كل بيت وغرفة! وتلك أدوات، ووسائل، فمن يملك المشاركة فيها، فهو من أعظم المسؤولين عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكذا كل مسؤول موظف في كل جهاز، ومؤسسة كل في حدود مهمته، وقدراته، واستطاعته، فهم أمرون، وموجهون، وناهون.

أيها المسلمون! ومن أعظم المسؤولين في الأمر، والنهي رب الأسرة، وقيمها ووليها، فقد يستطيع أن يأمر، وينهى بما لا يستطيع غيره: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته" ^(١) كل بحسبه، وقدراته، واستطاعته، فتعاونوا -عباد الله- على ذلك، واستمروا عليه، وكونوا عوناً لكل أمر، ونه، وداع إلى الله، وادعوا للآخرين بالمعروف، والناهيين عن المنكر، وكفوا عن تجريحهم، وتصيد أخطائهم، وناصرهم، وادعوا لهم بالإعانة، والتوفيق، فهؤلاء سواء كانوا جهات رسمية، أو غير ذلك يشكلون حاجزاً من عقوبة الله، جل وعلا، في الدنيا والآخرة، قوموا بمسؤولياتكم، ولا تقصروا، وبخاصة فيما تقدرون عليه مما يتصل

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣) عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

ببيوتكم، ونسائكم، وأبنائكم، وبناتكم، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الله الله في ذلك، فالأمر خطير، والنعم لا تدوم إلا بشكرها، والمحافظة عليها على منهج الله عز وجل، ومن أهم المحافظة: التواصي بالحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الله الله في ذلك قبل أن تندموا، ولات ساعة مندم، وصلوا، وسلموا على خير الدعاة، والأميرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، كما أمركم الله جل وعلا في محكم التنزيل فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الرحمة

الخطبة الأولى

الحمد لله، وسعت رحمته كل شيء، أحمده سبحانه وأشكره،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا
محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾

[الحديد: ٢٨].

عباد الله ! لقد رضي الله تعالى لنا الإسلام ديناً، فأتم به النعمة،
وأزال به الغمة ، وعم به الخير، وشاعت به الفضيلة، والرحمة..
وضوحاً في العقيدة والتوحيد، وسهولة في العبادة، وسمواً في الأخلاق،
والفضائل، وعلواً في المقاصد، والغايات. والمسلم الحق، وهو يعيش
بإسلامه في هذا التصور الشامل لهذا الدين الرحيم متذكراً نعمة الله،
تعالى، حيث حقق السعادة والطمأنينة والخير والأمن والأمان، والحياة
الطيبة والعيش الرغيد.. والرحمة في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون!

إن من مقاصد الإسلام العظمى، وغاياته الكبرى إشاعته لكل

خير، ونبذه لكل شر، والرسول عليه الصلاة والسلام، ما من خير إلا دل أمته عليه، وما من شر إلا حذرهما منه (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) ^(١).

وإن من مقررات هذا الخير، والتي تمثل مقصداً من المقاصد الشرعية إشاعة الرحمة، تلك الكلمة العظيمة، والوصف الجميل، والمدلول الكبير... ولا غرو في ذلك عباد الله، فقد اتصف الله تعالى بهذه الصفة العظيمة، وكتب على نفسه الرحمة، بل افتتح بها كتابه العظيم، فقال سبحانه: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم..) وأوجب قراءة هذه الآيات في كل ركعة من ركعات الصلاة.. ليتعمق هذا المفهوم، ويستقر في النفوس، ويشيع بين الناس.. فالله رب العالمين، الرحمن الرحيم، بل هو أرحم الراحمين، صفة معلومة المعنى، مجهولة الكيف لنا.

ولقد بين سبحانه معاني هذه الرحمة، وسعتها، وشمولها بما يقف معه القلم، والفكر عاجزين عن تصورهما: استمعوا، عباد الله، لسعتها بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] و(كل) من

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٢٦/٤ من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، كما أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣)، والحاكم في مستدركه برقم (٣٣١) كلهم عن العرياض بن سارية رضي الله عنه.

ألفاظ العموم، فعمت رحمته الإنس، والجن، والحيوان.. والمتقين، والفجار، والأولين، والآخرين.

وهذه الرحمة تتجلى في أمور لا حصر لها قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ أَيْلًا وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿[القصص: ٧٣]، وقال سبحانه: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦) ﴿[الإسراء: ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿[الأنعام: ٥] وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تُنْزَلُونَ﴾ (٦) ﴿[الأنعام: ٦] وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) ﴿[النحل: ٧-٦-٥]. ومن رحمته رفع البلاء: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ (يونس: ٢١) ، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُفْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾ (١٣) ﴿[يونس: ١٣] إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١١) ﴿[يس: ٤٤]. ومن رحمته تخفيف الأحكام الشرعية عمن يحتاج إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) ﴿[التوبة: ٩١]، ومن رحمته قبول توبة التائبين ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤) ﴿[المائدة: ٧٤]، ومن رحمته الأرزاق والأولاد، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلُهمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣) ﴿[ص: ٤٣]، ومن رحمته إنزال الغيث: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الروم: ٤٦)

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨].

أيها المسلمون!

ولعظم رحمة الله أخبر سبحانه تقدم رحمته على غضبه، فقد قال، عليه الصلاة والسلام: (لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي) ^(١) ومن رحمته، جل وعلا، أنزل هذا القرآن العظيم الذي جعله رحمة من رحماته: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥٧) قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَيَذَلِّكَ فَيَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ^(٥٨) [يونس: ٥٧، ٥٨]. وهذه الرحمة العظيمة التي في الدنيا التي لا تمثل إلا جزءاً من مائة جزء من رحمته في الآخرة، فقد جاء في الحديث الصحيح: (إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى (ويحذركم الله) من كتاب التوحيد برقم (٧٤٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف (٦٤٦٩) ومسلم في باب الحظ على التوبة والفرح بها، من كتاب التوبة برقم (٢٧٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب بدء الخلق، برقم (٦٠٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون!

لا شك، ولا ريب في عموم رحمة الله، تعالى، لكنها أخص للمؤمنين الذين استجابوا لله ورسوله، وأطاعوه، وعبدوه حق عبادته، فلهم رحمة تخصصهم يوم يلقونه، استمعوا إلى المرحومين من المؤمنين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ [التوبة: ٢٠، ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١) [النمل: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢) [آل عمران: ١٣٢] وقال جل وعلا: ﴿قَالِمَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: ١٧٥] وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿[الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] وقال سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] وقال سبحانه: ﴿أَمَنَ هُوَ قَبْلَ أَن يَأْتِيَ السَّاجِدَ وَقَالَ

يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ
 الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: (الراحمون يرحمهم الرحمن،
 ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ^(١).

هذه سمات المرحومين وصفاتهم: الإيمان بالله وتقواه، وإيتاء
 الزكاة، وطاعة الله، واتباع الرسول ﷺ، وقيام الليل، والاعتصام بالكتاب
 والسنة، والإحسان إلى الخلق، وعمل الحسنة بعد السيئة، والتحلي
 بالصبر والجهد، فهل يطيب لمسلم ألا يطلب رحمة الله بعد ذلك،
 فاطلبها في هذه الصفات تكن من المرحومين. جعلني الله وإياكم من
 المرحومين، ونفعني وإياكم بالآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا
 وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في رحمة الناس، من كتاب البر والصلة برقم (١٩٢٤)
 عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحمن الرحيم، أحمدده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون!

إن من علامات السعادة للأفراد والمجتمع أن تشيع بينهم هذه السمات العالية، والأخلاق التي قد شهد الله تعالى بها للقدوة محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] في شيوخ هذا الخلق يُرحم الوالدان، ويعطفان على الولد، وتصان العلاقة الأسرية، ويتراحم الأقارب، وتقضى الحقوق، ويُعطف على المسكين، ويكفل اليتيم، وتُمسح الدمعة، ويُطعم الجائع، ويُكسى العاري، وتُتلاحم القلوب، وتُدبر الشحناء والبغضاء، ويقل الحسد والعداوات، ويضعف البطر والكبر، وتُشيد الدور الخيرية، وتبنى المساكن للمحتاجين، ويكثر الخير والرزق، ويسود الحب والوئام بين الناس، وتبتعد الأنانية، وحب الذات، والعنف والقسوة، والوحشية والتنافر، والتنازع بالألقاب، والسخرية والاستهزاء.

أيها المسلمون! ولعظمة هذا الدين شملت رحمته الحيوان، فقد أخبر النبي ﷺ، أن رجلاً أو امرأة بغياً دخلت الجنة بسبب سقياها لكلب يلهث^(١) ، وأخرى دخلت النار بسبب هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض^(٢) .

أيها المسلمون! أين المتبجحون في حقوق الإنسان، ليدرسوا، وليتأملوا هذه المعاني الكبيرة، ومن ثم يصفوا الإسلام بالعنف والوحشية والإرهاب؟ أي شريعة تنشر الرحمة كما ينشرها هذا الدين؟ أين رحمتهم؟ بل أين حقوق الإنسان بعد قتلهم الرجال، وتيتمهم الأطفال، وترميلهم النساء، وهدمهم البيوت، ونهب الأموال، وإفساد الممتلكات..؟ فأين رحمتهم للشيخ الضعيف، والفقير والمسكين، والطفل الرضيع ، والأم الرؤوم..؟ إن رحمتهم انتقلت من بني الإنسان إلى بني الحيوانات من القطط والكلاب؟ لتتقلب إلى وحشية عارمة، وإرهاب منقطع النظير للإنسان، ليس إرهاباً على فرد، وإنما على مجتمعات وأمم، والأمثلة غير خافية.

أيها المسلمون! ومع ما نرى من شراسة ما يعمله أعداء الإسلام من خلوهم من الرحمة إلا أن المسلم لا يتنازل عن مبادئه من الرحمة والود

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٠٣٥٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في باب ما جاء خمس من الدواب فواسق من كتاب بدء الخلق برقم

(٣٣١٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم برقم (٢٢٤٢) عن ابن عمر، ورقم

(٢٦١٩) عن أبي هريرة، كلاهما في كتاب البر والصلة والآداب.

والعطف، فتؤثر فيه الأحداث لتقلبه إلى حيوان مفترس، فهو على دين، ومبدأ ثابت لا يتزعزع، والله غالب على أمره.

أيها المسلمون: ليس من الرحمة تعطيل الحدود الشرعية على من يقتربها، ولا الحكم بعدم القصاص لمن استحقه، وليس من الرحمة ترك الحبل على الغارب للأطفال والأولاد، وليس من الرحمة ترك المفسد يعيث في الأرض فساداً وتخريباً، وليس من الرحمة ترك التعزير لمن استحقه، فليست الرحمة عطفاً وحناناً بدون عقل، وليست الرحمة اندفاعاً بدون عدل، وليست الرحمة مراعاة لمصلحة فرد دون مجتمع.

هذا هو ديننا عباد الله، فعلينا التمسك به وغرسه في بيوتنا، وإشاعته في المجتمع بفهم ووعي وإدراك وعمل.

وصلوا وسلموا على المصطفى الأمين، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، تسعدوا بها دنيا ودين، كما أمركم الله الرحمن الرحيم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

صلاح القلب

الخطبة الأولى

الحمد لله، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وبَيَّن له صراطه المستقيم، وأعاناه على بلوغه بعقل قويم، وقلب سليم، وأشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله، صان فؤاده عن كل شيطان رجيم، صلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده من التعظيم، وعلى آله وصحبه الذين عمروا قلوبهم بحب مولاهم الكريم والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله حق التقوى ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أيها المسلمون! اعلّموا أن أشرف ما في الإنسان قلبه، فبحياته يحيا الإنسان، وبصلاحه يصلح، وبفساده يفسد: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)^(١) فهذا هو العالم بالله الساعي إليه، وهو محل الإيمان والعرفان، وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل، المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل، وهو الذي أُعطي القيادة لجوارح الإنسان،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٢) عن النعمان بن بشير، في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم برقم (١٥٩٩) في كتاب البيوع.

كان يهتم فيه الرسول، ﷺ، اهتماماً كبيراً، ويرعاه رعاية تامة؛ حتى إنه كان يكثر في دعائه : (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)^(١). وكان يقول عند قسمه ويمينه:

(لا ومقلب القلوب)^(٢)، وكان يقول: " إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث كيف يشاء)"^(٣) كل ذلك أيها المسلمون، لأن مصدر الشقاء والسعادة فساد القلب وصلاحه، يقول ابن القيم رحمه الله: (وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشیطان رأيت أعجب العجائب، فهذا يُلْمُ به مرة، وهذا يُلْمُ به مرة، فإذا أَلَمَّ به الملك حدث من لَمَّتِهِ الإنفساح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة الله، وإيثاره على ما سواه، وقصرُ الأمل، والتجافي، عن دار الغرور، فلو دامت له تلك الحال لكان في أهنأ عيش، وألذّه وأطيبه، لكن تأتيه لَمَّةُ الشيطان، فتحدث له من الضيق والظلمة والهم والغم والخوف، والسخط على المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا، وعاجلها، والغفلة عن الله هو من أعظم عذاب القلب). ١.٥هـ

(١) أخرجه الترمذي في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٢١٤٠) وأحمد في المسند برقم (١٧٣٠١) من حديث النّوّاس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه، وابن حبان في صحيحه برقم (٩١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٦٢٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي، ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٤).

أيها المسلمون! إن القلوب تقسو فتكون كالحجارة أو أشد قسوة، فتبتعد عن الله وعن رحمته وعن طاعته، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، الذي لا ينتفع بتذكير، ولا يلين لموعظة، ولا ينفعه مقالة، ولا يعتبر بالأحداث، ولا يتعظ بالقرآن، فصاحب هذا القلب يحمل في صدره حجراً صليداً لا فائدة منه، ولا يصدر منه إلا الشر، ومن القلوب ما يلين عند سماع الموعظة، ويخشع عند قراءة القرآن وسماعه، ويخضع بالتذكير لخالقه، ويعتبر بما يجري من أحداث، فهذا قريب من الله تعالى ومن رحمته وطاعته، فيحمل صاحبه قلباً طيباً رحيماً يصدر منه الخير دائماً.

أيها المسلمون: لقسوة القلوب ولينها أسباب كثيرة، فمن أعظم الأسباب لتلين القلوب قراءة القرآن، واستماعه: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) [ق: ٤٥] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ويقول جل وعلا: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] ويقول جل وعلا: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَالِي نَفْسٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] . فبالقرآن القويم حياة القلوب، وسعادتها، وطمأنينتها، وبالعفلة عنه شقاؤها، وموتها، وبعدها

عن خالقها ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٤] وإذا عميت القلوب ضلت، وأضلت.

ومن أعظم ما يلين القلوب تذكر الموت، وزوال الدنيا، والانتقال للأخرى، ومن أعظم ما يقسي القلوب الغفلة عن الآخرة، ونسيان الموت، والانشغال بالدنيا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ دُخِيَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: (زوروا القبور فإنها تذكر الآخرة)^(١) وقال عليه الصلاة والسلام: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات الموت).^(٢)

فالعمر قصير يجب انتهازه فيما يقرب إلى الله تعالى، وأن الدنيا تتقلب بأهلها، وأن يعلم أنه ليس له من ماله إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصد، فأمضى، وأنه لا يتبعه إلا العمل، أما الأهل والمال فيرجعان، وأن يعلم أن السعادة الحقيقية بعبادة الله وذكره، وأن النعيم الدائم في الجنة، وأن الغنى الحقيقي غنى النفس، وأن الطمأنينة في القناعة، وأن الحرام عذاب في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٥٦٩) عن أبي هريرة في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٧٨٨٣) من حديث أبي هريرة، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد
عباد الله! ألا وإن ما يلين القلوب الاعتبار بما جر، ويجري للأمم
الكافرة من الهلاك والدمار، ووقوع الفتن والبلاء، ومن أعظم ما يقسيها
الغفلة عن ذلك، يقول سبحانه ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَثِرُ حَافَتَاهُ وَمُحَطَّلَةٌ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ
قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: ٤٥-٤٦]

عباد الله! ومن أعظم ما يلين القلوب الإكثار من ذكر الله عز وجل،
ومن أعظم ما يقسيها الغفلة عن ذكر الله يقول الله سبحانه وتعالى:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ٢﴾
[الأنفال: ٢] ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

ومن أعظم ما يلين القلوب قبول أوامر الله والعمل بها واجتناب
نواهيه، ومن أعظم ما يقسيها الإعراض عن أوامر الله ونواهيه، يقول الله
سبحانه: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ
انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧] فمعرفة

الحق، ثم ترك العمل به سبب لزيغ القلب وطغيانه، يقول الله، سبحانه وتعالى: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) [الصف: ٥].

أيها المسلمون! ومن أسباب لين القلوب واتعاضها التفكير في أحوال الموتى، والمرضى، والفقراء، والمبتلىين، ومن أسباب قسوتها الاغترار بالصحة والقوة، والشباب، والغنى، والثروة، والجاه، والمنصب، وغيرها، يقول النبي، ﷺ: (انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)^(١) وقال تعالى في حق قوم عاد الذين غرتهم قوة أجسادهم وكثرة أموالهم: ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٥-١٦] ، فلو زار الإنسان المستشفى، ورأى أحوال المرضى، وما يقاسونه من الألم، ولو نظر إلى الفقراء، والأيتام، وما هم فيه من الحاجة، والمجاعة، لعرف قدر نعمة الله عليه، ولان قلبه، ولكن إذا لم يتفكر في أحوال هؤلاء، ونظر إلى أهل الترف،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٣) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، في كتاب الزهد والرقائق. وأخرجه أحمد في مسنده برقم (١٠٠٣٩) من حديث أبي هريرة.

والغنى، وما بأيديهم من زهرة الحياة الدنيا، فإنه يقسو قلبه، ويتعاطم في نفسه، وقد أمر الله نبيه، ﷺ، أن يجالس فقراء المسلمين، والمستضعفين، من المؤمنين، وأن لا يتجاوزهم إلى غيرهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

اتقوا الله عباد الله! وراقبوا قلوبكم، وأصلحوها من فسادها، واطلبوا الدواء لدوائها، فبصلاحها صلاح الحال، والمآل. أسأل الله تعالى أن يصلح ما فسد من قلوبنا، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، ﷺ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم، لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه، فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله مقلب القلوب، وعلام الغيوب، وقابل التوبة ممن يتوب، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى أثرهم مهما توالى الخطوب، أما بعد:

أيها المسلمون! إن المتدبر في أحوال كثير من المسلمين يعصر قلبه الأسى والألم، لما يراه من غفلتهم، وقسوة قلوبهم، وانصرافهم عن خالقهم، وتشاغلهم بما يلهيهم عن ربهم، فقد انشاق كثير منهم إلى كثير من الأعمال التي تقسي القلب، ومن ذلك انصراف الوقت، وتضييعه في طلب الدنيا، والتمتع بها، والانخداع بمظهرها، والتفكه بملذاتها.

ومن أعظم ما تشاغل به بعض الناس، فقست قلوبهم، وأبعدتهم عن خالقهم متابعة الأفلام المحرمة والمسلسلات، إن مثل هذه الملهيات بما فيها من شرور وأخطار لهي من أشد ما يبعد عن الله سبحانه وتعالى، فهي تنبت النفاق في القلب، وتزرع الشهوة في النفس، وتميت الغيرة، وتمنع من الذكر وقراءة القرآن؛ لأنه لا يجتمع مزار الشيطان، وقرآن الرحمن، ومما انتشر في واقع كثير من المسلمين، وظهرت آثاره في قسوة قلوبهم التساهل في المأكّل، والتغذية المحرمة،

فتغذية الجسد على الحرام له آثاره السيئة، فهي تؤثر على الأخلاق والسلوك، وتكسل عن الطاعة، وتنشط على المعصية، وتقسي القلوب، وتقربه من الشيطان، وتبعد عن الرحمن، وهذا ظاهر على أخلاق الذين يأكلون الربا والرشوة، ويشربون المسكرات والمخدرات، فإن آثار هذه الخبائث تظهر على أبدانهم وأخلاقهم وسلوكهم وتصرفاتهم.

أيها المسلمون!

إن التساهل في المعصية الصغيرة يؤدي إلى نتائج وخيمة وخطيرة، فأول قسوة القلب نكتة سوداء صغيرة، فتكبر مع الاستمرار في هذه المعصية، روى الترمذي وغيره أن رسول الله، ﷺ، قال: (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل بقوله: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).^(١)

اتقوا الله عباد الله، وجدوا واجتهدوا في إصلاح قلوبكم، وقلوب أسركم وذرائعكم، واقتدوا بنبيكم الذي يدعو ليل نهار: يا مقلب

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٣٣٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه مع اختلاف في حروف يسيرة، في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، ﷺ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٤٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، باب ذكر الذنوب، من كتاب الزهد.

القلوب ثبت قلوبنا على دينك^(١)، واستغفروا ربكم وتوبوا إليه، فإن العمر محدود، والآجال لا تزيد ولا تنقص لعل الله أن يغفر لكم .
وصلوا وسلموا على البشير النذير، كما أمركم الله سبحانه في كتابه فقال
جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. والحمد لله رب العالمين.

(١) سبق تخريجه.

الزواج وأخطاء الناس فيه

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده سبحانه، وهو أهل الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خلق الذكر والأنثى، وجعل كل واحد للآخر محلاً للسكنى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى والعبد المجتبي، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولي النهي، ومن دعا بدعوته، وسار على نهجه، واقتفى، أما بعد:

عباد الله ! اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا سخط الجبار، فإن أجسامكم على النار لا تصبر ولا تقوى، وتمسكوا بهدي محمد صلى الله عليه وسلم تفلحوا في الآخرة والأولى.

أيها المسلمون! اقتضت حكمة الله تعالى أن خلق الناس في هذه الدنيا، وجعلهم بين ذكر وأنثى، يميل كل واحد بفطرته للآخر، يسكن إليه، ولا يستغني عنه، لكنه نظم هذه العلاقة على أساس شرعي واضح سليم، تقوم فيه تلك العلاقة على المحبة والمودة والرحمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾

أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم: ٢١].

فالزواج في الإسلام نعمة عظيمة فهو سكن للنفس، ومتاع للحياة، وطمأنينة للقلب، وإحصان للجوارح، وحرث للنسل، وسبب لحصول الذرية الصالحة، وراحة للضمير، وستر وعفاف، وصيانة للأعراض، وتنظيم للحياة البشرية، وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء، وعبادة يتغني بها الإنسان استكمال الدين، ويلقى بها ربه مصوناً طاهراً مستوراً نقياً.

أيها المسلمون: نظم الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة على هذا الأساس الشرعي المهم، وتضافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في الحث عليه، والترغيب فيه، والتحذير من مخالفته، والترهيب من تركه، يقول سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] ويقول سبحانه: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْفِسَاءِ مَثْنً وَثُلثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ لَا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

وروى البخاري ومسلم أن رسول الله، ﷺ، قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج"^(١).

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، برقم (٥٠٦٥) عن عبد الله ابن مسعود، رضي الله عنه ومسلم في النكاح (١٤٠٠).

وروى مسلم أن رسول الله، ﷺ، قال: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" ^(١)، وروى الطبراني بإسناد جيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أربع من أعطيهن، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسه وماله". ^(٢)

أيها المسلمون: في هذه الأيام تنتشر ظاهرة مباركة، وهي حصول الزيجات استجابة لنداء الله تعالى، ونداء رسول الله، ﷺ، والمسلم الحنيف ليسر عندما يرى هذه الظاهرة المباركة، فنسمع ونقرأ في الصحف أن في مدينة كذا حصل عدد كبير من الزيجات، وهذا يفرح المؤمن ويسوء العدو لما في ذلك من المصالح العظيمة للفرد والأسر والمجتمع، ولسنا اليوم بصدد ذكر تلك المصالح وتعداد تلك الفوائد، فهي معروفة ومعلومة لكل ذي لب، ويكفي أنها امتثال أوامر الله ورسوله، واتباع سنن المرسلين، وسبب تحصين الفروج، وحماية الأعراض، والبعد عن

(١) أخرجه مسلم في الرضاع، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، برقم (١٤٦٧) عن عبدالله بن عمرو.

(٢) وروى أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي الله عنه برقم (٢٢٠٥٩) قال: يا رسول الله، أي المال نتخذ، قال: ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة تعينه على أمر الآخرة. وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٨٥٦) في كتاب النكاح، باب فضل النساء، عن ثوبان، وذكر الحديث. كما أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم (٧٢١٢).

الفتن، وتكثير نسل المسلمين، وتحصيل الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وإنجاب أولاد صالحين يكونون امتداداً لوالديهم يدعون لهم، ويستغفرون لهم، وعبادة يتقرب إلى الله بها، ويحفظ بها الإنسان نفسه من شرور الفتن، إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة، والحكم العديدة.

إن المسلم يدرك تماماً تلك المصالح العظيمة، ولذلك نرى بفضل الله، عز وجل، في الآونة الأخيرة كثرة الزيجات، وهذه علامة صحوة مباركة، وظاهرة محمودة نسأل الله عز وجل، أن يبارك فيها، ويجعل العلاقة قائمة على المودة والرحمة، ولكن أيها المسلمون! إن الناظر في واقعنا يجد تصرفات خاطئة، وظواهر غير سليمة تحتاج إلى الوقوف معها، والتأمل فيها، ومحاولة علاجها، يجد أخطاء في مرحلة ما قبل الزواج، ويجد أخطاء في حفلات الزواج، وأخطاء بعد الزواج مباشرة.

أما ما قبل الزواج، فعلى رأسها تأخير الزواج، سواء كان من قبل الفرد المتزوج بحجة إكمال دراسته، أو تكوين نفسه كما يقول بعضهم، أو عدم وجود مهر كامل، وغير ذلك من الحجج والعلل الواهية، وهذه كلها يعظمها الشيطان، وقرناء السوء في النفوس، فالله، سبحانه وتعالى، يقول: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعُ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] ، قال أبو بكر رضي الله عنه حول

هذه الآية: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.

وروى الترمذي بسند صحيح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف" ^(١)، قال ابن كثير رحمه الله: والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله. ^(٢)

ومن جانب آخر نجد كثيراً من الأولياء يؤخر زواج ابنته وموليتها، فيمنعها من الزواج بكفئتها، فإذا تقدم خاطب كفء منعها منه بحجج واهية، وتعليلات فاسدة، كأن يتعلل بأنه فقير ليس لديه مال، أو أنه ليس من مستوى الأسرة مادياً أو اجتماعياً، أو لا يحمل شهادة معينة، أو بحجة أنها لا زالت صغيرة، أو إكمال دراستها، أو أنه طويل أو قصير إلى غير ذلك مما يسوله الشيطان في نفوس الأولياء أو نفوس النساء، والأعظم والأطم من يريد تأخير زواج ابنته إذا كانت موظفة؛ لياخذ

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب النكاح، باب فضل الجهاد، برقم (١٦٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال أبو عيسى: حديث حسن. وأخرجه النسائي في سننه (المجتبى) في كتاب النكاح، باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف، برقم (٣١٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٨٨/٣.

حفنة من مالها ، فيجعل بنته وسيلة للتكسب، ومجالاً للربح المادي، وفي هذا كله جناية على البنت، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع بأكمله، فالبنت مُنعت من كفئها، وفوت عليها فرصة الزواج التي تنتظرها بفارغ الصبر، وهي تسهر الليالي، وتعد الأيام للحظات زواجها، وما علم هذا الولي، وهو مرتاح مع زوجته، مقدار ما تعاني تلك المسكينة بالإضافة إلى ما يحصله من الإثم؛ حيث عصى الله ورسوله، ﷺ، بهذا المنع، هذا مع ما يجلبه هذا التأخير، من تأخير حصول ذرية صالحة، ونسل مبارك قد يكون نفعهم لهذا الولي في حياته قبل موته.

نعم أيها المسلمون! إذا كان المتقدم غير كفء، فالواجب عدم تزويجه، ولذلك جعل لنا رسول الله، ﷺ، معياراً سليماً للكفء، ومقياساً دقيقاً فقال رسول الله، ﷺ، فيما رواه الترمذي وحسنه: " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه، قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فأنكحوه، ثلاث مرات" .^(١)

فالميزان هو الدين والخلق، وهذا الميزان ينبغي أن يكون واضحاً في ذهن كل ولي خطبت موليته، وفي ذهن كل شاب يريد خطبة

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في النكاح، باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه، برقم (١٠٨٥) عن أبي حاتم المزني، رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

زوجة له.

وأهم شيء ينظر إليه من الجانبين في الدين: توحيد الله عز وجل، وإقام الصلاة، فمن لم يحافظ على أداء الصلاة، ويحرص عليها، ويقوم بحق الله فيها، فلا يستحق أن يزوج من بنات المسلمين. والأمر الآخر الخلق الكريم، ومنه السماحة والعفو والكرم والصبر والتحمل؛ لأن كلاً من الزوج وزوجته سيبدأ علاقة وطيدة، فلا بد من هذين الأمرين.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي، ﷺ، قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك".

ويقول ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه: "الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة".^(١)

أيها المسلمون! إن من المؤسف حقاً أن كثيراً من الناس جعل الميزان دنيوياً بحتاً، أو قائماً على أعراف وتقاليد وعادات غير سليمة، كمن لا يزوج إلا من كان غنياً أو وجيهاً، أو ينظر إلى والد المتزوج، ولا ينظر إلى ولده، أو بحجة ما يسمى بتحجير البنت عند بعض القبائل والعشائر ونحو ذلك، ولا ينظر إلى صلاح المتزوج، بل قد يكون فاسقاً، كمن يشرب

(١) سبق تخريجه.

المسكر ونحوه، أو صاحب معصية ظاهرة، وكم من المشكلات الزوجية الآن التي تغص بها المحاكم الشرعية بالإضافة إلى ضياع الأبناء والبنات، كلها من أسباب عدم الاختيار السليم، فالله الله في ضبط هذا الميزان، والسير على منهاج سيد الأنام.

أيها المسلمون! ومن الأخطاء في مرحلة الاستعداد للزواج، رفع المهور وغلاؤها، وجعل البنت سلعة قابلاً للمزايدة والمتاجرة، وهذا مما وقع فيه كثير من الناس، وجاءت الشريعة بالتحذير منه في الدنيا والآخرة وصار الناس ينظر بعضهم إلى بعض، واعتمد على السفهاء في تقدير هذا الأمر، فمن يدفع أكثر هو الذي يظفر بهذه البنت دون تفكير في العواقب وحساب للتناج، إن ضخامة المهر يسبب كراهة الزوج لزوجته، وتبرمه منها عند أدنى سبب، وإن سهولة المهر من أسباب الوفاق، والمحبة بين الزوجين، ومما يوجب البركة في هذا الزواج. روى الإمام أحمد، عن عائشة أن رسول الله، ﷺ، قال: "إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة"^(١). وكان صداق أزواج النبي، ﷺ، وبناته في حدود خمسمائة درهم، وزَوْجَ امرأة على رجل فقير ليس عنده شيء من المال بما معه من القرآن بعد أن قال له: "التمس ولو خاتماً من حديد"^(٢) فلم يجد شيئاً، متفق عليه.

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٤٠٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في النكاح، باب السلطان ولي، لقول النبي زوجناكها، برقم (٢١٣٥) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ومسلم برقم (١٤٢٥) في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لا تغلوا في صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى في الآخرة كان أولاكم النبي ﷺ^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: إن الصَّدَاق لا يتقدر أقله، وإن قُبْضَةً السَّوِيقِ، وخاتم الحديد يصح تسميتها مهراً، وتحل بها الزوجة، وتضمنت الأحاديث أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته وعسره.

أيها المسلمون! عندما يعجز الشباب عن تحصيل المهر، فسيبحث عن محل لقضاء شهوته، فإذا امتنع السبيل الحلال ذهب إلى الحرام يفتش عنه يمناً ويسرة، وتصور أيها الولي أن ابنك ذهب يقضي وطره في الحرام، فما موقفك؟ ثم تصور أن هذا سرى في المجتمع بأكمله؟ ثم ما مصير تلك البنت التي منعت من الزواج؟ وهي تعلم أن المانع هو قلة المهر، ألا تبحث عن محل بأرخص الأسعار - ولو كان حراماً - لقضاء وطرها، إن الأمر جد خطير وعظيم، وإن المفرح جداً أن نسمع أن بعض الأسر وضعت حداً معيناً للمهر ولتكاليف الزواج، وأن نسمع أن بعض

(١) أخرجه الدارمي في سننه موقوفاً على عمر بن الخطاب برقم (٢٢٠٠) في كتاب النكاح، باب كم كانت مهور أزواج النبي ﷺ وبناته. وكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٥٣٠) في فضل الجهاد، وابن ماجه في سننه برقم (١٨٨٧) في النكاح، باب صداق النساء.

الأولياء لم يأخذ إلا كذا وكذا من المبالغ المعقولة، فيبشر أمثال هؤلاء بالدعوات الصادقة الحارة، وبركة هذا الزواج، وبسعادة ابنته وبناته، وأسرههم في الدنيا قبل الآخرة.

فتنبهوا أيها المسلمون، لأنفسكم ، وصححوا أخطاءكم ، واقتدوا بنبيكم، يبارك الله في حياتكم قبل مماتكم، وتسعدوا في دنياكم وأخراكم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أيها المسلمون! ومن الأخطاء في وقت إقامة الزواج وحفلاته ما صار شائعاً عند بعض الناس اليوم من تكاليف ابتدعوها، وتمادوا فيها، وصارت محلاً للمفاخرة بحيث تثقل كاهل الزوج، وتنفر عن الزواج، ومن ذلكم الإسراف في شراء الأقمشة المرتفعة الأثمان، وشراء المصاغات الطائلة باهظة الثمن، والمبالغة في تأثيث المنزل وغرفة الزوجة، ومما هو ظاهر وبيّن للعيان، ومحل تبرم من الجميع؛ الإسراف، والتبذير في إقامة الولائم، وإفساد الطعام من لحوم وغيرها، ورمي النعم في المزبلة، وكل هذه ونحوها مما تثقل كاهل الزوج وليست في صالح الزوجة، وإنما يستفيد منها أصحاب المصانع والمتاجر في الشرق والغرب؛ لأنهم هم الذين يجنون ثمارها، والمحضلة أنها أموال تذهب هدرًا وتضيع سدىً، وتسد طريق المسلمين إلى الزواج، أضف إلى ذلك ما يفعله بعض السفهاء من إقامة حفلات الزواج في الفنادق باهظة الثمن ونحوها مما يزيد الكلفة كلفة، وقد يكون سبباً للعقوبة.

نعم أيها المسلمون! إن إعلان النكاح، وإقامة الوليمة، وجمع الأقارب والأصدقاء سنة في الزواج يحصل فيه من الخير ما يحصل من سلام ودعاء ومباركة، وقد قال رسول الله، ﷺ، لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "أولم ولو بشاة" ^(١) ولكن أن يصل الأمر إلى مثل ما نعيشه الآن، فهذا هو المحذور الذي يجب أن نسارع في تركه، ونتوب منه، فالله عز وجل يمهّل ولا يهمل.

ومن الأخطاء الفادحة، والأعمال المشينة، والأفعال المحرمة ما يفعله بعض الناس من اختلاط بين الرجال والنساء في حفلات الزواج، وابتداء هذا الاختلاط من كون اللقاء الأول بين الزوج وزوجته أمام النساء، وهن ينظرن إليه، وهو ينظر إليهن، أضف إلى ذلك ما يحصل من منكرات متتالية من حصول تصوير للعروسين، وقد يكون المصور لها من الرجال، فيتبدى هذا الزواج بما يغضب الله، سبحانه وتعالى، أترضى أيها الولي أن تكون صور ابنتك محلاً للتداول والنظر؟ ثم ما الذي يسوغ لهذا المتزوج أن ينظر إلى تلك النساء المجتمعات؟ إن هذا مما يسبب فشل هذه الحياة الزوجية؛ لأن هذا الزوج قد ينظر إلى من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله عز وجل فإذا قضيت الصلاة برقم (١٩٠٤) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. ومسلم برقم (٢٠٤٨) عن عبد الرحمن بن عوف في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة.

هي أجمل من زوجته، فترخص في عينه مع حسبانته لتلك التكاليف الباهظة التي تحملها بالإضافة إلى الانجراف وراء تقاليد الكفار، وأشباه الكفار الذين لا دين لهم، ولا أخلاق، أين الدين يا عباد الله؟ بل أين الخلق والحياء؟ بل أين الرجولة والشهامة؟ أنسير وراء كل سرب خادع، ونحن نهوي إلى الهاوية؟ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

إنه مما ينبغي للشباب المسلم والفتاة المسلمة أن يبدأ الحياة الزوجية بكامل الستر والحياء والعفاف والطهر، يبدأ حياتهما الزوجية بالدعاء الصادق بالبركة وسعادة الحياة، يبدأها بلقاء يحفه الإيمان، وتغمره المودة والرحمة، لا بلقاء تلفه العيون الآثمة من كل طرف، وبتقليد إثم أكبر من نفعه.

أيها المسلمون!

ومن الأخطاء الفادحة أيضاً ما يفعله بعض الناس من سهر الليل المتواصل في حفلات الزواج إلى قرب الفجر، يزداد الأمر سوءاً إذا كان هذا السهر على معصية الله، جل وعلا، في هذا الحفل من وجود أغاني صاخبة، واستجلاب مطربين ومطربات ينهقون بما يغضب الله، سبحانه وتعالى، أما يخشى من يفعل هذا من عقوبة تشمل الخاصة قبل العامة؟

كم حصل هؤلاء من إثم؟ وكم فوتوا من الأجر؟ في الليل الهاديء الساكن ينزل الرب، سبحانه وتعالى، إلى السماء الدنيا ليسمع الدعوات الصادقة، والعبرات الحارة، والاستغفار المتواصل، وهؤلاء للأسف الشديد يُسمعون مولاهم وخالقهم ما يغضبه من أصوات المطربين والمطربات، تصور يا من أقمت هذا الحفل على معصية الله تعالى أن الله قبض روحك في هذا الوقت، فبم أنت مجيب؟ وكيف خاتمتك؟ علينا أن نفيق من سباتنا، ونعمل ما يرضي الله تعالى فنسعد في الدنيا والآخرة.

اتقوا الله عباد الله! وصلوا وسلموا على نبيكم نبي الرحمة، الذي جاءكم بالبينات والحكمة، وكشف عنكم ما بكم من غُمَّةٍ، كما أمركم الله جل وعلا في محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

حقوق الزوجين (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهرأً، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء خبراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أعلى الناس منزلة وأعظمهم قدراً، ﷺ، وبارك، عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله ! اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً.

أيها المسلمون! إن شأن الأسرة في الإسلام عظيم، وأمرها كبير، اعتنى بها الإسلام، فهي محل للسكن والقرار، وهدوء النفس والبال، والراحة والاستقرار. والأسرة: مأوى الفرد وسكنه، وظله ومأمنه تلتقي النفوس، على المودة والرحمة، والحصانة والطهر، وكريم العيش والستر، وفي ظل الأسرة تنشأ الطفولة، وترعرع الناشئة، وتمتد وشائج القربى، وتتقوى أواصر التكافل، وفي جو الأسرة تلتقي النفوس بالنفوس، وتتعانق القلوب بالقلوب، وفي ظل الأسرة تنمو الخصال الكريمة، وينشأ الرجال الذين يؤمنون على أعظم الأمانات، ويؤبى

النساء اللاتي يقمن على أعرق الأصول، ويُربّين الأجيال على أكرم الشمائل والخصال، ففي محيط الأسرة يتخرج الأبناء والبنات، وتتعلم الذرية، وتنمو الأخلاق والخلال الحميدة، وفي مدرسة الأسرة يتخرج العلماء الأفذاذ والمصلحون، الذين ينفعون أنفسهم ووالديهم وأمتهم. ونواة الأسرة الزوجان، فإذا كانا عاملي صلاح وتقى؛ كان المجتمع كذلك بإذن الله تعالى، فكان مجتمعاً صالحاً قوياً متماسكاً، له شخصيته المتميزة، وصفاته المحمودة، يحمي نفسه ويها به أعداؤه، ولا تتسلل إليه دعاوى المبطلين ودسائس المضلين.

أيها المسلمون! وأهم أركان الأسرة الزوج والزوجة، فالعلاقة بينهما تختلف عن غيرها، إذ إن كل واحد منهما يعرف خصوصيات الآخر وأسراره، فإذا ما اختلّت العلاقة بينهما نشر ما بينهما من مشكلات وخلافات، فكان ذلك سبباً في تفكيك الأسرة، وانحلال روابطها المتينة، ومن ثم يتسلل إليها كل سوء وشر، وتتعدى عدوى هذا السوء إلى المجتمع، فيتأثر به. وأسرار الأسرة مصونة محفوظة، إذا قام كل من الزوجين بما عليه من حقوق وواجبات.

لهذه الأمور وغيرها، نظم الإسلام الأسرة أيما تنظيم، وفصل في الحقوق والواجبات؛ لتكون كل أسرة مسلمة صالحة مستقيمة - بإذن الله - تخرج الصالحين المستقيمين. وأول تلك الحقوق: العشرة بينهما بالمعروف، والعشرة: أن يكون بين الزوجين الألفة والوفاق، والاجتماع،

وحسن المعاملة، والمحبة، والرحمة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله). وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال القرطبي رحمه الله: (أي: لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة، فيما أوجبه عليهن من أزواجهن).

والمعروف: كلمة جامعة لمعاني الخير والأدب، وحسن المعاملة. قال رسول الله، ﷺ - فيما صح عنه - (واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج)^(١) وصح عنه ﷺ أنه قال: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي).^(٢)

وقد كان رسول الله، ﷺ، جميل العشرة، دائم البشر، يداعب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، برقم (٥١٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه الصحيح، في باب فضل أزواج النبي ﷺ، برقم (٣٨٩٥) عن السيدة عائشة رضي الله عنها، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري. ما أقل من رواه عن الثوري. وروي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي، ﷺ مرسلًا.

أهله، ويتلطف بهم، ويوسع عليهم بالنفقة، ويضاحك نساءه، ويساعدهن في أمور المنزل، فسيرته، ﷺ، تطبيق عملي لتشريع الإسلام للعلاقة الوطيدة بين الزوج وزوجته، الذي بيّنه ربنا، سبحانه وتعالى، بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وإن من أهم مقومات العشرة الطيبة:

* حسن الاختيار لكل من الزوج والزوجة؛ لأن كلا منهما سيكون شريكاً للآخر، وحسن الاختيار يتم بالنظر في المواصفات الشرعية التي حددها الإسلام في الرجل المرأة، وهي الدين، والخلق، فقال رسول الله، ﷺ، في شأن المرأة: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) ^(١)، وقال، ﷺ، في شأن الرجل (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد). ^(٢)

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، برقم (١٠٨٥) عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه . وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة، ولا نعرف له عن النبي ﷺ غير هذا الحديث. وذكره ابن حجر في الإصابة في القسم الأول (من ذكر له صحبة) برقم (٩٧١٦) بكنيته: أبو حاتم المزني حجازي، قال الترمذي وابن حبان: وابن السكن له صحبة، وأورد أبو داود حديثه في المراسيل، فهو عنده تابعي، ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة قال: لا أعرف له صحبة، ولا أعرف إلا هذا الحديث، وزعم ابن قانع أن اسمه: عقيل بن مقرن، وهو وهم منه.

* ومن عوامل العشرة بالمعروف: قيام كل من الزوجين بالحقوق الواجبة عليه دون نقص أو خلل، فإذا ما اجتهد كل منهما بتنفيذ الواجبات عليه كان هذا عاملاً للعشرة الحسنة في هذا الجو الأسري الكريم. ومنها أيضاً: صلاح كل منهما، وقيامه بالواجبات الشرعية تجاه ربه سبحانه وتعالى، فإذا ما قويت العلاقة بين العبد وربّه أضفت عليه جواً من الراحة والهدوء ووزن الأمور بميزانها الشرعي الصحيح. وومنها أيضاً: تطهير البيت من المنكرات والأخطاء والمنغصات، التي تكون عامل تشويش، وسبباً من أسباب تعكير الجو العائلي، الذي يفسد على الأسرة بأكملها ما تعيشه من أمن وراحة وهدوء واستقرار؛ لأن تلك المنكرات والأخطاء سبب لولوج الشيطان في البيت، وما دخل الشيطان مكاناً أو استحوذ على إنسان وتمكن منه، إلا أفسد عليه دينه ودنياه.

أيها المسلمون !

إن استشعار كل من الزوجين لهذه الحقوق، يضيفي على الأسرة جواً كريماً، ويتذكر فيه كل عضو في الأسرة الحقوق الواجبة عليه، فيقوم بها ابتغاء مرضاة الله.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك نفعني الله وإياكم يهدي كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي شرع الزواج لمقاصد جلييلة، وغايات وحكم نبيلة، أحمده سبحانه على نعمه وآلائه الجزيلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وكل من سار على منهاجه إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون: ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين

* حق الاستمتاع، وما يتبع ذلك من التجميل والتطيب، وإزالة الروائح الكريهة، والعناية باللباس وزينته، فالمشروع لكلا الزوجين مراعاة ذلك، والاهتمام به: فهو مما يحبب المرأة إلى زوجها، ويحبب الرجل إلى زوجته، وفيه إعفاف لكل منهما عن التطلع إلى ما حرم الله تعالى، وفيه غض البصر عما لا يجوز النظر إليه، ويقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: (إني أحب أن أترين للمرأة كما أحب أن تتزين لي).

* ومن الحقوق المشتركة أيضاً: المحافظة على أسرار الزوجية، فمن المعلوم أنه لا يخلو بيت من مشكلة أو مشكلات، ولا يخلو منزل من بعض المنغصات، فحياة الإنسان فيها شيء من ذلك، قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) [البلد: ٤]. وقلما تجد عشرة أو شراكة صافية، أو خالية من جميع ما ينغص عليها، فكل علاقة في الوجود

كذلك، ولكن ميزة علاقة المسلم مع غيره- وبخاصة علاقة الزوجين- أن الأسرار محفوظة، والعيوب مستورة، والمشكلات محلولة- بإذن الله تعالى- فإذا وقعت مشكلة سارع الزوجان إلى النظر فيها وحلها، وعدم إفشائها، حتى بين الأولاد والبنات.

فالزوجان الحكيمان هما اللذان يتعاونان على مناقشة ما يقع بينهما من اختلاف في وجهات النظر، وحل ما يكون بينهما من مشكلات، ويتفاهمان في أمور الزوجية التفاهم الحسن، ويتعاونان على إخفاء تلك الأسرار والمسائل، فخروج تلك الخلافات والأسرار له تأثيره السلبي عليهما وعلى أولادهما؛ إذ يؤثر على تكوين شخصياتهم، فلا يثقون بوالديهم، فلا يجوز البوح بتلك التصرفات والمشكلات، ولا إظهارها، فبقاؤها في حيز ضيق بينهما عامل من عوامل سعادة البيت وصيانتها من كل انحراف وشر، واستقراره وطمأنينته، بإذن الله تعالى.

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى، أن رسول الله، ﷺ، قال: (إن من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها) ^(١)، فمن مجانبة الصواب أن يعمد الزوجان، أو أحدهما على إظهار الخلافات العائلية بين الأولاد والأطفال، فيترافعان الأصوات، ويتبادلان التهم، على مرأى ومسمع من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٤٣٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أبنائهم وبناتهم، وما علم أولئك - هداهم الله - أن هذا الأمر من أشد الأمور على الأطفال، إذ يذيب شخصيتهم، وتنشأ المشكلات معهم، ويفتقدون العاطفة تجاههم، بل يكون الوالدان قدوة سيئة لهم فيكروهونهم، ويبغضونهم، فلا يسمعون توجيههم وإرشادهم ونصائحهم.

ويشتد الأمر خطورة إذا أطلق كل من الزوجين أو أحدهما لسانه بين الزملاء والأصدقاء والأقارب في بيان عيوب الآخر، وما عمله من السلييات والسيئات تجاهه، فينتشر ما وقع بينهما، ويفرح به أولئك الذين ندبوا أنفسهم للإفساد بين الناس، فيصاغ بصياغة تختلف عن حقيقته، أو التشاحن والتباغض، ويكفي أن يخلف جواً من التعكير النفسي الذي يمتد أثره عليهم وعلى أولادهما.

* ومن الحقوق المشتركة أيضاً: التناصح بينهما في كل ما فيه خيرهما وسعادتهما في الدنيا والآخرة، فدين الإسلام دين الخير والحق والفضيلة، ودين يسعى بأهله إلى أن يسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ودين يحث على التعاون وعلى البر والتقوى، ودين يرشد أهله إلى أن يتمتعوا بالخيرية المطلقة التي جعلها الله، سبحانه وتعالى، لهذه الأمة، هذا هو دين الإسلام، وهذه صفة المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو زوج أو زوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من هذه المحبة والمودة التي تورث حب

النصيحة في الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح.

* ومن صور التعاون على ذلك: التعاون على طاعة الله، وما يقرب إلى مرضاته، روى الإمام أحمد، وأبو داود- بسند جيد- أن رسول الله، ﷺ، قال: (رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ أهله، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء).^(١)

* ومن صور التعاون والتناصح: تشجيع كل منهما للآخر على ما فيه خير وهدى، كتشجيع الزوجة زوجها على بر والديه، والقيام بحقوقهما، وعدم عقوقهما، ورعاية شؤونهما، وتفقد أحوالهما، والاهتمام بهما، وعدم الغفلة عنهما، والسعي في مصالحهما، وكذلك صلة أرحامه وأقاربه، وحثه على ذلك، وكذا تشجيعه على القيام بوظيفته، ومهنته التي يقوم بها، وتهيئة السبل والوسائل لإنجاحه في عمله ووظيفته، فإن نجاحه في ذلك نجاح لها، وأجر وخير في الدنيا والآخرة، ومردود ذلك لها ولأولادها.

أيها المسلمون! إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع كله،

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٩٤٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود في سننه في قيام الليل، باب قيام الليل، برقم (١٣٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وابن خزيمة في صحيحه برقم (١١٤٨) في كتاب الصلاة، باب بدء فرض الصلوات.

وهيهات أن يصلح مجتمع وَهَتْ فيه حبال الأسرة، وانقطعت أو ضعفت، وإن الشيطان حين يفلح في فك روابط الأسرة فهو لا يهدم بيتاً واحداً، ولا يحدث شراً محدوداً، وإنما يوقع المجتمع بأسره في أذى مستعر، وشر مستطير.

فاعملوا- وفقني الله وإياكم- على تطبيق شرع الله، واقتفاء هدي رسوله، ﷺ، فذلكم هو السبيل إلى تماسك الأسرة، وقوة رابطتها، وأغلقوا المنافذ عن الشيطان تفلحوا في دنياكم وأخراكم، ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، حبيب رب العالمين، كما أمركم الله جل وعلا في محكم التنزيل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

حقوق الزوجين (٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله، معز من أطاعه، ومذل من عصاه، أسبغ علينا نعمه المتوالية، وآلاءه المتتالية أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه وآواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره، ولا رب سواه، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ أكرمهم الله، وبالرسالة اصطفاها، وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته واهتدى بهداه.

أما بعد : اتقوا الله، عباد الله يصلح لكم أنفسكم وأهليكم وأموالكم.

أيها المسلمون! في الجمعة الماضية كان الحديث عن العشرة بين الزوجين، وقد أمرنا الله تعالى أن تكون (بالمعروف) والمعروف كلمة تعني جوامع البر والخير.

أيها المسلمون! إن من قوام العشرة الحسنة والألفة والمحبة قيام كل من الزوجين بما عليه من الحقوق الواجبة، فمن حقوق الزوجة ما أخبرنا به رسول الله، ﷺ، حيث قال: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن) قيل: وكيف إذن؟ قال: أن تسكت^(١) إلا إذا كانت

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الحيل، باب في ترك الحيل، برقم (٥١٣٦) في كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

البت صغيرة لا تعرف مصلحة نفسها، فذكر أهل العلم أنه لا ينظر إلى رأيها. وقد فرّق في الحديث بين البكر والثيب، فالثيب لا بد وأن تنطق بموافقتها، أما البكر فيكفي أن تسكت، أو أن يظهر منها ما يدل على ذلك ؛ لأن البكر جبلت على الحياء، فيكفي أن تصمت.

ومن حقوق الزوجة: المهر، وهو حق لها، وليس لأحد حق فيه مهما كانت صلته وقرابته، يقول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ [النساء: ٢٤] ، وجاء في الحديث الصحيح من رواية البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ، قال لأحد الصحابة: (انظر ولو خاتماً من حديد) ^(١). ومما يذكر هنا، وينبه إليه: ما تمادى فيه بعض الناس من رفع المهور والتغالي فيها، واشتراط أمور فيه، مما يكون له أكبر الأثر السيء على الزوج وزوجته، بينما السنة تخفيف المهر، وأن يكون بما يصلح لمثلها من قريباتها وأهلها.

روى الإمام أحمد، والبيهقي، والحاكم، وغيرهم، عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: (أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة). ^(٢)

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٤٧٢٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

وقد أدى ارتفاع المهور عند البعض إلى تأخير الزواج إلى سن متقدمة، لا يحمد بقاء الشاب والفتاة إليها بدون زواج، مما يعود بآثار سلبية عليهم وعلى المجتمع بأكمله. فوصية أولياء أمور البنات وأمهاتهن، بالرحمة ببناتهن، وتيسير أمورهن، وعدم المبالغة بالمهور، أو بتكاليف الزواج الأخرى التي تثقل الكاهل، ليلحقن بركب الأمهات المنجبات للرجال والعلماء والمصلحين والنافعين لأهلهم وأمتهم.

ومن حقوق الزوجة أيضاً: الإنفاق عليها من قبل الزوج بالمعروف، وتقدير المعروف يختلف باختلاف الأزمنة وحال الزوجين، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] ، وقال رسول الله، ﷺ: (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن).^(١)

النفقة تشمل الطعام والشراب، والسكن واللباس، كل حسب استطاعته المادية، وما يتناسب مع حاله. وإن من المؤسف حقاً أن تجد بعض الأزواج يقصر تقصيراً بيناً مع قدرته ، فهو ينفق على بيت، ويترك البيت الآخر إذا كان له بيتان بحجة أن الزوجة تعمل أو موظفة، فمهما

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، برقم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

كان عملها، فالإنفاق على الزوجة واجب إلا ما اتفقا عليه.
أيها المسلمون!

إن من الظلم الفادح تقصير الزوج على بيته، وفي الوقت نفسه
مفاخرته مع أصدقائه وزملائه في سيارته وكمالياته. فليتق الله هؤلاء
وأولئك بما أوثمنوا عليه من الزوجات والذرية.

ومن حقوقها على زوجها: الشفقة عليها والرحمة بها، وعدم
الظلم لها، والصبر عليها، وعدم ضربها، وكف الأذى عنها، وأخذها
بالرفق واللين، وليعلم الزوج أن المرأة مهما بلغت، فإنه لا يمكن أن
تستقيم استقامة تامة، قال رسول الله ﷺ: (... واستوصوا بالنساء خيراً،
فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت
تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً) ^(١).

ولا شك أن من سوء المعاملة، وقلة العقل وعسف الرجولة
لجوء الزوج إلى ضرب زوجته كلما أخطأت في نظره، وتزداد الأمور
سوءاً عندما يكون هذا الضرب أمام الأولاد، فما هذه التربية؟ وما هذا
السلوك المشين؟ وهل هذا تأديب؟ سبحانه ربي هذا ظلم عظيم!!

ومن حقوقها: الغيرة عليها وصيانتها، وتحقيق القوامة عليها، فإن
من طبيعة المرأة أنها ضعيفة، فلا يكن هذا الضعف منفذاً للشيطان بغفلة

(١) سبق تخريجه.

الزوج عن توجيهها وإرشادها ونصحها، ويكمل هذا الضعف عندما يملأ كثير من الأزواج البيت بأجهزة اللهو والفساد، ويبقى خارجه وقتاً طويلاً، ولا يدري ما الزوجة والأولاد فاعلون؟

فاتقوا الله أيها الأزواج، وقوموا بالحقوق الواجبة عليكم تجاه أهليكم تجدوا سعادة الدنيا ومتاعها، قال عليه الصلاة والسلام: (الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة) ^(١) ولا تكون كذلك وأنت لم تقم بحقوقها عليك.

أيها المسلمون الكرام! أما حقوق الزوج على زوجته ، فعظيمة، وليس هناك أعظم حق من حق الزوج على زوجته، فحقه مقدم على حقوق والديها، وأقرب الناس إليها، ومن هذه الحقوق: الطاعة بالمعروف، بأن تكون في غير معصية الله تعالى، وألا يترتب عليها ضرر، قال تعالى: (وللرجال عليهن درجة) [البقرة: ٢٢٨] ، وقال سبحانه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] ، ومن مقتضى هذه القوامية: الطاعة بالمعروف، قال رسول الله، ﷺ : (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم

(١) سبق تخريجه.

حقه عليها^(١). وسألت عائشة رضي الله عنها، رسول الله ﷺ: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: (زوجها)^(٢) وفي حديث آخر (إنما هو جنتك ونارك)^(٣) يعني: إن أطاعته دخلت الجنة، وإن عصته دخلت النار.

وروى أصحاب السنن مرفوعاً: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت)^(٤).

فاتقوا الله، عباد الله، واعلموا أنه بالطاعة تستقر الحياة الزوجية، وتستقيم الأسرة، وينعم أفرادها، ويسعدون في دنياهم وأخراهم، والواجب على الزوج أن يراعي الله في هذا الحق، فلا يأمرها إلا بما هو خير وحق، وعليه أن يتحلى بالخلق الرفيع عندما يأمر وينهى؛ حتى تحصل له الطاعة عن طيب نفس ورضا.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٢٣٢٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري، في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، وقال: أخرجه أحمد والنسائي، وصححه الحاكم من حديث عائشة، رضي الله عنها، وذكر الحديث.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٨٦٤٨) من حديث الحصين بن محصن رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٦٧٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَصْلِحَ نِيَاتَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَذُرِّيَّاتَنَا وَبُيُوتَنَا
وَأَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، نَفْعِنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
ﷺ، وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ
ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن على نهجهم سار واهتدى.
أما بعد:

أيها المسلمون!

ومن حق الزوج أيضاً: استقرارها في بيته، وعدم خروجها منه إلا
بإذنه إلا في حالة ضرورة، ولو لزيارة والديها أو أقرب الناس إليها، قال
تعالى مخاطباً أمهات المؤمنين أزواج الرسول ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] ولأهمية قرارها في بيتها
جعلت صلاتها في بيتها أفضل منها في المسجد، وإن كان لا ينبغي
للزوج منعها من أداء العبادة في المسجد، لكن بيتها أفضل، ومما ينبغي
أن تعلمه الزوجة: أنها إذا خرجت من بيتها بعد أن يأذن لها، فعليها أن
تخرج بكامل حجابها وحشمتها وسترها، وأن لا تخرج مبدية زينة أو
متطية، فإن خرجت كذلك لحقها الإثم والوعيد، واستشرفها الشيطان،
كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ. ^(١)

(١) أخرجه الترمذي في سننه بلفظ: "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان" وقال:
حديث حسن صحيح، وهو برقم (١١٧٣) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء يحرم=

ومن حق الزوج أيضاً : أن ترعى بيته، وأن تصونه، فلا تدخل فيه أجنبياً، أو شخصاً يكرهه، ولو كان من أقرب القربى لها، جاء في الحديث الصحيح: (فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه).^(١) كما عليها : أن ترعى مال زوجها، وتحافظ عليه، ولا تكلفه ما لا يطيق من النفقة أو الكسوة، أو القوت بحجة أن أختها اشترت كذا، أو غيروا أثاثهم، أو يشترون الماركات الفلانية، أو عندهم ما ليس عند غيرهم، فمن ظلم الزوج تحميله ما لا يطيق، والنتيجة مفاخرتها على الآخرين، ومن ثم فساد في البيت، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ﴾ [الطلاق: ٧] ومن حقه أيضاً : التزين والتصنع له، لأجل أن ترغبه في نفسها، والتودد والتحبب له، وأن تكون ودوداً تبسّم في وجهه، وتتلطف في مخاطبته، فقد وصف الله تعالى نساء الجنة بقوله: (عرباً أتراباً) [الواقعة: ٣٧] والعروب هي : المتوددة إلى زوجها.

وأن تحقق مطالبه الخاصة، قال رسول الله، ﷺ: (إذا دعا الرجل

=في كراهية الدخول على المغيبات . عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٦٨١) وزاد في روايته (وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الحج ، برقم (١٢١٨) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

امرأته إلى فراشه فلم تأته ، فبات غضبان عليها؛ لعتتها الملائكة حتى تصبح^(١) فإذا قامت بهذا الحق منعه من أن يتطلع إلى أمور أخرى؛ لأنها قد أشبعت ما يريد ويرغبه.

ومن حقه أن لا تتطوع بصيام وهو حاضر إلا بإذنه، قال رسول الله، ﷺ: (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه).^(٢)

ومن حقه: أن تعترف بفضله، وأن لا تكفر نعمته، أو تجحدها، أو تنكر معروفه، وقد قال رسول الله، ﷺ: (واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء)، فسألت امرأة عن السبب. فقال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط).^(٣)

أيها المسلمون!

رحم الله القائل: (رحم الله رجلاً محمود السيرة، طيب السريرة،

(١) أخرجه البخاري بدء الخلق، باب ذكر الله الملائكة (٣٢٣٧) ومسلم في النكاح، باب استحباب النكاح، برقم (١٧٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في النكاح، باب لا تأخذن المرأة في بيت زوجها، برقم (٥١٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب كفران العشير الإيمان وقول النبي ﷺ: بُني الإسلام، برقم (٢٩) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، ومسلم في كتاب الكسوف؛ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار برقم (٩٠٧) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

سهلاً رقيقاً، رحيماً بأهله، حازماً في أمره، لا يكلف شططاً، ولا يهمل في مسؤولية، ورحم الله امرأة لا تطلب غلطاً، ولا تكثر لغطاً، صالحة قانئة، حافظة بما حفظ الله).

ألا فليتنق الله من أراد سعادة الدارين، اتقوا الله أيها الأزواج، اتقن الله أيتها الزوجات، واجعلوا بيوتكم مصادر نور وهداية، ولا تجعلوها أوكاراً للشيطان ومأوى لأعداء الرحمن.

ثم صلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين، خير قدوة للناس أجمعين، كما أمركم المولى سبحانه في كتابه الكريم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

من أنصار المرأة؟

الخطبة الأولى

الحمد لله خلق الناس من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي تتوالى وتترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاط بكل شيء خبراً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أعلى الناس منزلة، وأعظمهم قدراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بالإحسان إلى يوم يبعث من في الثرى، أما بعد :

عباد الله ! اتقوا الله سبحانه وتعالى في أنفسكم وأهليكم ومجتمعكم وأمتكم، اتقوه ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. أيها المسلمون! في أوقات الأزمات والمحن، وتكالب الشرور والفتن، تختلط المفاهيم، وتلبس الحقائق أثواب الباطل، وتزين الرذيلة، وتصير الأقسام عند كثيرين قمماً شامخة، وترتفع أصوات النفاق والمنافقين لتحسن السيئ وتشوه الوجه الحسن.

وأعداء الإسلام في القديم والحديث ناشطون ومجتهدون، باذلون ساعون، يفكرون، ويخططون لإقصاء المسلمين عن دينهم، والتلبس عليهم فيه، ويرخص الغالي عندهم، ويسهل عليهم العسير في

سبيل تحقيق مآربهم وأهدافهم مهما كلفهم الثمن، ولا غرابة في ذلك، فقد أخبرنا الله تعالى عن حقيقتهم وسعيهم وجدهم، حقائق ناصعة في كتابه الكريم: قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا هو حالهم، ولكن الغرابة أن يتلقف هذا من أبناء المسلمين ليكتبوا وينافحوا وتعلو أصواتهم فيما يريد أولئك الأعداء، ومن ذلك ما ينادي به زمرة من هؤلاء بين حين وآخر من دعاة مناصرة حقوق المرأة وإعطائها تلك الحقوق، وأنها مهضومة الحق في دين الله تعالى، ينادون ذلك في مختلف وسائل الإعلام، فنصبوا أنفسهم حماة عن المرأة مناصرين لها.

أيها المسلمون!

لنقف وقفة نجلو فيها هذا الإجمال إلى شيء من التفصيل لنطرح سؤالاً مهماً: من هم أنصار المرأة حقاً؟ أهم أولئك الذين يريدون المرأة المسلمة أن تلحق بركب النساء الكاسيات العاريات اللاتي يوجدن في المراقص ودور السينما؟ وتروج بهن أسواق البغاء، وينتهي بهن المطاف إلى المصححات النفسية، وتقام عيادات الإجهاض، بل يسهمن في إهلاك الحرث والنسل، فيزين أولئك صورة تلك النساء

للمرأة المسلمة؟ أم أن أنصار المرأة الذين يريدون أن يرتبط تاريخها بأسية التي خلد القرآن ذكرها، وبنى الله لها بيتاً في الجنة، ومريم التي أحصنت فرجها، وبارك الله في نسلها، وفي خديجة التي ناصرت النبي ﷺ، وعائشة العالمة الصديقة الفقيهة، وغيرهن من أمهات المؤمنين!!!

من أنصار المرأة حقاً؟ أهم الذين يريدون لها اللهاث وراء السراب الخادع يتصبب جبينها عرقاً في المصنع؟ وتتورم يداها، وتتسخ ثيابها في الورشة والعمل، وتسوق في المتاجر لتجذب الزبائن، وتهدد بين حين وآخر بنقص المرتب أو بالفصل إذا لم تستجب لمطامع الطامعين!! أم أن أنصار المرأة الذين يريدونها مصونة مكنونة يزيدها خمارها وعباءتها جمالاً وهيبة، وتأمين من الذئاب والكلاب البشرية!!

من أنصار المرأة حقاً؟ أهم الذي يحددون حقوقها في: قيادتها للسيارة فغاية مطلبهم أن تكون المرأة سائقة سيارة؟

وفي: تبرجها وسفورها، فهمهم التمتع بالنظر إليها وإرواء شهواتهم، وفي: خلطتها بالرجال في التعليم، والإعلام والعمل وغيرها، وفي: مزاحمتها للرجل في أعماله وإبعادها عن مكانتها الحقيقية لتكون: صانعة وعاملة شرطية ومنظفة ومسوقة بضائع.

وفي: مخالفة ما خلقها الله تعالى، من طبيعة لتعسر حالها وخلقها، فتلبس ثوباً ليس لها، وتخلع ثوبها.

إن غاية نصرة المرأة عند هؤلاء انتهاء طموحاتهم عند نزعها

لحجابها، وقيادتها لسيارتها واختلاطها بالرجال، هل حقوق المرأة كذلك؟ فإن كانت كذلك فقد نالت ذلك في كثير من البلدان، فماذا حققت؟ وما النتائج الإيجابية العظيمة التي حصلت تلك المجتمعات عليها في انتصارها على أعدائها؟ وتقدمها العلمي وتفوقها العملي؟ وفي سعادة البيت والأسرة؟ أم أن أنصار المرأة حقاً الذين يطالبون بحقوقها الحقيقية:

- بإيجاد ما يخصها من دور العلاج بمستشفيات خاصة لها دون حرج مع الرجال.
 - وحققها في التعليم بأن تصاغ مناهجها وفق طبيعتها التي خلقها الله تعالى، ووفق حاجاتها ووظائفها.
 - وفي مراعاة طبيعتها وخلقتها بأن تراعى في وظيفتها، وفي تقاعدها وفي دوامها.
 - وفي قيامها بواجبها الدعوي لبنات جنسها.
 - وفي رعاية المطلقات والأرامل وصاحبات الاحتياجات الخاصة.
- أيها المسلمون!

لا شك أن تلك دعوات محمومة، وإن بهرت وزخرفت ونفت وتباكت وأبكت، فما هي إلا استجابة لمناداة أولئك الأعداء الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

أيها المسلمون!

لقد كفّل ديننا الحنيف للمرأة حقها منذ بعثة نبينا محمد، ﷺ، وليس حقها المزعوم، ألم يقرأ أولئك كتاب ربهم ويتدبروه ليفقهوا ما فيه؟ فقد رسم منهاجاً عظيماً، ومعالم واضحة لا ريب فيها ولا غموض، وقد تعبدنا الله بالاستجابة له، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] لكن في قلوبهم حرج لا يعجبهم ذلك، فقال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٢] وقد تواتر عند عامة المسلمين فضلاً عن علمائهم ودعاتهم ومتعلميهم ما كفله الإسلام للمرأة أمماً وزوجة وبتناً، ومطلقة وأرملة ويتيمة، فقد قال عليه الصلاة والسلام عن الأم: "الزمها فإن الجنة عند رجلها".^(١)

وعن الزوجة: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"^(٢)، وقد

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥٢٣٤) من حديث معاوية بن جهم.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب برقم (٣٨٩٥) عن عائشة رضي الله عنها، باب فضل أزواج النبي ﷺ، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري، ما أقل من رواه عن الثوري.

وروى هذا عن هشام بن عروة عن أبيه، عن النبي مرسلأ.

وأخرجه الدارمي في سننه برقم (٢٢٦٢)، وابن حبان في صحيحه برقم (٤١٠١).

فصلت كتب الأحكام والفقهاء تلك الحقوق وغيرها، فهل يعي أبناء المسلمين ذلك ليدركوا ما يخططه لهم أعداؤهم، ولا تنطلي عليهم تلك الصيحات المحمومة التي تريد ظلم نساءنا وبناتنا؟ إن الأمر جد خطير، ولتذكر أولوا الأبواب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] أسأل الله أن يبصرنا بديننا.. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي فتح لعباده طريق الفلاح، وأرشدهم إلى ما فيه الخير والصلاح، فمن سلك هذا الطريق فله الفوز والنجاح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق الحب والنوى وفالق الإصباح، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الذي بددت رسالته ظلمات الجهل والظلم، كما بدد ظلام الليل نور الصباح، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ما أشرق الفجر ولاح، أما بعد:

أيها المسلمون!

إن الناظر في أحوال الإعلام المعاصر من فضائيات وغيرها يجد دعوات محمومة وبرامج مركزة لمحاصرة الفضيلة وخنقها، من امتهان المرأة، ونزع الحياء، وخلع ثوب العفاف، ومصادمة الفطرة وغيرها، فقد تكاثرت في هذه الأيام، والعاقل يسأل نفسه لماذا؟ والقرآن يجيب:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

أيها المسلمون!

إننا على ثقة- مهما تكالبت المدلهات وأظلمت الطرق، وحورب الدين- أن المرأة في بلاد الحرمين لديها من الحصافة والوعي والثقة بدينها ما تميز به بين الضار والنافع، والأنصار والخصوم، وإننا

على ثقة على يقظة ولادة أمرنا وعلمائنا، ودعاتنا وداعياتنا لمواجهة هذه الحركات مهما علت أصواتها وتأججت نيرانها، وسالت أعلامها، ولكنها عباد الله الذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

وصلوا وسلموا على من أرسله الله رحمة للعالمين، وهدى ورحمة للمؤمنين، كما أمركم الله جل وعلا في محكم كتابه الكريم فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والحمد لله رب العالمين.

صورتان للقدوة (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي المتين، الذي أعز عباده المؤمنين، أحمدته سبحانه وأشكره، جعل العزة في التمسك بالدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى أصحابه الغز الميامين، الذين حملوا راية هذا الدين، وعلى من تبعهم بإحسان من الأولين والآخرين: أما بعد:

عباد الله ! اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، فإن أجسامكم على النار لا تصبر ولا تقوى.

أيها المسلمون! في القرآن الكريم عبرة لمن اعتبر، ومذكر لكل ذي لب وبصر، ومن ذلكم ما رسمه القرآن الكريم في أربع آيات من سورة القصص، حيث تحمل هاتين الصورتين منهجاً فريداً، تحمل معالماً أخلاقية فريدة لأهم ركنين من أركان أمم الأرض قاطبة، ومن خلالهما يُعرف مدى قوة تلك الأمم وثباتها وتقدمها، أو ضعفها وتمزقها وتحللها، ألا وهما الشاب والفتاة، فقد أورد الله تعالى صورة للشاب المؤمن القوي العفيف، متمثلة في موسى عليه السلام وهو في أرض مدين، وتقابلها صورة للفتاة المؤمنة العفيفة الطاهرة، التي تتحاشى مواطن الشبه والفتنة،

متمثلة في امرأتين تسقيان أنعامهما وهما ابنتا شيخ كبير.

يقول الله تعالى في بيان ذلك : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنُ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبْنَوبُ آسْتَجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝٢٦﴾ [القصص: ٢٣-٢٦].

فأما الصورة الأولى، فهو الشاب المؤمن، فقد سجلت الآيات مجموعة من المعاني والصفات التي ينبغي للشاب المسلم أن يتحلى بها، وعلى رأس هذه الصفات:

القوة والنشاط والحيوية: حيث تحلى بها نبي الله موسى، عليه الصلاة والسلام، وهي ضرورة لا بد منها لكل شاب مؤمن، وتشمل هذه القوة هنا قوة الجسد وقوة الإيمان، وهكذا الشاب المسلم يسطر معنى القوة التي أكدها النبي ﷺ، فيما رواه مسلم وغيره: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير".^(١)

فالمؤمن صاحب الخيرية يقوى في عقيدته وإيمانه، وفي أخلاقه

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤) في كتاب القدر، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وسلوكه، وفي إرادته وعزمه على الخير، وفي جسده، وهذه القوة يسخرها في سبل الخير ومجالات الفضيلة والأخلاق والبناء، لا في التدمير والتخريب والإفساد أيا كان نوع هذا الإفساد، سخرها نبي الله موسى عليه السلام، فهو الشاب الطريد الهارب، وهو في بلد الغربة على أرض مدين لا يعرف طباع الناس وعاداتهم، نراه لا يرضى لنفسه أن يرى الناس يسقون أنعامهم من الماء، ويحرم من ذلك امرأتان تمنعان من سقي الماء، فقد أبت مروءة موسى عليه السلام، ونخوته أن يحدث هذا الخلل أمام عينيه، فسارع إليهما قائلاً: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فسخر موسى قوته، وبذلها لنفع غيره .

والصفة الأخرى التي سطرها الآيات لموسى عليه السلام صفة الأمانة: والأمانة من صفات المؤمنين شيوخاً وشباباً، رجالاً ونساءً، كما قال تعالى:

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) [المؤمنون: ٨]، وقد عُرف الرسول عليه الصلاة والسلام بين أهل مكة بـ "الصادق الأمين"، فكان يضرب به المثل في الأمانة والوفاء، وبالأمانة تستقيم أمور الحياة، وتستقر أوضاعها، فإذا انعدمت الأمانة، وتفشيت الخيانة، فإن مآل الناس سيكون إلى القلق والاضطراب في الأمور كلها، لأن فقدان الأمانة في الأمة يعني فقدان الثقة بين أبنائها، وهذا شر مستطير تفرز عنه ألوان

المآسي والفتن.

ومن الصفات أيضاً صفة الجدية والعزم الصادق، والإرادة الخيرية: فهو حينما رأى أمامه مشهداً ظالماً، حيث يسقي الرجال دون النساء، فلم تمنعه متاعب السفر والخوف والملاحقة أن يرضخ أو ييأس من مناصرة الضعفاء، وهو المبدأ الذي آمن به، وأخرج من أرضه وأهله من أجله، فليس ثمة قوة في الأرض تززع هذا اليقين الذي يفرض عليه العمل والجدية في جميع الأحوال والأزمان، هكذا الشاب الطموح جاد في علمه، وفي استغلال وقته، وفي توجيه قدراته وطاقاته نحو الخير والفائدة، والنفع لنفسه وأسرته ومجتمعه، هكذا يراد من الشاب، لا أن يكون سهلاً ضائعاً يمضي عليه الليل والنهار في ترهات الأمور وسفاسها.^(١)

(١) ومن الصفات التي تجلّت في هذه الآيات التوكل على الله والاعتماد عليه، والإلحاح في الدعاء لإنجاح المساعي والمهام في مسيرة الحياة، فبعد أن سقى موسى عليه السلام للمرأتين وتحول إلى الظل، أخذ يدعو ربه حيث لم يكن له غنى عنه، فهو الذي نجاه من فرعون وبطشه، وهو الذي قواء لإعانة هاتين المرأتين ونصرة الضعفاء، فأخذ يدعو ربه (ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير) فما أن أتم دعاءه حتى جاءته إحداها تمشي على استحياء، فكان الخير الذي طلبه من ربه جاء يمشي على قدميه، فكان من أمر ذلك الرجل الصالح والد الفتاتين أن عرض عليه الزواج. إنها دعوة للإحصان، وغض البصر، وحفظ الفرج، ومتابعة طريق الرسالة والدعوة في محضن الزوجية المحاط بالحب والود، وهكذا كان الأمر مع سيدنا محمد ﷺ حين دعت السيدة خديجة بنت خويلد للزواج منها، فلقي منها كل حب ورعاية بدت من خلال كلمتها الحانية التي قالتها له حين رجع من لقاء جبريل عليه السلام أول مرة في غار حراء: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل =

استمعوا أيها الشباب إلى ما مضى علينا من النماذج الحية، فهؤلاء أصحاب الكهف، وهم فتية من المؤمنين خرجوا من أهلهم وديارهم، وهجروا مراتع المعاصي لتسلم لهم عقيدتهم، ويرضى عنهم ربهم، ولعظم شأنهم ومكانتهم خصّهم الله تعالى بتسمية سورة من القرآن باسمهم، يقول عنهم ربهم جل ثناؤه: ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩١﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝٩٢﴾ [الكهف: ٩-١٠].

وصورة أخرى يسردها لنا ربنا جل ثناؤه في ذلك الشاب المؤمن الطاهر الصبور، وهو نبي الله يوسف عليه السلام، الذي صبر على ظلم إخوته، وصبر على ظلمة الجُبِّ، وتحدى فتنة المرأة التي عرضت نفسها عليه، فيأبى أن يخون الله ويخون الدار التي دخلها، والرجل الذي آواه، وبالتالي يفضل ظلمات السجن لبضع سنين على معصية الله تعالى في ظل ظليل، وعيش رغيد ﴿قَالَ رَبِّ آلَسْجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٣٣﴾ [يوسف: ٣٣].

أيها المسلمون!

والشباب طاقة ونشاط، وقوة وحيوية، فإن لم يُستغل في الخير استُغل في ضده، وأعداؤنا لا يألون جهداً في استغلال شباب أمتنا في جميع الميادين، لتدمير طاقاتهم وقدراتهم، ونزع معالم الإيمان من

=الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي برقم (٣).

صدورهم، وإبعادهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، حيث سخر هؤلاء الأعداء جميع قواهم لإشغال شبابنا في خطين منحرفين، أولهما في سفساف الأمور، فهذه وسائل الإعلام الغازية من كل جانب، والتي دخلت بيوت المسلمين قد شغلت الشباب عن معالي الأمور، فهناك الكثيرون من هؤلاء الشباب يقضون الساعات الطوال أمام الفضائيات لمتابعة البرامج التافهة والخليعة التي تخل بمكارم الأخلاق والآداب العامة، والتي تركز على تميع الشباب، وحصر اهتمامهم وتفكيرهم في الأغاني الماجنة والرقص المثير، واللبس وقصات الشعر وغيرها مما يندى لها جبين المؤمنين الغياري.

وفي خط آخر: في الغلو والنظر إلى الأشياء والحكم عليها من منظار ضيق حرج، أصاب الأمة في عقيدتها وأمنها.

فاتقوا الله يا شباب المسلمين! واستغلوا ما منحكم الله من قدرات ومواهب لتنفعوا أنفسكم وأهلكم ومجتمعكم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

أيها الشباب! الأمة بحاجة إلى طاقاتكم وقدراتكم، وبحاجة إلى أن تكونوا على مستوى المسؤولية، وأن تحافظوا على أوقاتكم وتسخروها فيما ينفع دينكم ودنياكم، وأن تكونوا أقوياء وأمناء وجادين في حياتكم، كما كان عليه نبي الله موسى عليه السلام، حينما أقبل إلى أرض مدين، فحافظوا على نعم الله عليكم من الصحة والعافية والوقت، واستعملوها في وجوه الخير المختلفة، وكونوا أيها الشباب نماذج يضرب بها الأمثال في الطهارة والعفة والخوف من الله تعالى ومراقبته سرّاً وجهاراً، كما كان شأن نبي الله يوسف عليه السلام، إن أمتكم بحاجة إليكم في كل شؤونها وأحوالها؛ تريد أمتكم ومجتمعكم شباباً جادين يتطلعون إلى القمم السامقة ويرفعون عن سفاسف الأمور، وما تروجه وسائل الإعلام المتكالبه عليهم من هنا وهناك، ليتحلل من رجولته وشبابه وقوته، نريد شباباً تعي أحوال أمتها، وتحاول إيجاد السبل المناسبة لإنقاذها مما يهددها على يد أعدائها من الداخل والخارج، نريد شباباً

متعلماً يخوض أغوار العلوم المختلفة؛ في الشريعة والدعوة، والهندسة والطب، والفلك والعلوم وغيرها، نريد شباباً مؤمنين واثقين لا يحتكمون، ولا يعرفون شريعة إلا شريعة الله، نريد شباباً يعرفون قدر علمائهم ومشايخهم وكبارهم، فيرجعون إليهم في الحوادث والنوازل، نريد شباباً واعياً لا يغتر بادعاءات البغاوات المستغربين الذين يرددون كل ما يسمعون من أعداء الأمة، ويطلبون على نعماتهم وأفكارهم.

شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا تعهدهم فأنبثهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصونا فاتقوا الله أيها الشباب! ويا أولياء الشباب سخرُوا هذا الشباب لتكونوا كما قال النبي، ﷺ، من السبعة الذين يظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله "منهم" وشاب نشأ في عبادة الله" (١).

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة كما أمر الله جل وعلا في محكم كتابه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين.

صورتان للقدرة (٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله خلق الإنسان من طين، وكرمه بهذا الدين، أحمدته سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله ! اتقوا الله في أنفسكم وأهلكم تكونوا من المفلحين.

أيها المسلمون!

تحدثنا في الجمعة الماضية عن صورة للقدوة تمثل الشاب المسلم، أما الصورة الثانية فهي صورة الفتاة المسلمة التي تمثلت في المرأتين اللتين تذودان، وسقى لهما موسى عليه السلام من ماء مدين :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُضْهِرَ الزَّعَاةُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٢)

فقد سطرت الآيات صفة الفتاة المسلمة الحقة، وقد رسمت من خلالها المنهج الحق فيما يجب أن تكون عليه الفتاة المسلمة والمرأة المؤمنة، قال الله تعالى: (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) يعني جاءت تمشي مشية الفتاة العفيفة الواثقة من نفسها، من غير تبرج ولا سفور ولا إغواء، وهذا هو شأن المرأة المسلمة في حلها وترحالها، والحياء من

معالم الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: "فإن الحياء من الإيمان"^(١) رواه البخاري.

و الحياء من أهم أسباب استقرار الأمم وتنعمها بالخيرات والبركات، فحيثما حل الحياء حلت معه نعم الله وآلؤه، وتحل الفضيلة، وتسود الأخلاق، لقوله عليه الصلاة والسلام: "الحياء لا يأتي إلا بخير" رواه البخاري^(٢)، وهذا يعني أن انتزاع الحياء من أية أمة يعني انتزاع البركة والوئام والأخلاق والفضيلة، كما هي حال بعض الأمم الأخرى.

أما الصفة الأخرى، فهي خروجهن لحاجة:

فلم يكن خروج هاتين المرأتين من البيت إلا لسقي الأنعام، ولم يكن حديثهما مع موسى عليه السلام، إلا لضعف أبيهما الشيخ الكبير الذي لا يقدر أن يقوم بسقي الأنعام، وإلا فالأصل أن المرأة تبقى في بيتها، ولا يخرج إلا من يتولى أمرها، ولم يكن هذا الكلام متجاوزاً للآداب والأخلاق، لأنهما وقفتا بعيدتين عن الرجال حتى ينتهوا من السقي، ولم يمنعهما من ذلك إلا الأدب والإيمان اللذي تربتا عليه على يد الشيخ الكبير.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٤) عن عبدالله بن عمر في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١١٧) في الأدب، باب الحياء عن عمران بن حصين رضي الله عنه، باب البر والصلة.

وهذا المَعْلَمُ العظيم يقرر الأصل بالنسبة للمرأة: أن عملها في بيتها، وأنها لا تعمل خارج بيتها إلا لحاجة لا تقوم إلا بها، مع ضوابط هذا الخروج من الحياء وعدم الاختلاط بالرجال، فهل يفقه بعض مثقفينا وكتّابنا الذين يرمون الكلام على عواهنه، فيكون كل منهم مشرعاً متعدياً على شرع الله، فما بال أقلام زلت وانحرفت عن الصراط المستقيم هذه الأيام على صفحات الصحف.

والمَعْلَمُ الثالث الذي سطرته هذه الآيات هو: البعد عن مواطن الفتنة:

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

كانت هذه المرأة وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومزاحمة الرجال، والاحتكاك بهم على الماء، لأن هذا العمل بطبيعته من شأن الرجال، وليس من شأن النساء، وكانتا تريدان العفة والستر، في التخلي من هذا العمل الذي يفرض عليها الاختلاط، والاحتكاك مع الرجال، وهذا دليل على عفة القلب والنفس؛ لأن هذه المزاحمة تسبب لهما خدشاً في هذه العفة، وهذه النظافة الروحية.

والبعد عن مواطن الفتنة يعني الابتعاد عن الاختلاط بالرجال لغير ضرورة شرعية، لأن من أولى بؤادر الفساد والتحلل في المجتمعات هو الاختلاط الذي يحدث بين الرجال والنساء، ومعلوم ما يترتب على هذا الاختلاط من آثار خطيرة تعيشها الآن مجتمعات الاختلاط، وبالتالي الوقوع في مستنقع الفواحش الآسن، وقد حذر الله تعالى نساء الأمة من ذلك في آيات كثيرة، كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ ادْفَعْ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] ، ومن هنا فقد سد الإسلام طرق الفساد وذرائعه مهما كانت في أعين الناس صغيرة.
أيها المسلمون!

هذه هي المعالم الأساسية التي رسمتها تلك الآيات، وهذا هو المنهج الحق للمرأة المسلمة في المجتمع المسلم، وها هي صورة أخرى للمرأة، هذه الصورة الرائعة للمرأة المؤمنة التي تقاوم ملذات الدنيا ومغرياتها في سبيل الحفاظ على كرامتها وعفتها، ومن أجل أن يرضى الله عنها.

ومن تلك النماذج امرأة فرعون ومريم ابنة عمران حيث قال فيهما الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِ وَالْحَقْلُ وَالْهُدَى وَتُحِبُّ الْحَقَّ وَتُكَذِّبُ الْبَاطِلَ ﴿١٢﴾﴾ [التحریم: ١١، ١٢].

كانت تلك بعض الصفات التي ميّز الله تعالى بها المؤمنات من غيرهن من النساء، ولكن دعاة التغريب والناعقين له لم يتركوا المرأة المسلمة في حالها، فهم ينادون بخروجها لتعمل كالرجال ومع الرجال في جميع الميادين، وهم لا يريدون لها هذا العمل لمصلحتها، أو لحاجة العمل إليها، وإنما يريدون أن يكسروا الحاجز بين الرجل والمرأة، ويدمروا الحصن الواقي لكرامتها وعفتها الذي بناه الإسلام لها، وإلا كيف ننادي أن تقوم المرأة بأداء أعمال الرجال؟ وفي وقت لا يزال الغرب يدفع ضريبة باهظة جراء خروج المرأة إلى العمل مثل الرجل.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْنَا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّبَعْتُنَّ فَلَا تَنفَعُكَ نَجْوَى النِّسَاءِ بِأَقْوَالٍ فَتَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

وإذا كان هذا الأمر لنساء النبي ﷺ، وهن أمهات المؤمنين
فغيرهن من باب أولى فليتنق الله النساء، وليقتدين بتلك القدوات
وليحذرن من أصحاب وصاحبات الهوى والمتبعين للأعداء، وليتنق الله
أولياؤهن فالأمر جد خطير.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا
وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك وعلى آله وصحبه، ومن على مناهجهم ساروا قتنى. أما بعد:

أيها المسلمون!

لا يعني أن ما قلناه في الخطبة الأولى هو معاداة لعمل المرأة المسلمة، بل نريد لها أن تعمل ضمن الضوابط الشرعية التي تضع الأمور في نصابها، بحيث توفق بين عملها الشرعي خارج البيت، وبين تربية أبنائها، والقيام بواجبها الأسري داخل البيت، فلا يكون عملها خارج البيت على حساب تربية أبنائها ورعاية زوجها، كأن تعمل طول النهار، وتترك تربية الأبناء للخدمات والمربيات.

نريد أن تعمل في المجالات التي تتعلق بالنساء، ونريد لها أن تكون داعية، وتكون لها مراكز خاصة لها لتعليمها أحكام دينها، ونريد أن تكون مربية، وطبيبة للنساء، وممرضة للنساء، ومشرفة اجتماعية للنساء، وفي محيط النساء، هذا هو شرع الله.

أيها المسلمون! من الغبن الفاحش أن نستمد نظمنا وقوانيننا من الملل الكافرة، وقد حذرنا رسول الله ﷺ، من ذلك بقوله: " كفى بقوم

ضلالاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به نبي غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم" سنن الدارمي^(١)

وقوله ﷺ: " لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" رواه البخاري.^(٢)

إن الأمة بحاجة إلى المرأة المسلمة التي تصون نفسها بقيم الإسلام ومبادئه، وتحافظ على حجابها وكرامتها وتحميها من الذئاب البشرية، كما حافظت عليه ابنتا الشيخ الكبير، وإن الأمة بحاجة إلى المرأة القابضة على دينها كما كانت امرأة فرعون - رضي الله عنها، وهي في بيت أكبر طاغية، إن الأمة بحاجة إلى المرأة التي تتعلم الدين وأحكامه، وتصبح داعية تعلم مثيلاتها من النساء أمور دينهم كما كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

بصر الله الجميع بالحق ودلهم عليه، ووقانا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلوا وسلموا على من أُمِرتم بالصلاة عليه كما أمركم الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) رواه الدارمي في المقدمة عن يحيى بن جعدة مرسلًا ١/ ١٣٤ برقم (٤٨٧)

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦) في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل عن أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)،

الوقت والإجازة الصيفية

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد القهار، يكور النهار على الليل، ويكور الليل على النهار، وسخر الشمس والقمر، كل يجري إلى أجل مسمى ألا هو العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بالتفكر والاعتبار، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصار، وسلم تسليماً كثيراً ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد : عباد الله: اتقوا الله في ليلكم ونهاركم، وفي جميع أحوالكم.

أيها المسلمون!

إن هذا العمر الذي يعيشه الإنسان في الدنيا هو مزرعته للآخرة، فإن زرع خيراً وعمل صالحاً بنية خالصة جنى السعادة والفلاح، وتكون النتيجة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا مِمَّا آتَيْنَا فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وإن ضيعه في الغفلة واكتساب المعاصي ندم يوم لا تنفع الندامة، وتمنى الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة، فيقال له: ﴿أَوَلَمْ نَعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ السَّزِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

أيها المسلمون! إن هذا الوقت الذي يقضيه الإنسان في الدنيا نعمة عظيمة ومنحة جليلة من الله سبحانه وتعالى، ولذا ورد ذكره في كتاب

الله تعالى، واهتم به الرسول ﷺ، وبين عظمته وأهميته، ومن الاهتمام به أن أقسم الله سبحانه وتعالى بأجزاء منه، فجاء في القرآن ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) و﴿اللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ﴾ (٢) ﴿الضحى: ١-٢﴾ .

وقال سبحانه : ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَفَتَىٰ﴾ (١) و﴿النَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (٢) ﴿[الليل: ١-٢]﴾ وقال : (وَالْعَصْرِ) (العصر: ١) وقال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١) و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ﴾ (٢) ﴿[الفجر: ١-٢]﴾ ويقول سبحانه مبيناً تفضله على عباده، وامتنانه به: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣) ﴿وَمَا تَنكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ ﴿[إبراهيم: ٣٣، ٣٤]﴾ .

ولعظم هذا الوقت، سيسأل عنه الإنسان يوم القيامة، وسيحاسب عليه ماذا قضى فيه، وما أودع في أيامه؟ وماذا سجل في سجلاته؟ روى البزار والطبراني بإسناد صحيح، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به" (١)

فالإسلام ينظر إلى هذا الوقت بنظرة خاصة، ولذا شرع العبادات اليومية مقسمة على ساعات اليوم لئلا يغفل الإنسان عن استغلاله لها،

(١) رواه الدارمي عن ابن مسعود ٢٦٦/٤ برقم (١٤٣٥) والطبراني في الكبير ٢٠ / ٦٠ برقم

فحينما يدبر الليل، ويسفر نقابه عن وجه الفجر، يقوم داعي الله يملأ الآفاق لصلاة الفجر موقظاً للنائمين، وكذا عندما يقوم قائم الظهيرة لصلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وعند إدبار النهار لصلاة المغرب، ثم صلاة العشاء، فيفتح يومه ويختتمه بعبادة ربه ومناجاته، وذكره ودعائه، وكذا في كل أسبوع بعبادة خاصة يوم الجمعة لها فضل معين ومكانة عظيمة، يجتمع فيها المسلمون، وفي السنة تأتي المواسم الكبرى المتتالية، كل ذلك إشعاراً للمسلم بأهمية الوقت وضرورة استغلاله، والحرص على عدم فواته بطاعة المولى عز وجل.

أيها المسلمون! اعلموا أن هذا الوقت سريع الانقضاء، فهو يمر مرّ السحاب، ويجري كالريح، سواء كان زمن سعادة أم كان زمن تعاسة، ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا، فهو قصير ما دام الموت نهاية كل حي.

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء
وقال آخر:

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواء قصيره والطويل

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَنَرَبَّيْنَاهُ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهُ﴾ ﴿٦١﴾

[النازعات: ٤٦] ويقول: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّيْلَبِئُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ

بَيْنَهُمْ ﴿يُونُسَ: ٤٥﴾.

وعلى سرعة انقضائه، فما مضى منه لا يعود، ولا يعوض، فكل يوم يمضي، وكل ساعة تنقضي وكل لحظة تمر ليس في الإمكان استعادتها، وليس في الإمكان تعويضها، يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فأني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة.

ويقول الشاعر:

وما المرء إلا راكب ظهر عمره على سفر يغنيه باليوم والشهر
يبين ويضحى كل يوم وليلة بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر
أيها المسلمون! إن هذا الوقت أغلى ما يملك الإنسان، وأثمن ما يحصله؛ لأنه وعاء لكل عمل، ومحل كل إنتاج، وهو رأس المال الحقيقي، لأنه حياة الإنسان، يقول الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك. وانظروا إلى الإنسان عند الموت يتمنى وقتاً يرجع فيه إلى الدنيا ليعمل صالحاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ١٠﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الَمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١﴾ [المنافقون: ٩، ١٠].

فيكون الرد على هذه الأمنية: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) [المنافقون: ١١].

وكذا في الآخرة حيث توفي كل نفس ما عملت، وتجزى بما كسبت يتمنى أهل النار أن يعودوا ليعملوا صالحاً، ولكن هيهات: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٧) وَهُمْ يَصْطَرِغُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ (٣٧) [فاطر: ٣٦، ٣٧].

أيها المسلمون! إن هذا الوقت ذا الثمن الغالي، والقيمة النفيسة، حري بالمسلم أن يحرص عليه، وأن يحافظ على ساعاته ودقائقه، فهو لا شك سينقضي ويمضي.

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثوان ولذا قال الرسول ﷺ، فيما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (١). وروى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٢٦٥) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق.

وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٣٢٠٥) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما. والترمذي برقم (٢٣٠٤).

النبي ﷺ كان يأمر بالمبادرة إلى العمل واستغلال الوقت قبل حضور الأجل، فقال: "بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر".^(١)

أيها المسلمون: إن الغبن كل الغبن، والخسارة كل الخسارة أن يمضي هذا الوقت بدون فائدة، وينقضي بدون عمل صالح، وهذه للأسف حال كثير من المسلمين، حيث يهدرون الأوقات بالقليل والقال، بل يقضون الساعات الطوال والأيام الكثيرة، ولا يسجل في صحائفهم أعمال صالحة، بل بعضهم يقضيها بالمكروه والمحرم، ويسود صحيفته باكتساب المعاصي والذنوب، ومما يؤثر عن بعضهم جهلاً أو تجاهلاً ما يسمى بقتل الوقت، فاحرصوا على قضاء أوقاتكم بما يفيدكم ابتداء بالفرائض والحرص عليها، ثم بالأعمال الصالحة المتنوعة، والمسابقة فيها، وتحري الأوقات الفاضلة للتزود فيها، كآخر الليل ويوم الجمعة وشهر رمضان وعشر ذي الحجة وغيرها، وينبغي للمسلم أن ينظم يومه ليبارك الله في عمره، فيعطي لكل جانب حقه ديناً ودنياً، أولى وأخرى، والحرص على أن يسجل في يومه كل عمل صالح.

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل.

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً وأصبحت في يوم عليك شهيد
 فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فثنّ بإحسان وأنت حميد
 ولا تُرجِ فعل الخير يوماً إلى غدٍ لعل غداً يأتي وأنت فقيد
 فيومك إن أعتبته عاد نفعه عليك وماضي الأمس ليس يعود

اتقوا الله - عباد الله - واعملوا صالحاً قبل حلول الأجل، فما يدري
 الإنسان متى نهايته؟ وخذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن دنياكم
 لآخرتكم، ومن صحتكم قبل مرضكم، ومن شبابكم قبل هرمكم،
 فالموت آتٍ والأجل قريب، أسأل الله أن يجعل أوقاتنا شاهدة لنا،
 وليست شاهدة علينا، وأن نكون ممن يعمر أيامه وساعاته وأعوامه
 بالأعمال الصالحة، ويحفظ أوقاته عن إضاعتها بما لا فائدة منه، أو فيما
 يضر ولا ينفع.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا
 وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على
العالمين، وصلاة الله وسلامه على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً كثيراً.
أيها المسلمون!

بعد أيام قليلة يختم أبناؤنا وبناتنا عامهم الدراسي، الذين كانوا
مستغلين فيه أوقاتهم وقواهم العقلية والفكرية والجسمية، ويستقبلون
إجازة دراسية تكون راحة لهم بعد العناء والتعب والجهد والاجتهاد،
واستعداداً لما يأتي بعده من عام، وسيحصل لهم فراغ في أوقاتهم،
وهذا الفراغ لا بد وأن تنعكس آثاره على نفوسهم وتفكيرهم وسلوكهم،
وحينئذ إما أن يستغلوه في خير وصلاح، فيكون ربحاً وغنيمة لهم
ولأسرهم ولمجتمعهم، وإما أن يستغلوه في شر وفساد، فيكون خسارة
لهم ولأسرهم ولمجتمعهم، وإما أن يمضوا أوقاتهم ويضيعوها سدى لا
يعملون ولا يفيدون، يتجولون في الأسواق والمتزهات والطرق
بأذهان خاوية، وأفكار هزيلة ينتظرون طلوع الشمس وغروبها، وإدبار
الليل والنهار، وبالتالي تتجمد أفكارهم وتبلى أذهانهم، ويصيرون عالة
على والديهم ومجتمعهم وأمتهم.

أيها المسلمون!

نتحدث عن الوقت بمناسبة أن الطلاب والطالبات بعد هذا الجهد والعناء من العام الدراسي تدور في مخيلتهم أفكار كثيرة، وآمال طموحة، وبرامج متعددة، وأسئلة متوالية، فيم يقضون به هذا الوقت الطويل إذا ما قيس بغيره من الأوقات؟ هل يجعلونه للنوم والاسترخاء، أو للكسل والراحة، أو للسفر والسياحة؟ أو يستغل بعمل وكسب حرفة وصناعة، أو يتزودون فيه من علم نافع وقراءة مفيدة وتنمية موهبة واستغلال الملكة والقدرة؟

إن الله سبحانه وتعالى هياً لنا في هذه البلاد المباركة ما نوجه إليه فلذات أكبادنا في هذه الإجازة، فالمراكز المهنية مثلاً من أنفع ما يستفيد فيها الابن، يتعلم صنعة ويكتسب مهنة، وأنعم بها من مكسب، وهي متوفرة وموجودة.

وناهيك أيها الولي والأب باستغلال هذه الإجازة بتحفيظ أولادك كتاب الله عز وجل، وقراءته وتدبره، (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)^(١) وإنه والله من أعظم ما تكسبه ومن أعظم ما يحصله في الدنيا والآخرة، فبكل حرف عشر حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، فالحرص الحرص

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٥٠٢٧ عثمان رضي الله عنه، في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

على ذلك، فمدارس تحفيظ القرآن الكريم صباحاً ومساءً موجودة للطلاب والطالبات، وإنه والله ربح عظيم أن يحفظ الابن أو البنت جزءاً أو أكثر من القرآن في هذه الإجازة.

ومن أنفع ما يقضى به الوقت: المراكز والمؤسسات النافعة التي يقوم عليها نخبة من المربين والموجهين، يكسب فيها الابن جليساً صالحاً وتوجيهاً نافعاً، وقراءة مفيدة وسلوكاً طيباً، وعملاً صالحاً.

ومن خير ما يقضى به وقت الإجازة مشاركة الابن لأبيه في عمله وتجارته أو زراعته ليتعلم المسؤولية، ويتربى على العمل، ويكتسب الرجولة والجلد والقوة.

ومن المفيد للبنت مشاركتها لأُمها في أعمالها المنزلية المختلفة، وعدم الاتكال على الخادمة والمربية، فتخرج البنت من بيت أبيها إلى بيت زوجها وهي جاهلة بالأمور الأساسية التي كان عليها تعلمها اعتماداً على أمها وخادمتها، ومن الخير كل الخير أن تخرج وهي متعلمة أمراً مفيداً وصناعة مناسبة لها كالخياطة والحياكة ونحوها.

أيها المسلمون! أيها الآباء والأولياء! حافظوا على فلذات أكبادكم في هذه الإجازة وغيرها، حافظوا على جواهركم المصونة ولآئكم الطاهرة، ولا تنافسوا وراء الدعايات المضللة لأجل أن تنجسها الأيدي المتسخة أو تفسد أفكارها، ولا تخذش عفتها أظفار المفترسين والمفترسات، انتبهوا لتلك الأفكار الدخيلة، والدعاوى المنحرفة

والشعارات الزائفة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُتُولًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].
 وصلوا وسلموا على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، كما أمر الله في
 محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. والحمد لله رب العالمين.

حدث ووقفات

الخطبة الأولى

الحمد لله غافر الزلات مزيل العثرات، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، أحمده وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أولي النهي والعلم والعرفان، والتابعين لهم بإحسان. أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا أن أقدامكم على النار لا تقوى. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

أيها المسلمون!

إن بين يدي الساعة فتناً مخيفة، وأموراً مدلهمة، لا تختص بالظالمين، بل قد تنال الصالحين ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٢٥).

عباد الله !

ولقد وقعت في بلادنا خلال الأيام الماضية أحداث جسام، ومصائب عظام، وفتن تدع الحليم حيراناً، حيث تم الإعلام عن اكتشاف

أسلحة وذخائر معدة للتفجير، ثم تلاها ما وقّت من تلك التفجيرات التي هزت القلوب قبل الأجسام، فتسارعت الأحداث بشكل ينذر بخطر عظيم، وخطب جسيم.

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قومي يكون وراءها فتن عظام
أيها المسلمون!

ثم تنطلق الأصوات هنا وهناك لعلاج ما حدث، وتدارك الأمر، فقد اختلط الحق بالباطل، والصدق بالكذب، والتبس العالم بالجاهل، والسيد بالروبيضة، كل يدعي الإصلاح، ويبحث عن المخرج، لذا لزم على أهل العلم بيان الحقيقة، ورفع اللبس دون المجاملة، ولا نجاة إلا بالصدق.

عباد الله!

إن أي معالجة للحدث يجب أن تكون منطلقة من إدانة صريحة واضحة لا لبس فيها لهذا العمل الشائن المحرم، فإن باب الدماء - كما يقول شيخ الإسلام: من أجل الأبواب وأعظمها حرمة عند الله ورسوله، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب كثيرة معلومة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[المائدة : ٣٢] وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [١٣] ﴿[انساء: ٩٣] ويقول ﷺ: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا" ^(١) .

وجاءت الشريعة بحفظ الأمن، كما في دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (رب اجعل هذا البلد آمناً) (إبراهيم: ٣٥) وقوله تعالى: (وليبذلنهم من بعد خوفهم أمناً) (النور: ٥٥) وقد عدّ الله عز وجل الأمن من نعمه العظمى التي جعلها مهوى أفئدة المؤمنين: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٦٧).
أيها المسلمون:

إن الإدانة لهذا العمل المشين منطلق من النصوص الشرعية والمصالح المرعية، ولأننا جميعاً في خندق واحد وسفينة واحدة، والخربة منها يفضي إلى غرق الجميع، ويجرنا إلى دوامة من العنف لا يعلم نهايتها إلا الله ! وانقلات الأمن أسهل بكثير من إمكانية ضبطه وإعادته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٧) في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: ب مبلغ أوعى من سامع، عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه رضي الله عنه ومسلم في المقاسمة والمحاربين برقم (١٦٧٩).

عباد الله!

تأملوا ما يصنعه أعداء الإسلام في تحليلهم لهذا الحدث الجلل، الذين سارعوا إلى اتهام العلماء والدعاة الصالحين، وثنوا بمناهج التعليم التي خرجت رجالاً شهد لهم القاصي والداني، والعدو والصديق طوال عقود مضت، وثلثوا بمنهج أهل السنة والجماعة الذي سار عليه أئمة الدعوة، وقامت عليه هذه الدولة قبل أكثر من ثلاثمائة سنة، وطفقوا يرددون أقوال أسيادهم من أهل الكتاب، وساروا على نهج أسلافهم من منافقي الأمس (قاتلهم الله أنى يؤفكون) [التوبة: ٣٠] وإذا ترك الأمر لهؤلاء يقولون ما يشاؤون ويتهمون من يريدون، يزعمون الإصلاح وهم المفسدون، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ﴾ (البقرة: ١١-١٢) فإن استمر الأمر على ذلك فالأمر خطير، وستكون الفتن التي تأكل الأخضر واليابس، فإن الناس دون دينهم وعقيدتهم، وهناك يفلت الزمام، ويتسع الخرق على الراقع، فحري بأولي الأمر أن يوقفوا هؤلاء السفهاء عند حدهم، ويردعوهم عن غيهم، وإلا كان الهلاك.

عباد الله !

إن الأمن مطلب شرعي، ومنة إلهية، ونفحة ربانية، امتن الله به على عباده في مواضع كثيرة من كتابه، والمحافظة على الأمن مسؤولية

الجميع حكماً ومحكومين، رجالاً ونساء صغاراً وكباراً. والأمن ليس هو أمن الأجسام فحسب، بل هو أمن العقول والأفكار، وسد منافذ الشر، وأعظم سبب لحفظ الأمن هو الإيمان بالله وتطبيق شرعه، والاحتكام إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والبعد عن الظلم، وعمدة ذلك التوحيد، وتنقية المجتمع مما يضاده ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [٨٢: الأنعام].

والمحافظة على الأمن عبادة نتقرب بها إلى الله، كيف والضرورات الخمس كلها تدل عليه وتقتضيه، ففي ظل الأمن تعمّر المساجد، وتقام الصلوات، وتحفظ الأعراض والأموال، وتأمين السبل، وينشر الخير، ويعم الرخاء، وتقام الحدود، وتطبق شريعة الله، وإذا اختل الأمن، كانت الفوضى، وحكم اللصوص وقطاع الطريق، يقول سبحانه :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِيعُ بَعْضُهُمْ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاهِيَةِ وَأَلْفٌ ذُكُرٌ ظَالِمٌ آسِفٌ وَاللَّهُ كَثِيرٌ وَلَٰكِنْ نُّصِرْكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ﴾ [الحج: ٤٠] وها نحن نرى - والله الحمد - تصريحات المسؤولين أن كل ما يحدث في البلاد لن يؤثر على ديننا ومسلماتنا، ولن يزعجنا عن دين الله وشرعه وما قامت عليه البلاد، إذاً فلنكن كلنا جنوداً في حفظ الأمن، أمن العقول والقلوب والأفكار من الشبهات المضللة والأفكار المنحرفة، وأمن الأفراد، والمجتمعات، ولتحقيق ذلك لا بد أن نبدأ في تطبيق شرع الله في أنفسنا

وبيوتنا ومجتمعنا، وإلا فلنحذر من هذا المثل ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

عباد الله :

إن الدين حاجز عن العدوان، ولهذا قال ﷺ: "الإيمان قيدُ الفتك، لا يفتك مؤمن" رواه أبو داود وغيره ^(١)، ولولا الدين وعصمته لاضطرب أمر الناس وأمنهم، ولهذا فالذين يحاولون ربط هذا الحدث بالتدين أو بالمؤسسات القائمة في المجتمع إدارية كانت أو علمية أو تربوية، فهم يجادلون بغير حق، ويريدون توسيع دائرة الفتنة، والواجب عزلُ الحدث في إطاره الخاص، والتعامل مع الأزمة بمسؤولية وواقعية.

ولهذا عباد الله! فإننا نرى الحملات شديدة على الدين وأهله، ومحاولة إلصاق التهم المعلقة بهم، وأصبح الدين مادة دسمة في

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث الزبير بن العوام برقم (١٤٤٠). وأخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة برقم (٢٧٦٩) باب في العدو يؤتى على غرة من كتاب الجهاد. كما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (٩٦٧٧) عن معمر بن قتادة ولم يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، ٢٩٩/٥.

وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٨٠٣٧) مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يفتك المؤمن، الإيمان قيد الفتك". وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

المقالات الصحفية والرسوم الكاريكاتيرية، وإن وقعت هذه الأحداث ممن ظاهرهم الدين، فهل يعني ذلك اتهام الشريعة الإسلامية كلها؟ وهل تعمم الأحكام عليها كلها وأهلها؟ ! فهل سمعتم من اتهم الطب؛ لأن طبيباً أخطأ، أو اتهم الهندسة؛ لأن مهندساً لم يجد هندسة؟ ! أفلا نتقي الله في دين الله؟ وألا نتقي الله في سنة رسول الله ﷺ؟ وألا نتقي الله في الصالحين والعلماء؟!!

عباد الله!

إن هذه البلاد ما عزت وما تميزت، وما أصبحت علماً يشار إليه بالبنان، وتقصد من كل ناحية إلا بتميزها بدين الله وتمسكها بشريعة الله وتوحيده، وينشر العلم الشرعي، فيها قبلة المسلمين، وهي بلاد الحرمين الشريفين، يقصدها المسلمون من كل فج عميق، وما تميزت إلا بسبب مناهجها الصادقة، وعلمائها الناصحين، وإظهار شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وحكم حكامها بالشريعة، فهذا سرّ تميز هذه البلاد في جميع أنحاء الأرض.

أيها المسلمون!

فما بال أقوام زلت ألسنتهم في التعليق على ما حدث بالقدح في دين الله والاستهزاء بشعائر الدين؟ وما بال أقوام انحرفوا عن الجادة، وانطلقت أيديهم وألسنتهم بالغمز والهمز واللمز للدين وأهله ومؤسساته؟ فهلا سألوا

أنفسهم هل هذا هو النصح والصدق؟ فما لم يعالج الداء ممن هو مختص بهذه الأدوية، فلن يعالجه قلم طائش، ولسان منفلت يهرف بما لا يعرف.
أيها المسلمون!

لا شك أن مثل هذه الأحداث المؤلمة تحتاج إلى دراسات جادة متمثلة بالنصح والصدق والرجوع إلى الله تعالى، والنظر والتمحيص.
نسأل الله تعالى أن يقينا الفتن وشروورها، وأن يحفظنا من كل انحراف غلواً وتقصيراً، وأن يسدد الخطى ويوفق المسؤولين للقضاء على كل عابث وإيقافه عند حده، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون!

هذا الحدث مهما يكن مؤلماً يجب أن يكون منطلقاً لعزتنا بعقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا، وأن يشارك الجميع علماء ومفكرون ومربون ومسؤولون على ما فيه رفعتنا، وعلى أهل العلم أن يقوموا بمسؤوليتهم تجاه البيان والتوضيح، حتى يزول اللبس عن الأذهان، ويرتفع الحرج من النفوس، ويكون التقارب والقبول والاستيعاب من أجل تنقية العقول من اللوث، وغسل الأفكار من الدرن المنحرف، فلا بد من توسيع دائرة الاتصال، والثقة بين الناشئة والعلماء والمربين للحوار الهادئ، وقبول النقد الهادف، واستيعاب الآراء واحترامها.

عباد الله !

ويأتي النظر الجاد في وسائل الإعلام، عليها في ذلك كِفْلٌ عظيم، إن الإعلام وقد أصبح تأثيره عالمياً، فقد شاركت فيه السنة وأقلام، وأثارت مناقشات في أصول الدين وفروعه، وهم ليسوا بمتخصصين،

غير أن لأحدهم قلماً في صحافة، أو لساناً في إذاعة، أو صورة في شاشة!! حوارات ومناقشات فيها إفك وبهتان، تزعم أن الإسلام والتمسك به هو محضن لتيارات متطرفة، وإفراز لتوجهات عنيفة!! وطروحات تتميز بالسطحية، وغايتها التخويف من الدين، ودفعهم لمخاصمة المتدينين والتشكيك في ولائهم، بل هدفها نفي الإسلام عن مركز التوجيه، وإبعاده عن التأثير واستئصاله من مناهج التعليم ومؤسساته، فهذا هو إفكهم، بل هو إرهاب فكري.

عباد الله!

يجب التفريق بين القلة الشاذة، والسواد الأعظم المستقيم، وأن مواجهة الغلو لا تكون بالتنفير من الدين وأهله، وإخراج أهل الصلاح بصورة منفرة، فإن محاولة تهميش الدين وعزل أهله من أهم أسباب الغلو، فالغلو يعالج ويحارب بكلام الله، وكلام رسول الله ﷺ، وفهم السلف الصالح، وعلى هذا المسار يجب أن يكون توجه الكتاب، ووسائل الإعلام والمربين.

أيها المسلمون!

إن الإسلام عقيدة راسخة في القلب، وآداب في السلوك ظاهرة على الجوارح، فالأذان وصلاة الجماعة وارتداد المساجد، والتزام السنة في اللباس، وإكرام اللحى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك

وأمثاله أمور يجب حفظها ورعايتها وتقديرها وتقدير أهلها، والمسلم الحق عنده ثقة بدينه لا ترزعزعها طعنات الطاعنين، ولا أخطاء بعض المنتسبين. فليهنأ أهل الفضل والصلاح بدينهم في ديار الحرمين، ولتهنأ الدولة، حفظها الله، بعلمائها العاملين وبرجالها الفضلاء العقلاء، ولتطمئن الأمة بإذن الله إلى وعي ولاية الأمور ويقظتهم، سدد الله الخطى، وبارك في الجهود، وحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ووقانا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودياننا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، وجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

ثم صلوا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

بصائر لذوي الضمائر

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، لا إله إلا هو مالك الملك، عالم الغيب والشهادة، يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، أحمدته سبحانه وأشكره، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يكتب النصر والتأييد والعز والتمكين لعباده الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، قائد الغر المحجلين، وإمام المجاهدين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان. أما بعد:

عباد الله!

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله جل وعلا، فاتقوا الله وراقبوه وأطيعوه، ولا تعصوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩). (التوبة:

(١١٩)

أيها المسلمون !

إن المتأمل في حال هذه الأمة، وما وصلت إليه من الذل والقهر قد يتبادر إلى ذهنه هذا السؤال: هل يمكن أن تقوم للمسلمين قائمة،

ويرجع المسلمون لعزهم ومكانتهم، بل وإلى قيادة البشرية كما كان أسلافهم؟ هل يمكن أن ترجع إلى سالف عزها بعد أن تكالب أعداؤها من كل جانب، وقاموا بضربها بيد واحدة؟ هل ستفيق هذه الأمة من نومها خصوصاً بعد أن اشتد الكرب عليها، وبعد أن قام ناس من أبنائها بمحاربة دينها؟ فهل بعد هذا كله يمكن لأمة أن تقوم من سباتها؟ وهل سيأتي نصر الله لأوليائه المؤمنين؟ كيف لا؟ ونحن نقرأ في كتاب الله سبحانه: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧].

عباد الله!

إن أشد ساعات الليل سواداً هي الساعة التي يليها ضوء الفجر، وفجر الإسلام قادم لا محالة كقدوم الليل والنهار، وإن أمة الإسلام قد تمرض، وقد يعترها فترات من الركود الطويل، لكنها بفضل الله تعالى لا تموت.

عباد الله!

إن أمة الإسلام تمر في هذه الأيام بمرحلة من أصعب مراحلها، فقد تكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب، يحاربون دينها ويحتلون أراضيها، ويغتصبون خيراتها، وتحقق فيهم قول النبي ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء

السيل ، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكرهية الموت" ^(١) . ويقول ﷺ : " إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" ^(٢) .

أمة الإسلام! في صورة بربرية ومشاهد بشعة تنكرها العقول لولا ثبوتها، ولهولها وشدتها ظنت طوائف من المسلمين بالله الظنون، وربما خيل لبعضهم أن شجرة الإسلام قد اجتثت من أصولها، وأن بذرة المسلمين قد استؤصلت من جذورها، بل بالغ بعضهم، فظن في تلك الحوادث المؤلمة نهاية العالم، واعتبرها آخرون أشد من فتنة الدجال! أتدرون ما هذه الحادثة العظيمة؟

ومتى وقعت؟ وأين وقعت؟؟ نعم أمة الإسلام إنها حادثة دخول التتر بلاد المسلمين في حادثة أليمة وواقعة مفاجئة هزت وقائعها بلاد المسلمين، لقد وقعت هذه الحادثة في عالمنا الإسلامي في القرن السابع الهجري، يوم أن ضعف سلطان المسلمين، وتفرقت كلمتهم،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، عن ثوبان رضي الله عنه برقم (٤٢٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في البيوع، باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

وأثقلت خطاياهم، وتنازعوا أمرهم بينهم، حينها خرجت جحافل المغول المتوحشة تسفك الدماء، وتقتل الأبرياء، وتهتك أعراض النساء، وتستولي على الممتلكات والضياع دون رادع أو حياء! أجل أمة الإسلام! لقد بقي المؤرخون قائمين في كتاباتهم على حماية الإسلام، وكسر شوكة أعدائه، وقد نقلوا لنا فيما كتبوه عن السلف الصالح كثيراً من النصائح والأمثال، فمما قيل: الجزع لا يغني عن القدر، والصبر من أبواب الظفر، والمنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، وهالك معذور خير من ناج فرور، كان الصحابة يقدمون على الموت إقدام من ليست حياته بيده، فأخذوا بنواصي الأكاسرة وهامات القياصرة، وذروا التراب على وجوه الطغاة، الذين طالما جرعوا الإنسان جزع الذل والهوان، وأذاقوا غصص الخسف والاستبداد.

عباد الله !

لقد رأينا في زماننا هذا، ملء أعيننا مصداق قول المصطفى، ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت" (١).

(١) سبق تخريجه.

عباد الله!

لقد أصبح المسلمون في ميزانهم كَمًّا هائلاً من البشر غير متحضر، ولا يستحق الوجود، هكذا تختل موازينهم، وهكذا الحال حين تكون الموازين أرضية بشرية كفرية.

لقد بقي ابن الأثير رحمه الله - وهو شاهد عيان لبعض أحداثها - عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، وهو يقول: فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمِّي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا، وكنت نسياً منسياً، إلا أنني حدثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، وإلى الآن لم يتلوا بمثلها لكان صادقاً.

عباد الله!

هذا الوصف من ابن الأثير لهذه الحادثة الكائنة، وهو يكشف عن استمرار البلوى والامتحان لأهل الإيمان عبر الزمان والمكان، ويقول شيخ الإسلام عن هذه الحادثة: فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنن الله وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق ذكر الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه

وأضرأسه ﷻ وَلَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ [الأحزاب: ١٢]، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية، ما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وحدث بها من البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى.

أمة الإسلام!

إن هذه الفاجعة العظمى، والمصيبة الكبرى لأمة الإسلام في سقوط بغداد، ونهاية الخلافة الإسلامية الكبرى من قبل التتار، وتلك المآسي والآثام، تلك الأحداث خلفت جواً من الرعب والضعف والمسكنة، يصف لنا ابن الأثير بعض مظاهرها، ويقول: قال لي رجل: كنت أنا، ومعى سبعة عشر رجلاً في طريق، فجاءنا فارس من التتر، وأمرنا أن يكتف بعضنا بعضاً، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم، فقلت لهم: هذا واحد، فلم لا نقتله ونهرب؟ فقالوا نخاف: فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله، فلعل الله يخلصنا، فوالله ما جسر أحد أن يفعل، فأخذت سكيناً وقتلته وهربنا فنجونا.

عباد الله!

فإن قلت: وهل وقع في هذه المحنة ما يستوجب هذا الوحشة وذلك الفرق والذهول لأهل الإسلام؟ أجبت أن نعم، وإليك نماذج لما حصل، ففي بخارى المسلمة دخل التتر عنوة، وطلب أهلها الأمان، فأظهر لهم جنكيز خان العدل وحسن السيرة، وهو يروم غير ذلك، إذ

أمر بالتوجه إلى قلعتها الحصينة التي احتوى بها طائفة من العسكر لم يتمكنوا من الهرب مع أصحابهم، وطلب من أهل البلد الخروج معه لمحاصرتها، ومن تخلف عنه قتل، فكانت تلك بداية الاستخفاف والاستدلال، فخرجوا خوفاً من بطشه، وأمرهم بردم الخندق المحيط بالقلعة ففعلوا، وبلغ من سوء التتر واستهتارهم أن استخدموا كل شيء في ردم هذا الخندق حتى ألقيت المنابر وربعات القرآن في الخندق، وبعد قتال مرير دخلوا القلعة، وقتلوا جميع من احتوى بها من المسلمين، ولم تقف المأساة عند هذا الحد، بل عادوا مرة أخرى إلى البلد يقتلون ويأسرون ويفسدون.

وفي سمرقند نصب التتار كميناً لأهلها، فوقع في شراكتهم سبعون ألفاً من المسلمين قتلوا في غداة واحدة شهداء، ثم عادوا إلى البقية الباقية من أهلها يقتلون ويأسرون ويفسدون، فهدمت المساجد وفضت الأبكار، وغُذِبَ الناس بأنواع العذاب.

أما في مرو فأحصي ما قتلوه في يوم واحد، فبلغ سبعمائة ألف إنسان، كما نقل ابن كثير رحمه الله تعالى.

أيها المسلمون! هذا ما جرى في حقبة تاريخية سابقة، فلنا فيه العظة والعبرة فليتنق الله الخاصة والعامة، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

نفعني الله وإياكم بهدي كتاب، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن على منهاجهم ساروا قتفى.

أما بعد، أمة الإسلام!

إن الأمة الإسلامية في هذه المرحلة الحرجة - والتاريخ يعيد نفسه - أحوج ما تكون إلى الالتجاء إلى الله تعالى، والتوكل عليه، سبحانه، فهو - عز جاهه وتعالى سلطانه - المنجا والملتجأ لأوليائه المؤمنين، فهذا سيد المتوكلين ، ورسول رب العالمين محمد ﷺ لما قيل له: إن الناس قد جمعوا لحربك، ما زاد على قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:] ، فجازاهم الله على ذلك بأن كف شر عدوه وعدوهم ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ وَفَضَّلَ اللَّهُ لَئِمَّ يَمْسَسُهُمْ سُوًى وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤] ، والدعاء أيها الأحبة ملجأ المظلومين، ومفزع المستضعفين، اسمعوا إلى ما قال الله جل وعلا، عن طالوت وجنوده لما برزوا لجالوت وجنوده إلى أين ذهبوا وإلى من ركنوا؟ ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِئَرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٥٠﴾ فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَهَرَمُوهُمْ
يَا ذِي الْقُرْبَىٰ وَكَانَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا
يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

أمة الإسلام!

إن العرب حين ينسون مَعْقَدَ عَزْهِم وعروة مجدهم، ويظنون
أنهم يكونون شيئاً بغير الإسلام، لا نحسبهم إلا في ضيعة ونكسة،
فالعرب في بعدهم عن الإسلام لن يكونوا إلا صيداً سهلاً للحملة
أعدائهم، وأما في الآخرة فحطب جهنم، والذين يقولون بالقومية
وبالعلمانية وبالاشتراكية والبعثية ويقولون: ونؤمن بالإسلام، ونأخذ من
ذاك كذا، ومن الإسلام كذا، ومن العلمانية كذا، ونظل مسلمين يخطئون
في فهم الإسلام ويظلمون أنفسهم.

أمة الإسلام!

في هذه الظروف العصيبة والأجواء المتكدرة، فقد آن الأوان
وتأكد الوجوب على المسلمين أن يوحّدوا صفوفهم، وأن يتركوا خلافاتهم،
فليس هذا مجاله ووقته، فالأعداء الماكرون يعقدون مؤامراتهم وندواتهم،
وينشئون المراكز والمؤسسات للمؤامرة على الإسلام وإبادة أهله، ونحن لا
نزال نتنازع في أمور فرعية، ونتشاجر في مسائل اجتهادية!! ونتوجه بدعوة
شباب الأمة بالصدق في موطنه، والإعداد والاستعداد لمواجهة عدوان

الكافرين بتربية أنفسهم التربية الجادة والوعي الصادق والقيام بمسؤولياتهم
امثالاً وأن يفهموا واجبهم.
أمة الإسلام !

وعلى التجار وأصحاب الأموال ومن آتاهم الله تعالى بسطة في
المال والثروة أن يتقوا الله تعالى في الأمة ، فيدفعوا سهماً من أموالهم اتقاء
بأس الذين كفروا وأعداء المؤمنين.

فالله الله عباد الله! في تبصر أموركم، والوعي الوعي في ظروفكم
وأحوالكم ومدارسة سنن الله التي لا تتخلف، ثم اعملوا وأبشروا، فكلما
زادت الغيوم هطلت الأمطار، وأنبتت الأرض وازينت، عجل الله الفرج و
آذن مطبوع الفجر، وأذل أهل النفاق والكفر.

ثم سملوا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، حيث قال جل
وعلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
سَلِيمًا ﴾ . [الأحزاب: ٥٦].

الانتصار على النفس

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، وعد المؤمنين بالنصر المبين، وتوعد الكفار بالعذاب المهين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : عباد الله ! اتقوا الله حق تقواه ، وقوموا بحقه تكسبوا رضاه.

أيها المسلمون! يلاقي المسلمون في هذه الأعصار في عدد من الأمصار أعتى المآسي، وأدمى المجازر، فظائع دامية، وجرائم عاتية، ونوازل عائرة، وجراحاً غائرة. غصصاً تثير كوامن الأشجان، وتبعث على الأسى والأحزان وما فلسطين إلا شاهد واضح للعيان.

أيها المسلمون! حال الأمة اليوم لا تخفى على أحد؛ مآسي متنوعة، وآلام ومصائب متعددة، يعجز اللسان عن تصوير واقعها، ويخفق الجنان عند ذكرها، ويعي البيان عن الإحاطة بها، فعلى المسلمين - وهم تنزل بهم النوازل، وتقع بهم الوقائع - أن يعلموا أن من دروس

الابتلاءات الحاجة إلى المراجعة والمحاسبة، والضرورة إلى التمحيص والإصلاح وتقويم المسار.

إن الأمة يجب أن تعالج خللها من واقع دينها، وأن تصحح مسارها الخاطيء من منطلق أصول عقيدتها وتاريخها وحضارتها، وإن أولى الأولويات التي حان لكل الأمة أن لا تغفل عنها، هو أن المسلمين بحاجة ماسة للرجوع إلى الله جل وعلا، واللجوء إليه، فذلكم هو النور العام من التخطب، والدرع الواقى من الاضطراب.

إن على الأمة أن تستيقن أنه لا سند إلا سند الله، ولا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ منه إلا إليه، في محيط تثبيت لا يتزعزع لعقيدة التوكل على الله، وأن الأمة مكفية سوء البلاء ما استقامت على أمر الله، محفوظة من كيد الأعداء ما اعتصمت بحدود الله، أمة فقدت الثقة بربها، واضطربت أحوالها، وكثرت همومها، وضافت عليها المسالك، وعجزت عن تحمل الشدائد، فلا تنظر حيثئذ إلا إلى مستقبل غائم، ولا تترقب إلا الأمل المؤلم، اسمعوا إلى وصية النبي ﷺ: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(١).

لا عز لهذه الأمة، ولا منعة، ولا سلطان، ولا قوة إلا بدين الله، والالتزام بنهج كتاب الله، يقول عبدالله بن رواحة: وقد حانت غزوة مؤتة وعدد المسلمين ثلاثة آلاف، وجيش الروم مائتا ألف مقاتل، يقول عن الحقيقة الغائبة عن كثير من المسلمين اليوم: والله ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

أيها المسلمون!

فإذا أراد المسلمون العزة والتمكين في الأرض، فسيبل ذلك: أن ينصروا الله أولاً في أنفسهم، وأن ينصروا الله في أسرهم وبيوتهم، وأن ينصروا الله في مجتمعهم وفي معاملاتهم، فيحكموا شرعه، ويطبقوا شريعته ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] أربع عناصر واضحة للعز والتمكين: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة، باب منه، برقم (٢٥١٦) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فالصلاة: هي علاقة بين العبد وربّه عبادة جسدية، والزكاة: عبادة مالية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جعله للإصلاح والتقويم من الخلل، ويعبر تعالى عن هذه المقومات للتمكين في آية أخرى بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]

فالأساس للتمكين والعزة والأمن والاستخلاف، عبودية لله تعالى عبودية حقّة، ونفي الشرك، عبودية شاملة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وبدون هذه العبودية أو بالإخلال بها يهتز التمكين وتخدش العزة، وتحصل الذلة والهوان.

أيها المسلمون!

إن الأعداء في مختلف أنحاء الأرض لم ينتصروا بقواهم الخاصة بقدر ما انتصروا بضعف كثير من المسلمين في إيمانهم وإخلاصهم في عبوديه ربهم، وافتقار الصفوف إلى الوحدة والتراص.

فليست أثقال العسكرية، ولا القنابل الذرية، ولا الأسلحة الجرثومية، أخطر أسلحة عدونا، ولكن أخطرها وأمضاها زيوف الأفكار التي تسوق المسلمين إلى الدمار، وإطلاق الأهواء والغرائز والشهوات

والأنانيات، وفشو الظلم ، و اهتزاز ثوابت الإيمان، وضوابط الأخلاق، وبث روح اليأس والتيئيس في النفوس.

أيها المسلمون! إن المتأمل في هزائم الأمة، وصراعاها مع أعدائها يدرك أن الجهود الماكرة للأعداء في ميادين التربية والتعليم والأعداء، هي أشد من أسحلتها المدمرة.

ومنذ عشرات السنين وخطط الأعداء في صد الأجيال عن القرآن الكريم صداً، وتجهيلهم بدينهم تجهيلاً. قوى كافرة مأكرة، إذا احتاج الأمر إلى اللين لانت، وإذا احتاج إلى القسوة بطشت، في لينها تدس السموم، وفي شدتها تقتحم الهمجية والجبروت، يخفرون كل ذمة، ويخادعون في كل قضية، الغاية عندهم تبرر الوسيلة، يجيدون العبث والتحريف والتجسس والإفساد.

أيها المسلمون! مع كل هذا، فإن العدو الخطير أهون مما يتصور المتشائمون والمذعورون، واليائسون والانهزاميون، إن الانتصار على الأعداء، ولو طال الزمن لا يتطلب إلا سلاحاً واحداً، وهو سلاح الإيمان بالله، بصدق وإخلاص وجد في السلم وفي الحرب، وإخلاص التوحيد والعبادة، والعمل بالإسلام، فعلى المسلمين أن يعوا أن الإسلام وحده هو مصدر الطاقة بإذن الله، الذي تضيء به مصابيحهم، وتنير به مشاعلهم، وبدون الإسلام ليسوا إلا زجاجات فارغة لا يوقدها زيت، ولا يشعلها ثقاب.

ليس للمسلمين عز ولا شرف، ولا حق ولا كرامة إلا بالإسلام،
إنهم إن أنكروا ذلك، أو تنكروا له فلن يجدوا من دون الله ولياً ولا
نصيراً، إنهم بغير الإسلام أقوام متناحرة، وقطعان مشتتة، بل سقط متاع،
وأصفار من غير أرقام.

يجب أن تربي الأمة على الإقبال على الله لتسلم لها الحياة في
دعائم موطدة من الدين القويم، والخلق المستقيم، في دعاء صادق
تنطلق به الحناجر: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران : ١٤٧).

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، وأقول
قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب،
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أيها المسلمون! لقد مرت الأمة في تاريخها الطويل بأزمات كثيرة بل بنكبات عديدة، كان المسلمون يفقدون فيها تمكّنهم في الأرض أحياناً، وأحيان كثيرة كانوا يفقدون أمنهم وطمأنيتهم! وأحياناً كانوا يفقدون ديارهم وأموالهم!

وهكذا الفتن والمصائب والنكبات - عباد الله - إذا نزلت بالأمم، وحلّت بالشعوب، لكن الأمة الإسلامية - مع ما سبق ذكره - مرت بتجارب قاسية، ومحن عاتية، ولكنها تجاوزتها بإذن الله، بعد رجوعها إلى الله، وقد مرت بنا نماذج وأمثلة من نكبات وأزمات مرت بأمة الإسلام على مر تاريخها، ثم اجتازتها، وخرجت منها، لنصل إلى أزمنا الحالية.

ارتدت قبائل العرب بعد وفاة النبي ﷺ، عن الإسلام في زمن خلافة الصديق، فشكّلت أزمة حادة، ولا شك دولة الإسلام كانت دولة

ناشئة، دولة طرية، وكان أمامها عقبات كثيرة يطلب منها أن تجتازها! فتأتي قبائل بأكملها- كانت قد دخلت في الإسلام، وكان يؤمل عليها أشياء وأشياء- فإذا بالخبر أنها قد ارتدت عن الدين، ورجعت كافرة مشركة بعد أن كانوا مسلمين.

أزمة عظيمة، لكن منذ بدايتها، وفي أول لحظة منها لم يخالج الصحابة رضوان الله عليهم أدنى شك في أن النصر سيكون للدولة المسلمة، وليس للمرتدين هنا أو هناك! لماذا انتصر المسلمون؟

لا شك أن سبب هذا النصر كان صلتهم بربهم وإخلاصهم لدينه وصدقهم مع الله وإيمانهم الواثق به سبحانه .

وما كان من جزع الصحابة، رضي الله عنهم، ومشورتهم على أبي بكر رضي الله عنه بالتريث في قتالهم، لم يكن ذلك لشك في نفوسهم أن الله سينصر دينه، إنما كانت مشورتهم من أجل إتاحة الفرصة لتجميع الجيش الكافي للمعركة.

ولكن إيمان أبي بكر رضي الله عنه الراسخ، وحساسيته المرفهة أبي أن يترك الخارجين عن أمر الله دون أن يسارع في توقيع العقوبة التي أمر الله بإنزالها بهم، كل ذلك قد فعل فعله في نفوس الصحابة، رضي

الله عنهم، فوقفوا صفاً واحداً خلف أبي بكر، رضي الله عنه، ونصر الله دينه كما وعد، ومرت الأزمة بشكل طبيعي.

وما مر على أمة الإسلام: كأزمة الحروب الصليبية وحروب التتار التي عصفت بالأمة وقتاً من الزمن، كانت أزمات حادة في حياة المسلمين، وبدا أنها يمكن أن تطيح بالأمة المسلمة كلها، وأن تجتث المسلمين من الأرض. لكن ماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة الواقعية غير ذلك، وجاء النصر من عند الله في النهاية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). [المنافقون: ٨].

فإن للأمة أن تعي الدرس الحقيقي ليراجع كل فرد نفسه، ويتنصر على أهوائه وشهواته، هذه بداية التمكين والعزة. ومن ثم تراجع الأمة نفسها.

وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة عليه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الاستقامة بين الغلاة والجفاة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط مستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نرجو بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى الكريم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، عباد الله! اتقوا الله حق التقوى، فتقوى الله خير زاد ليوم المعاد، وهي خير ما ادخرتم ليوم التناد ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المسلمون!

يقول الله، جل وعلا، في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٣] أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٤].

وثبت في صحيح مسلم ^(١) عن سفيان بن عبد الله، رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنت بالله، ثم استقم".

عباد الله! الاستقامة هي سلوك الطريق المستقيم، وهي الدين القويم ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الخير كلها.

أيها المسلمون! إن الاستقامة ثبات وانتصار، ورجولة وفوز في معركة الطاعات، والأهواء والرغبات، إنها استقامة بحقها وحقيقتها، والاستقامة: شعور في الضمير، وسلوك في الحياة، ومن ثم يستحق عند الله هذا الإنعام الكبير، صحبة الملائكة وولاءهم، ومودتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَرْوُونَ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

عباد الله: إن مقتضى الاستقامة ولازمها أن تكون في منأى عن الغلو والجفاء، وعن الإفراط والتفريط، استقامة بعيدة عن المجاوزة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله الثقفي، رضي الله عنه، واللفظ عنده: (قل آمنت بالله فاستقم)، وأخرجه أحمد في المسند برقم (١٥١١٤) من حديث سفيان، ولفظه: (قل آمنت بالله ثم استقم).

والطغيان، أو التراخي للعصيان، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢] .

فالاستقامة: اعتدال ومضي على المنهج دون انحراف، استقامة تحتاج إلى اليقظة الدائمة، والتدبر الدائم، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تميل عن الاتجاه قليلاً أو كثيراً، ومن ثم فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة، وإنه لما يستحق الانتباه هنا أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهياً عن القصور والتقصير، إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة، وذلك أن الأمر بالاستقامة، وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة، التي تحوّل هذا الدين من يسر إلى عسر، والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط أو غلو.

فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير، وهي التفاتة ذات قيمة كبيرة لإمساك النفوس على الصراط بلا انحراف إلى الغلو، أو الإهمال على السواء.

عباد الله! يقول بعض السلف: " ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، ولا يبالي بأيهما ظفر زيادة أو نقصاً". فكل أمر اتصف بالتفريط أو بالجفاء، فإنه يخالف الاستقامة، وبمقدار اتصافه بأي من هذين الوصفين يكون بُعدُه عن الوسطية

والاستقامة، ولهذا فإن الشيطان يسعى جاهداً لإغواء بني آدم عن سلوك صراط الله المستقيم، قال تعالى عن إبليس: (قال فيما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم) [الأعراف: ١٦].

قال الطبري: "يقول: لأجلسن لبني آدم صراطك المستقيم، يعني طريقك القويم، وذلك دين الله، وهو الإسلام وشرائعه".

أيها المسلمون: إن الاستقامة كما فسرها السلف الصالح يتجلى في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "الاستقامة على الأوامر والنواهي"، وقال ابن القيم: "هي ألا يروغ الإنسان كروغان الثعلب"، وقال عثمان رضي الله عنه: "الاستقامة إخلاص العبادة لله عز وجل"، فهذه التفسيرات وغيرها كلها تُجمع على أن الاستقامة تعني: الاعتدال على أمر الله ورسوله من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير غلو ولا تقصير.

عباد الله ! إن الاستقامة ليست محصورة في جزئية من الجزئيات، بل ولا في ركن من الأركان، وإنما هي منهج متكامل شامل، لا ينفصل بعضه عن بعض، فالإسلام كله استقامة، والذين يغفلون عن هذه الحقيقة يغفلون عن جوهر الإسلام ومقاصده.

فالإسلام جاء مقررراً لمنهج الاستقامة والوسطية في جميع المجالات التي تتجه بالإنسان إلى الخير، وتقوده إلى الرحمة، وتجعل منه أداة يحق الله بها الحق، ويبطل الباطل.

أيها المسلمون! إن أعلى أنواع الاستقامة: هي استقامة العقيدة، وذلك أن العقيدة هي الأساس، وعليها البناء، فأى انحراف منها يسري إلى ما سواها، ويؤثر فيه، فعقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة وسط مستقيمة بين أهل الإفراط والتفريط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين، بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج".

أيها المسلمون! ومن أهم مجالات الاستقامة في العبادة المحافظة على الفرائض، والاجتهاد في الطاعات والتنافس في الخيرات، والتقرب إلى الله، منهج مستقيم واضح لا غلو فيه ولا شطط، بين من شق على نفسه بالعبادة في رهبانية مبتدعة محرّماً على نفسه الطيبات ومانعاً لها من الملاذ، وما فطرت عليه النفس من الزواج والمال، وهؤلاء يمثلهم

رُهبان النصارى، وغلالة الصوفية، فهؤلاء أفرطوا وغلوا، وخرجوا عن سواء السبيل.

والطرف المقابل لهؤلاء الذين انساقوا وراء الشهوات، واعتبروا الحياة هي الغاية والنهاية، فأغرقوا في الشهوات، وعبدوا الماديات، فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، وارتموا في أحضان النفعية المادية، فهؤلاء فرطوا وضيعوا وضلوا عن سواء السبيل.

فاتقوا الله عباد الله! واستقيموا على طاعته وطلب رضاه، نفني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد أيها المسلمون! ومن الاستقامة: الاستقامة في الأخلاق فلا إفراط فيها ولا تفريط.

لقد عني القرآن به بهذا الأمر عناية خاصة، وجاءت الآيات تترى توضح هذا المنهج، وتدعو إليه، وتربي الأمة عليه، وتحذر مما يضاده غلوّاً أو جفاء، إفراطاً أو تفريطاً.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله، ﷺ، فقالت: "كان خلقه القرآن" [رواه مسلم] ^(١)، فالإسلام وسط بين الكبر والطغيان، وبين الضعف والخور والخذلان، ووسط مستقيم بين الإنفاق والبذخ، وبين البخل والشح، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء: ٢٩].

(١) وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر يرويه، عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، ولفظه: "قالت، فإنَّ خلقَ نبي الله كان القرآن... الحديث". أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٥٤١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها،

وكذلك الإسلام - عباد الله - وسط مستقيم في باب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهو منهج يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، ويدور مع المصلحة وجوداً وعدماً، ينظر إلى مآلات الأمور دون الوقوف عند ظواهرها فقط (فذكر إن نفعت الذكرى) [الأعلى: ٩] فلا إفراط، ولا تفريط، ولا عنف، ولا غلظة منكرة، ولا خنوع، أو رضا بالمنكر، ومباركة له ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فاللين والإغلاظ أمران مشروعان، لا يجوز الاقتصار على أحدهما دون الآخر في كل الأحوال، وإنما الحق هو استخدام كل واحد منهما في موضعه، كما قال الشاعر:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى

عباد الله ! من الخير العظيم أن نتحرى الاستقامة على منهج القرآن والالتزام بها في جميع المجالات، حتى لا تزل العقول والأقدام، فنقع في الغلو والإفراط نتيجة الحماس غير المنضبط، أو الوقوع في التفريط والتهاون استجابة لرغبات النفس وشهواتها.

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميم

أيها الأكارم ! يجب أن تميز الأمة بين الاستقامة والتدين الذي يمثل وسطية الدين، وبين المناهج والأفكار التي سلكت غير سبيل المؤمنين، كما تميز بين الصورة والحقيقة، فهناك من يفهم الاستقامة على أنها مجرد مظاهر وشكليات وطقوس، ويقيسون تدينهم وتدين الآخرين بالحفاظ على هذه الشكليات، أما جوهر الدين وترجمته إلى سلوك في الحياة، فهذه أمور لا تشغل بال هؤلاء الذين جعلوا من الدين جسداً بلا روح، ولفظاً بلا مضمون.

إخوة الإسلام! يجب أن تكون الاستقامة مبنية على علم صحيح، وفهم سليم من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لنقضي على المفاهيم المغلوطة التي تسود حياة كثير من الناس فيقعون في الغلو أو التقصير مبتعدين عن منهج الاستفادة

عباد الله! إن الاستقامة والتدين هي العلاج الناجع لمشكلات الأمة بجميع ضروبها: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [الأنعام: ١٥٣] لقد دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً، وما دام هذا الصراط مستقيماً، فإنه لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه.

أيها المسلمون! إن أعظم مهمة في هذا العصر تغذية منابع الاستقامة وترسيخ العقيدة والمنهج الوسط، فالشباب بلا عقيدة لا تطيب

له حياة، ولا تستقيم أموره، بل يجرفه التيار أينما سار، فهو مرّة متشدد، وتارة متردد، وطوراً متبدد، قليل الخير لنفسه ولمجتمعه (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) [الأنعام: ١٢٢]. فالله الله بالتمسك بمنهج الله (فاستقم كما أمرت) ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

سنة التغيير

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي بيده مقاليد كل شيء، فجعل دوام الحال من المحال، أحمدته سبحانه وأشكره على نعمه وأفضاله في كل حين وحال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العليم بكل الأحوال، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الصالحين والآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل.. أما بعد:

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى فإن أجسامكم على النار لا تصبر ولا تقوى.

أيها المسلمون! إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون، وجعله قائماً على سنن لا تتخلف، بها عمارة الكون ودماره، وصلاحه وفساده، وقد بينها الله تعالى في كتابه، ورسوله ﷺ، في سنته. وإن من سنن الله جل وعلا، التي قضى بها في محكم التنزيل، وبلغها أمته رسوله الكريم ﷺ، وتمثلت وقائعها التي لا تحصى حية مشهودة للناظرين في قصص التاريخ: سنة التغيير.. قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١) [الرعد : ١١]، وقال

سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغِيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٢) كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٥٤) [الأنفال: ٥٣-٥٤].

عباد الله!

إنها سنة من سنن الله تعالى في خلقه، لا تتخلف ولا تتبدل، تصيب من حقت عليه من الأمم والأفراد، فلا فكاك لهم منها. سنة نرى آثارها رأي العين من حولنا في واقعنا، ويخبرنا الوحي المطهر بآثارها في الأمم السالفة، فالسعيد من وعظ بها واعتبر:

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ (١٣) [التوبة: ١٢٦] ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧) [ق: ٣٧].

إنها سنة تتابعت على الأمم، وتتابع عليها الأمم، فلم يسلم من وجوبها من وقع في ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبِثُّ مَعْظِلَةٌ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ﴾ (٤٥) [الحج: ٤٥].

وإنها لسنة يوعظ بها المؤمنون ويجدون أثرها ما استقاموا على شرع الله وطاعته، كما يعاقب بها الكافرون بأنواع العقوبات التي أعدها الله لمن كذب بوحيه وحارب رسله.. ﴿ فَلَنْ نَجْدِيَ لِسَنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجْدِيَ لِسَنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٤٣) [فاطر: ٤٣].

وبين أيدينا قصص القرآن تتلى آناء الليل وأطراف النهار لمن أراد أن يذكر.. ولمن أراد أن يعتبر، أمم كذبت، وتنكبت الصراط، وغتيرت منهج الله تعالى، فأبادهها الله وأزالها وأذلها وأذاقها الخزي في الدنيا، وتوعدهم بعذاب في الآخرة أشد وأبقى، هكذا هي السنة الكونية، قال الله جل وعلا:

﴿وَلَا يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُوحٌ ﴿١٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿١٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلَيْتَ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ٤٢-٤٨].

عباد الله ! وإن من أوضح الأمثلة وأبينها في حلول سنة التغيير: كفار قريش الذين تنكبوا الصراط السوي، وصدوا عن سبيل الحق والهدى، لما جاءهم رسول الله ﷺ، فلم يشفع لهم حسب ولا نسب ولا جاه ولا منصب، بل أبدل الله بهم قوماً يحبهم ويحبونه، ونقل العزة والشرف إلى الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان، ونصروا الرسول،

ﷺ، بأنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون؛ فذهب عن قريش ما كانت تستحوذ عليه من الجاه والشرف جراء استكبارهم عن تغيير ما بأنفسهم؛ فغير الله ما كانوا فيه من الشرف والمنزلة إلى الذل والهوان.

وحتى ولو كان التغيير قليلاً في نظر الناس، ولو كان من عباد الله الصالحين، فأفضل الناس بعد الرسل صحابة رسول الله، ﷺ، ومع ذلك لما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ، في غزوة أحد حقت عليهم سنة الله، وغير الله ما كانوا عليه من الغلبة والنصر، ثم نزل القرآن يربي الجماعة المؤمنة، ويرد على من استنكروا وقوع الهزيمة رغم إيمانهم، ويبين لهم أن الله سنناً لا تتخلف، فقال الله جل وعلا: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مَوْصِيئَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قَوْلُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [آل عمران: ١٦٥].

روي عن قتادة رحمه الله، أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي، ﷺ: "والذي نفسي بيده ما من خَدِشٍ عُودٍ وَلَا اخْتِلَاجٍ عِزْقٍ وَلَا عَثْرِ قَدَمٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، وما يعفو الله عنه أكثر." (١)

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره عند تفسيره لقوله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير).

نعم عباد الله.. إن سنن الله عز وجل لا تحابي أحداً، ولكل نصيب منها، فمقل ومستكثر، وغافل ومستبصر، والسعيد من وعظ بغيره.

عباد الله: ولما غفل كثير من المسلمين عن سنة التغيير، أو غاب عنهم فهمها، راحوا عند كل بلية وفتنة ومحنة يندبون حظهم، ويلقون بالتبعة والمسؤولية على كل شيء إلا أنفسهم وما كسبت أيديهم. لكن الوحي المطهر يبين الحق للناس، قال الله جل وعلا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [الروم: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٢٠) [الشورى: ٣٠].

ومن هنا يدرك المؤمن أن لكل عقيدة تأثيراً، ولكل عمل نتيجة، فيقف المؤمن خاشعاً أمام سلطان المولى جل وعلا وحكمته يأخذ العبرة، ولا يستولي عليه العجب مما يرى، إنه السنة الإلهية التي يكافئ الله بها الأفراد والجماعات، برحمة وبركة وعافية وكرامة لصالح الأعمال والأخلاق في الدنيا والآخرة، أو عقوبات مستحقة من هلاك وعذاب وإذلال على الأعمال والأخلاق الفاسدة.. وصدق المولى الجليل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٥) [يونس: ٤٤].

وكما قيل: " وبضدها تتميز الأشياء "؛ فإن التغيير والتحول إذا كان إلى الخير والصلاح كان معه الأمن والاستقرار والعز والتمكين ودوام النعمة وبركتها وزيادتها.

والعكس بالعكس؛ إذا ساد الفساد والترف والبغي، قال الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ ﴾ [الإسراء: ١٦]، فهؤلاء جاءتهم رسلهم ببطاعة الله تعالى ورسوله، وعمل الصالحات، وعدم الإفساد في الأرض، فأبوا وكفروا، وفسقوا، فاستحقوا عقاب الله تعالى بالخسف والدمار والهلاك، ولما سئل الخليفة الفاروق عمر رضي الله عنه: أتوشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها على أبرارها وساد القبيلة منافقوها.

فاتقوا الله عباد الله وغيروا من حالكم إلى الأحسن والأفضل يتم لكم ما تتمنون في الدنيا والآخرة.

نفعني الله وإياكم بهدي وسنة رسوله ﷺ.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وأصحابه الطيبين الحنفاء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
واقضى.

أما بعد، عباد الله!

في الحديث المتفق عليه عن زينب بنت جحش، رضي الله عنها،
قالت: قلت: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر
الخبث".^(١)

وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "أوحى الله،
عز وجل، إلى جبريل عليه السلام: أن اقلب مدينة كذا وكذا، فقال يا
رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، فقال اقلبها وعليه، فإن
وجهه لم يتمر في ساعة قط".^(٢)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "إذا ظهر الربا والزنا
في قرية أذن الله بهلاكها". وقال مجاهد رحمه الله: إن البهائم تلعن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم

(٣٣٤٦) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها. ومسلم في كتاب الفتن، برقم (٢٨٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٣٦/٧ برقم (٧٦٦١) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

عصاة ابن آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم. ^(١)

أيها المؤمنون! من هنا نعلم أن لكل منا دوره الإيجابي أو السلبي في حصول هذه السنة، سنة التغيير، فمن اتقى وأصلح كان لبنة في صلاح الأمة وأمنها واستقرارها، ومن أفسد وعصى كان جزءاً من أسباب حلول النقم والعقوبات.

فأنت أيها الأب.. وأنت أيتها الأم... بصلاحيهما يصلح صغاركما، ويحسن التربية والتعاهد تقدمان لبنة في صلاح المجتمع والأمة؛ بقيامكما بمسؤوليتكم التي كلفتما بها. وبتقصيركما يكون عليكما كفل من تأخر الأمة وضعفها.

والتاجر الصدوق: والموظف الأمين.. والطالب المجتهد.. وكل فرد في المجتمع، له دوره بالإيجاب أو السلب كذلك.

أيها المؤمنون: كما خص الله تعالى بعض المعاصي بأنواع العقوبات، فإن للطاعات آثارها وثمارها في الدنيا والآخرة، قال الله جل وعلا: ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۖ ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ ﴾

(١) ينظر تفسير الطبري ٥٥/٢ عند قوله تعالى: (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون).

[الأعراف: ٩٦]، وقال سبحانه : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣]

وقال النبي ﷺ، في بيان آثار الإيمان والطاعات في تغيير أحوال أصحابها: "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه" ^(١) وقال ﷺ: "وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً" ^(٢)،

وقال ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ؛ فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً" ^(٣) .. إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة التي صحت عنه ﷺ.

عباد الله !

في ضوء هذا الفهم الرباني القرآني لسنة التغيير نعلم أن ما حل بأمة الإسلام من ذل وهوان وتطاول من الأعداء هي نذر من الله تعالى وابتلاء للمسلمين، فتجد تساهلاً في الصلاة، ومنعاً أو تأخير الزكاة،

(١) أخرجه البخاري في الأدب باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥٩٨٦) و مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) و مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم (٢٥٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)، برقم (١٤٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

و مسلم في كتاب الزكاة، برقم (١٠١٠) عن أبي هريرة .

وعقوباً للوالدين وغيبة ونميمة، وتعاملاً في المحرمات وغيرها.

أيها المسلمون! وبهذا الفهم نفسه لسنة التغيير نوقن أن نجاة الأمة وسلامتها منوطة بأن نعود جميعاً - فرادى وجماعات، رعاة ورعية - إلى نفوسنا باللوم على ما فرطنا في جنب الله، وألا نعلق عجزنا وفشلنا على الأسباب الخارجية وحدها؛ لوماً إيجابياً يدفع إلى تدارك الخلل والقصور والتوبة من الذنوب، والقيام بما حملنا من أمانة ومسؤولية؛ حتى نكون أهلاً للنصر والتمكين والاستخلاف في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل.. اللهم اجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا في كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٥﴾.

وقفات مع اليهود وتاريخهم

الخطبة الأولى

الحمد لله ذي الجلال والكمال، أحمده سبحانه على نعمه في كل حين وحال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العليم بكل الأحوال، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى الصحب والآل، والتابعين ومن تبعهم إلى يوم المآل.

أما بعد: عباد الله ! اتقوا ربكم، وخذوا من يومكم لغدكم، ومن صحتكم لسقمكم، واجعلوا الدنيا مزرعة لآخرتكم.

أيها المسلمون! يستيقظ المسلمون في أماكن كثيرة من العالم هذه الأيام وينامون، ويصبحون ويمسون على آلام وجراح، واستغاثة وصياح.

ولله في ذلك - يا عباد الله - سر وحكمة، من الابتلاء والفتنة، وتمحيص المؤمنين، وامتحان اليقين في قلوب المسلمين بقدرة رب العالمين فوق كل باغ أثيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٢٥-٢٦].

عباد الله!

وامتحان هذه الأيام ليس أمراً طارئاً، أو حدثاً مفاجئاً، بل جولة

جديدة من جولات الصراع بين الحق والباطل، بل جولة جديدة في الصراع الأكبر والتحدي الأخطر، بين المسلمين الذين آمنوا برب العالمين، وصدقوا بكتابه المبين، واتبعوا رسوله الأمين، وبين اليهود الذين كفروا بالله على بصيرة، وجحدوا كتابه - وهم يعرفونه - ونبذوه وراء ظهورهم، وقتلوا أنبياءه ورسله.

أجل يا عباد الله.. إنهم من لعنهم الله وأنبياءه، فصار ذكرهم مخلداً باللعن في كتاب الله إلى قيام الساعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَوْلَسْتَينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٥٥].

واسمعوا- أيها المسلمون- إلى خبرهم ونعتهم، ووصفهم ولعنهم في القرآن العظيم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾ (٧٩) ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الذِّينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝﴾ (٨٠) ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ۝﴾ (٨١) ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۝﴾ [المائدة: ٧٨-٨٢].

أما التاريخ.. تاريخ هذه الشرذمة.. فدماء وأشلاء، وصدود وافتراء،

واجهوا الإسلام بالعداء والإباء، وحالفوا أهل الشرك والنفاق والأهواء. أما حالهم مع ربهم، فتناولت ألسنتهم على خالقهم، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] ، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وأما حالهم مع أنبياء الله ورسله، فتاريخ مملوء بالسفاهة والطيش والعناد، فقابلوا الأمر والنهي، بالسمع والعصيان، والبشارة والندارة بالجحود والنكران. وقابلوا نعم الله عليهم أقبح مقابلة، وتمادوا في العصيان. وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام، ورموا كلمة الله وروحه عيسى بن مريم وأمه الصديقة بالعظائم، وهكذا حالهم مع سائر الرسل الكرام عليهم السلام ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

ولما بعث خاتم الرسل نبينا محمد ﷺ، أكل قلوبهم الحقد، فحرضوا عليه وقتلوه، وآذوه عليه الصلاة والسلام، فسحروه، لكن الله تعالى كفاه شرهم، وخلصه من سحرهم، وتآمروا على قتله والغدر به - بأبي هو وأمي - مرة بإلقاء حجر كبير عليه في بني النضير، ومرة بشاة مسمومة، أكل منها عليه الصلاة والسلام شيئا، وظل متأثرا به حتى توفي، وغير ذلك من مكرهم وكيدهم.

أيها المسلمون! أما آثارهم على الأمم والشعوب، فتاريخ مليء بصفحات سوداء من الغدر والخيانة، والتآمر والكيد لهذا الدين الخاتم. ومن أجلى صور كيدهم في تاريخ الأمة الإسلامية: فتنة عبدالله ابن سبأ، الذي عرف بابن السوداء، وهو يهودي من صنعاء، أظهر الإسلام واستبطن الكفر، ثم بدأت مكائده الخبيثة بادعاء التشيع لعلي رضي الله عنه، وهو الذي تنسب إليه فرقة "السبئية" الذين تمادوا في الهوى والغى حتى قالوا بالوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فلما رأى البائس ابنُ سبأ أن أمر الإسلام بدأ ينتشر ويظهر، فكر وقدّر أن هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله، فبدأ بالمدينة، لكن الله تعالى دحر شبّهاته بالعلم وأهله، كلما رمى شبهة رُد عليها. فبدأ - عليه لعنة الله - يجمع له أتباعاً ويثير الفتن، حتى وقعت الفتنة في زمن الخليفة الراشد العظيم ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، التي انتهت بقتله رضي الله عنه وأرضاه، وما تلا ذلك من فتن بين المسلمين، وظهور فرق ضالة كالخوارج، إلى غير ذلك مما هو مسطر في ديوان التاريخ من صفحات مؤلمة للنفوس المؤمنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويعيد التاريخ نفسه في عالم اليوم، ويتواصل العداء، ويأتي أحد

معاصريهم - وهو مناحيم بيجين - ليلخص سياستهم بقوله: "أيها الإسرائيليون.. لا يجب أن تشعرُوا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم، ولا عطف ولا رثاء حتى تنتهوا من إبادة ما يسمى بالحضارة الإسلامية، التي سنبنى على أنقاضها حضارتنا".

وهكذا عاث اليهود في الأرض فساداً، فدمروا الشعوب والأفراد بنشر الربا، يستنزفون ثروات المسلمين بتدمير اقتصادهم، وإدخال المحرمات في تعاملهم، حتى يتسنى لهم الانقضاض عليهم عند ضعفهم وفقرهم.

وهم دعاة الإباحية، وحاملو ألوية الفساد تحت شعارات بَرَاقة كالحرية والمساواة، والإخاء والإنسانية؛ ليفتكوا بالشباب المسلم، ويغفونه بالرديلة، وليفتنوا المرأة، ويفسدونها بمكرهم وشعاراتهم. كل هذا لإخراج جيل من المسلمين لا عقيدة له، ولا أخلاق ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومع كل هذه الخسة البالغة نهاية القبح، يعتقد هؤلاء أنهم شعب الله المختار، وأن غيرهم من الملل خدم لهم.

لكن حقيقة أمرهم هي كما وصفهم الله جل وعلا: ﴿صُرِفَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا نُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَلَّ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَصْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِفَتْ عَلَيْهِمُ الثَّمَنُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

أيها المسلمون!

هؤلاء هم اليهود، ويهود اليوم هم يهود الأمس، الغدر نفسه، والكيد نفسه، حذو القذة بالقذة، وما هم يقصفون أراضي المسلمين في فلسطين، ويهدمون بيوت أهلها فوق رؤوسهم، ويعلنون عن استمرارهم في ذلك وقصدهم إليه، لا يبالون بطفل صغير أو شيخ كبير، أو امرأة ضعيفة أو جنين أو رضيع ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

عباد الله!

وبالرغم من هذا التجبر والبطش.. يجب على كل مسلم أن يوقن بنصر المسلمين وغلبتهم على هؤلاء المعتدين، تصديقاً لموعود الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، كما في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله".^(١)

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٩٣) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، برقم (٢٩٢١) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٥٩١٠) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

فلا يأس ولا قنوط، بل ثقة ويقين في موعود رب العالمين، وصبر ومؤازرة لإخواننا المسلمين، بدعائنا وأموالنا، ومن وراء ذلك اليقين بقوة رب العالمين ودفاعه عن المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتْلُونَ بِإِنْفِهِمْ أَنْ يُدْفَعُوا عَنْهُمُ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) [الحج : ٣٨-٣٩].

وإن المتأمل في واقعهم الآن ليرى تصديق ما جاء في القرآن، ففي بطشهم نرى ضعفهم، وفي عدوانهم نرى جبنهم، فقصفهم بالطائرات، وعلى الأرض بالدبابات والمدرعات، لأنهم لا يقوون على المواجهات ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]. وإن أمة موصوفة بهذه الأوصاف من الجبن والخور لحقيقة بنصر المؤمنين عليهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِغُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤) ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) [الروم : ٤].

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٦) [المجادلة : ٢١].
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين وخاتم المرسلين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون!

ومع التحلي باليقين في وعد رب العالمين وعلمه وإحاطته وحكمته جل وعلا، لا بد من وقفات مع الواقع المرير، وقفات صدق ومحاسبة مع النفس والمجتمع، على كل المستويات، فما أصاب المسلمين من الوهن والضعف، والعجز عن التصدي لهذا العدوان إنما هو أحد آثار الذنوب، والمعاصي في الأمة.

وما أثر في المسلمين ليس قوة العدو، بل ضعف المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وفي حديث ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ويجعل الوهن في قلوبكم وينزع المهابة من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت".^(١)

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٨٩١) من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، كما أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، برقم (٤٢٩٧) عن ثوبان رضي الله عنه.

وإن واجبنا فرادى وجماعات لا يقف عند حد النصرة لإخواننا المستضعفين بالدعاء والمال، وسائر صور النصرة، بل إن الواجب الأكبر أن نراجع حساباتنا، وأن يستشعر كل مسلم ومسلمة أنه جزء من أمة تؤتى من قبله بقدر ذنوبه ، والعياذ بالله.

عباد الله!

ذلك الداء: ليس له إلا هذا الدواء.. فلا بد من العودة- فرادى وجماعات- إلى الله عز وجل حتى يتنزل النصر ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ، ﴿إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّكَ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

كما أنه لا بد من توحيد الصف ونبذ النزاع والشقاق بين المسلمين، والإلحاح في الدعاء لإخواننا المستضعفين وعدم الاستهانة به، فهو سلاح عظيم دائم نؤازرهم به.

فعلى الجميع رعاة ورعية الحفاظ على الشباب من المغريات والمحرمات، وحماية النساء من الفتن والتبرج والسفور والاختلاط، وشغلهن بما ينفعهن في دينهن، والسعي إلى إصلاح الأسرة المسلمة

بعمامة وفق شرع الله تعالى.

فاتقوا الله، عباد الله، وخذوا بأسباب النصر وأصلحوا بيوتكم، واعتزوا بدينكم ، وثقوا بموعود ربكم.. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

اللهم كن لنا، ولا تكن علينا، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وصلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله في محكم كتابه العزيز حيث قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الإرهاب والضرورات الخمس

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: عباد الله ! اتقوا الله في سركم وعلايتكم، واتقوا الله في أنفسكم وأهلكم، اتقوا الله في أقوالكم وأعمالكم، اتقوه حيثما كنتم.

أيها المسلمون!

يكثر الحديث هذه الأيام عن (الإرهاب) في كثير من دول العالم ومجتمعاته، وقلَّ أن تنظر أو تسمع أو تقرأ في أي وسيلة إعلامية إلا ويأخذ الإرهاب النصيب الأكبر والحظ الأوفر منها.

وفي هذا الأسبوع ينطلق في بلادنا حدثان كبيران: المؤتمر الدولي للإرهاب، والحملة الوطنية ضد الإرهاب.

ولا شك أنهما لم يأتيا من فراغ أو مجاراة، فواقع الحال الذي تعيشه هذه البلاد منذ أكثر من سنوات يؤكد الحديث عن هذا الموضوع الخطر واقعاً وأسباباً وآثاراً وعلاجاً ومقدمات ونتائج.

أيها المسلمون !

لقد خلق الله تعالى الخلق لحكمة عظيمة، وغاية جليلة وهي عبادة الله تعالى في الأرض يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦]، وهذه العبودية سماها الله تعالى: الإسلام قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقام هذا الدين على حفظ كليات، لا يجوز خدشها، والعبث بها، وهذه الكليات هي: الدين والنفس والمال والعقل والعرض. وقد كفل الإسلام ما يحفظها، وشدد العقوبات فيها، وشرع الزواجر والحدود لمن خالفها أو تعرض لها، فمن خالف الدين وأركانها وتشريعاته، ومن اعتدى على الأنفس المعصومة بقتل أو جرح، أو غيبة، أو نميمة، أو ظلم ونحو ذلك، ومن اعتدى على المال بسرقة، أو غصب، أو بخس مكيال أو ميزان، أو نهب وغير ذلك، ومن تعرض للعقل بإذهاب، أو تغييب، أو تخدير، ومن اعتدى على الأعراض زناً أو لواطاً أو تخليطاً في الأنساب. كل هذه الجرائم والاعتداءات ونحوها رتب عليها الإسلام العقوبات الشديدة، والحدود القطعية في الدنيا والآخرة، وكل هذه الاعتداءات من الإرهاب الذي حاربه هذا الدين لما يترتب عليه من المفاسد الكثيرة، على الدين والأفراد والمجتمعات،

والعرض والأمن وغيرها مما لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى.
وما يجري في بلادنا وفي بعض بلاد المسلمين هو من هذا
النوع الذي ترتبت عليه مفسد خطيرة، وآثار سيئة من القتل للمسلمين
والمستأمنين، وإهدار للأموال، وإخلال بالأمن، وترويع الآمنين، وتدمير
للممتلكات، وعبث بالمقدرات، وفتح ثغرات للأعداء، وتشويه لهذا
الدين، وما نتج عنه من تكفير للمسلمين وخذش لأعراض العلماء
وإسقاط لهيئتهم، وخروج عن ولاة أمرهم، وقلب للمصطلحات
والمفاهيم، وتشويه لها كالجهاد، والدعوة والإصلاح، والتغيير، وقول
على الله بغير علم، واتباع لكل ناعق ومجهول.

أيها المسلمون!

استمعوا لهذه النصوص العظيمة التي تقرر تلك الأصول
العظمى، والكليات الكبرى، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْمَلُونَ ۝٣٣﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ ۝ [الإسراء ٣٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝١٧﴾ [النساء ٩٢] ، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ

يُنْفُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
 [المائدة ٣٣] ، ويقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
 وَهُلِكَ الْحَرْتُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ
 فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٥١﴾ [البقرة ٢٠٥] ، ويقول عليه الصلاة
 والسلام: (ومن يقتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة).^(١)
 أيها المسلمون!

لا شك أن تلك الجرائم إرهاب وتخويف واعتداء وإجرام
 وجنایات، وآثارها خطيرة رأينا شيئاً منها، وما خفي كان أعظم، وإذا كان
 الأمر كذلك فلم تأت هذه الجرائم، ولم يتنفس ذلك الإرهاب إلا
 بتنفس الجهل، والجهل أساس الداء، الجهل بدين الله تعالى والجهل
 بحقيقة العبودية، والجهل بواجب الإنسان، والجهل بالطريق السليم،
 والجهل بالمصالح والمفاسد، والجهل بمفاهيم الدعوة والجهاد
 والإصلاح، ومما يترتب على هذا الجهل صدور تلك الفئة عن مصادر
 مجهولة أو عن صغار في السن، فلم يصدرُوا عن علماء الأمة وربانها
 وقادتها، فصاروا يتلقون من هنا وهناك حتى ضلوا الطريق وحادوا عن
 الصراط المستقيم. إن داء الجهل خطير، وآثاره أخطر؛ لذا حاربه

(١) رواه البخاري برقم (٣١٦٦) ورقم (٦٩١٤) وأحمد برقم (٦٧٢٦) عن عبدالله بن عمرو

الإسلام وشدد على محاربته وأمر بالتعلم والتعليم، فإن لم يستطع فلا أقل من السؤال، والله جل وعلا ندب إلى ذلك بقوله: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [الأنبياء ٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: (إنما شفاء العي السؤال) ^(١) فاتقوا الله عباد الله واحذروا الفتن والجهل.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٣٠٤٨) وأبو داود في سننه برقم (٣٣٦) وابن ماجه في سننه برقم (٥٧٢) كلهم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون!

إن الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأنعم علينا، وتركنا رسول الله ﷺ على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فالدين واضح المعالم، منهج متكامل في كل الأحوال والظروف، وفي جميع شؤون الحياة وقد أرانا الطريق، وبين لنا المخرج من الفتن، والعواصم من القواصم، وعلى رأسها الاجتماع، وعدم الفرقة والاختلاف، ولزوم جماعة المسلمين، والحذر من الشذوذ، جاء في الصحيح: (يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم، ومن شذ شذ في النار)^(١). والجماعة هم عامة المسلمين، والسواد الأعظم الذين يسرون وراء إمامهم، ومن ولاه الله عليهم، ومن نافلة القول اتباع العلماء

(١) أخرجه الترمذي بالفاظ مقاربة برقم (٢١٦٧) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ولفظه: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار" قال أبو عيسى: حديث غريب.

العاملين الذين أخبر عنهم النبي ﷺ أنهم ورثته فقال : (العلماء ورثة الأنبياء).^(١)

فما بال تلك الفئة من الشباب زهدوا في علمائهم، وخرجوا على ولاية أمرهم واتبعوا أقاويل من هنا وهناك لا يعرف مصدرها ومنبعها. ومن العواصم أيضاً عدم التفريط بمكتسبات الدولة وثوابتها من أهل الحرص على الأمن واستتبابه والمحافظة عليه والتعاون ضد من يحاول العبث فيه والإخلال به.

فالمحافظة على الدين والأعراض والأنفس والأموال والعقول لا تتم إلا بمجتمع آمن مستقر، وخليل الله إبراهيم عليه السلام جعله أول دعائه، فقال الله عنه: (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم: ٣٥] فرتب التوحيد على الأمن، وهذا عباد الله- يقتضي من الجميع التعاون والتآزر لئلا يستغل الفرصة عدو حاقد، أو منافق مدنس، أو جاهل مسكين.

إن الإرهاب المتفشي والأحداث المتلاحقة تذكر الجميع بأن عليهم واجباً عظيماً، ومسؤولية كبيرة تجاه دينهم ومجتمعهم وبلدهم، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة ٢].

ومن أهم مفردات هذا التعاون، أداء كل منا مهمته ومسؤوليته،

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

فكما أن أجهزة الأمن الرسمية عليها مسؤولية المحافظة على الأمن،
 أيضاً فغيرهم مسؤول، فالعاملون في المؤسسات الحكومية مسؤولون،
 والموظف مسؤول، والعالم مسؤول، والمتعلم مسؤول، والإعلامي
 مسؤول، والأب مسؤول، والمدرس مسؤول، والأم مسؤولة، فكل
 مسؤول من خلال موقعه وحسب جهده واستطاعته، وصلوا وسلموا
 على البشير النذير، والسراج المنير، من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين،
 كما أمركم الله تعالى في كتابه العزيز فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

القلق والاكتئاب .. مرض العصر

الخطبة الأولى

الحمد لله قابل التوب، وغافر الذنب، يقيل العثرات ويستر العيوب، وبذكره تطمئن القلوب. أحمدده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك المهيمن علام الغيوب. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وبارك وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم فكفر السيئات وأزال الخطوب، أما بعد:

عباد الله!

اتقوا الله حق التقوى، فمن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويجعل له من أمره يسراً.

أيها المسلمون!

لقد تفشت في مجتمعات المسلمين ظاهرة ما كان لها أن تنفشي لولا ما عمت به البلوى من التفريط والغفلة، وكثرة المعاصي والذنوب.

إنها ظاهرة "القلق والهم والحزن" مرض العصر الذي أصبح انتشاره لا يفرق بين كبير وصغير، أو غني وفقير، أو ذكر أو أنثى. بل تنفشي بين فئات كثيرة بما يوجب وقفة للتأمل في أسباب هذا الداء؛

حتى يوصف لها الدواء الناجع بإذن الله تعالى.
عباد الله!

إن القلق هو داء نفسي يغشى النفوس، فيورثها حيرة واضطراباً في شؤونها، وميلاً إلى العزلة، واسترسالاً مع الشكوك والظنون والأوهام. فإذا تمادى بالمرء دون وقفة علاج ربما أفضى به إلى أبعد من ذلك من آثار وخيمة عليه في شؤونه كافة، في أداء عمله، وحقوق أهله وبيته، وعلاقته بإخوانه وصحبه، فتتعطل طاقاته ومواهبه عن أداء دورها.

والأسوأ والأشد أن يفضي الاسترسال معه إلى التفريط في العبادات الواجبة، والوقوع في المحرمات المنهي عنها. واستيلاء الخوف على صاحبه

أيها المسلمون! إن هذا الداء بهذه الأوصاف داء غريب على مجتمعات المسلمين الذين حباهم الله بالنور المبين، نور الوحي المطهر، فلا يستحكم القلق في حياة امرئ مسلم إلا لغفلة شديدة عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

نعم، قد يمر بالإنسان من الأوقات ما يعتريه في بعض الأحيان والهموم إذا وجدت أسبابها؛ لأن الحياة الدنيا لا تخلو من الأكدار: جُبلت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقداء والأكـدـار

وأوضح من هذا وأبين قوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبد).
(البلد: ٤).

لكن شعار المسلم مع تقلبات الأمور وتغيرات الأحوال هو أن أمره كله خير، وعاقبته إلى خير، تصديقاً لقول النبي ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له" (رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه).^(١)

كما أن المسلم يعلم أنه في هذه الحياة الدنيا كالغريب، أو عابر السبيل، فلا يشتد حزنه لشيء فاته منها، كما لا يشتد فرحه لخير حصل له فيها، بل منهاجه التوازن في كل ذلك، عملاً بما جاء في القرآن والسنة من الإرشاد إلى هذه الحقائق.

ومن ذلك قوله تعالى في قصة قارون: ﴿وَأَبْتِغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. [القصص: ٧٧].

وقول رسول الله ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" (رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما).^(٢)

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩) في الزهد والرفائق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرفاق، باب قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، برقم (٦٤١٦).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أمسيت فلا تنتظر المساء، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لمرضك"^(١)

إن هذا الفهم الإيماني لحقيقة الحياة الدنيا يربأ بأهل الإيمان عن هذه الظاهرة، ففيم الجزع والقلق وهذه حقيقة الدنيا؟! لكن الغفلة عن ذلك هي التي توقع في القلق النفسي، والناس يتفاوتون في ذلك، فمقل ومستكثر. أيها المسلمون!

وغالباً ما يكون القلق لأحد أمرين: تحسر على ماض، أو قلق على مستقبل. فأما التحسر على الماضي لخطأ حصل، أو فوات مصلحة، أو غفلة عن فرصة، ونحو ذلك؛ فسببه ضعف الإيمان والتسليم بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والمسلم القوي الذي يستعين بالله ولا يعجز؛ أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ولو استحضر الباكي على فوات أمر مضى أن تباكيه لن يرجع ذلك الأمر لهدأت نفسه، فما البال وهو مع ذلك يخسر ثواب الصبر على ما أصابه، ما لم يقع فيما هو أشد من ذلك، وهو التسخط، عياداً

(١) كلام ابن عمر رضي الله عنهما ساقه البخاري ضمن الحديث السابق (٦٤١٦).

بالله من سخطه وغضبه ؟ فمن رضي بالمقدور، فله الرضا من ربه، ومن سخط فله السخط.

وأما الخوف من المستقبل والقلق بشأنه، فأفة تؤرق خاطر، وتجلب الغم في الحاضر، على شيء في علم الغيب، لن تؤثر فيه هذه المشاعر! وقد يكون من أجل رزق، أو وظيفة، أو منصب، أو جاه، أو قبول جامعة، وغيرها مما يشغل بال الكثيرين، ثم لا يكون في الواقع إلا ما يريده الله تعالى ويقضيه.

ولو أن المرء توكل على الله حق توكله، وجعل همه الآخرة؛ لأتته الدنيا وهي راغمة، كما روى الترمذي، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله، ﷺ، قال: " من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له" (١).

فاتقوا الله، عباد الله، وتوكلوا على ربكم ومولاكم، فإن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم.

وليستفد المرء من ماضيه، ويعمل لحاضره، ويخطط لمستقبله، دون أسف على ماض فائت، ودون حرقة على مستقبل لا يدري ما الله

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٤٦٥) في صفة القيامة والرفائق والورع، عن أنس رضي الله عنه.

صانع فيه، وليعلم أنه مهما عمل، فلن يرجع أمراً ماضياً، ولن يعلم عن المستقبل. ولكن عليه العمل في حاضره وما أعطاه الله، ويتفائل بما سيجري عليه، ويحسن الظن بالله تعالى، ومن أحسن الظن بالله كان الله معه.

أيها المسلمون!

وقد يكون من أسباب حدوث القلق وجود بعض المشكلات الاجتماعية في البيت أو العائلة أو في العمل والوظيفة، وهذه بلا شك تجعل الإنسان غير مستقر، لكن إذا أخذت بمنظار هادئ غير مستعجل، ودرست تلك المشكلات ووضعت في مقامها الصحيح، فإنه لا مشكلة إلا ولها حل وبهذا لن توصله للقلق والمرض، بإذن الله.

أسأل الله تعالى أن يمن علينا بالطمأنينة والسكينة. وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلا يوم الدين أيها المسلمون! هذا هو الداء المَرَضِي.. قلق يغشى النفس ويكدر صفوها، مظاهره حزن على فائت فات ومضى، أو خوف على مستقبل في علم الغيب لا يعلمه إلا الله.

لكنَّ هناك بوناً شاسعاً بين الهم الجالب للاغتمام، وبين الهمة العالية التي تدفع المرء للتفكير في الاستفادة من ماضيه، والتخطيط لمستقبله، أو حزن لارتكاب منكر، أو مشكلة وضائقة حلَّت به. فإذا كان هذا هو ما يحس به المرء، فهو على خير بإذن الله.

وكذلك ما هو عرضي يمر على سائر البشر، ومنهم الأنبياء والمرسلون، كالحزن على مصيبة دون استمرار هذا الحزن وملازمته للإنسان، حتى يصير ظاهراً عليه.

أما القلق المؤذي للنفس، والمسبب للاضطراب وعدم الاستقرار والطمأنينة، والمقعد عن العمل والعبادة والقيام بالحقوق والواجبات؛ فهو الداء العضال الذي يجب أن يبادر بالعلاج قبل أن يستحكم ويفضي

إلى ما لا تحمد عقباه.

وهو ما يعيشه كثير من الناس اليوم، حتى استولى على حياتهم، وأقعدهم عن كثير من مناشطهم، وأصبح وسيلة لأمراض أخرى كالإكتئاب والشك والوسواس وانفصام الشخصية، والحقن على النفس والمجتمع، واستيلاء الغيرة والغضب على نفسه وأسرته والناس، فصار همّه التردد على المستشفيات النفسية والرّقاة، وأخطر من ذلك التردد على الكهّان والمشعوذين.

أيها المسلمون! إن هذا القلق هو الذي يجب المبادرة إلى الوقاية منه، وإلى علاجه عند وقوعه.

ومن أهم وسائل الوقاية والعلاج: تنمية شعيرة التوكل على الله والثقة به، والرضا بقضائه فيما قدر وقضى، والمؤمن مع ذلك يدافع البلاء بالدعاء، فلا يرد القضاء إلا الدعاء، كما في الحديث عن النبي ﷺ (١).

ومن أسباب العلاج العظيمة كذلك: اللجوء إلى الله بالعبادة في أوقات القلق والكرب، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ، أنه كان إذا

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢١٣٩) في كتاب القدر، عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، عن سلمان رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب.

حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(١). فليلجأ المسلم إلى ربه معتصماً به، عابداً وداعياً؛ فيطمئن قلبه ويهدأ روعه (ألا بذكر الله تطمئن القلوب). [الرعد: ٢٨].

ومن أهم الوسائل: كثرة الاستغفار والتوبة، فكثير من أسباب البلاء ما جاءت إلا بذنب، ولا ترفع إلا بالتوبة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَّعَذِبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة ". ومن الوسائل المهمة يا عباد الله: نبذ العداوة والشحناء، وتنظيف القلب من الحسد والبغضاء، وعدم التطلع ومد العين لما لدى الآخرين، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣). [طه: ١٣١].

وقال النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم" (رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه)^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٢١٠) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه أحمد في المسند برقم (٧١٣٧ و ٩٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذه النصوص الكريمة تشير على أن القناعة وسلامة الصدر من أعظم ما يسعد به الإنسان ويطيب نفساً، وينشرح صدرأ في هذه الحياة الدنيا، فكل متاعها إلى زوال ﴿وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي الحياة الكاملة الحقيقية. فعلام يجزع الإنسان لما لم يُقسم له من متاع فان؟! ولماذا يحسد غيره حتى يأكله الحسد والحقد، ولا يعلم أن هذا الحسد اعتراض على الله تعالى في قدره وقضائه؟!

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب فعلى المسلم أن ينظف قلبه من هذه الأمراض القلبية التي تورثه أمراضاً أخرى.

ومن العلاج أيضاً : كثرة ذكر الله تعالى؛ فبالذكر تطمئن القلوب وتنشرح الصدور ﴿أَلَا يَنْصُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] سواء كان هذا الذكر قرآناً يتلى، أو ثناء على الله، أو دعاء وتوسلاً به جل وعلا. أيها المسلمون!

الوسائل لعلاج القلق كثيرة، بل إنها أسباب الوقاية منه في الأساس لمن هداه الله وشرح صدره، يجمعها قوة الإيمان واليقين بالله جل وعلا ومعرفة حقيقة هذه الحياة الدنيا، وأنها مزرعة للآخرة. ثم يُقال لمن أصيب بشيء من ذلك واستمر معه مع عمله بما

ذكر من العلاج: لا مانع من التطيب بالرقية الشرعية عند الموثوق بعلمهم وديانتهم، أو عند الأطباء الموثوقين بعلمهم الطبي وديانتهم. والحدّر الحدّر من اتباع المشعوذين والسحرة والدجالين، فإنهم لا يزيدون المريض إلا مرضاً، والواهن إلا وهناً، والمصاب إلا مصيبة، وبُعْدًا عن ربه جل وعلا.

أسأل الله تعالى أن يحفظنا بالإسلام والإيمان والقرآن، وأن يحفظنا من وساوس الشيطان، ومن شر شياطين الإنس والجان، ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا في محكم التنزيل حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

أسباب الرزق

الخطبة الأولى

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وجعل نسله من نطفة في قرار مكين، وكتب رزقهم في السماء وما يوعدون، أن لا له الخلق والأمر.. تبارك الله رب العالمين! أحمده سبحانه وأشكره. وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، كل في كتاب مبين!

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين، خير من عبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. عباد الله!

اتقوا الله واعبدوه، وابتغوا عنده الرزق واشكروه، واعلموا أنكم ملاقوه.. وإليه ترجعون!

أيها المسلمون!

إن السعي في طلب الرزق أمر فطري يشترك فيه الناس جميعاً، وهو مشروع في الإسلام، بل عمل صالح لمن كانت له فيه نية خالصة

لله جل وعلا، من الاستغناء عن السؤال، وكفاية نفسه وأهل بيته بالرزق الحلال. بل إنها مسؤولية في عنق الإنسان ما دام صحيحاً قادراً على الكسب، قال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت" ^(١) كما ذم الإسلام سؤال الناس بغير عذر أو عجز عن الاكتساب، روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لو يعلم صاحب المسألة ما له فيها لم يسأل" ^(٢).

وبين، ﷺ، من تحل له المسألة بقوله: "إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حمالةً، فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجَا (أي العقل) من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، ثم يمسك، فما سواه من المسألة فُسخت يأكلها صاحبها سُخْتاً" ^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٢٠٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وأبو داود في سننه في الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم (١٦٩٢) عن عبدالله بن عمرو.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٨/١٢ برقم (١٢٦١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وأخرجه مسلم في الزكاة، باب من تحل له المسألة، برقم (١٠٤٤) عن قبيصة بن المخارق الهلالي رضي الله عنه.

عباد الله!

والمال في الإسلام مال الله تعالى، والمسلم مستخلف فيه؛ ومسؤول عنه يوم القيامة: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ روى الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه" ^(١) ؟.

ولمّا كان المال في حياة الناس قوام العيش، ولا غنى لأحد عنه، فإن من سعى في طلبه بالأسباب المشروعة، ووضعه في موضعه؛ وأدى حق الله فيه، فقد وافق الحق، وهو مأجور- بإذن الله - بنيته الصالحة؛ يسعى ويكدّ في طلب العيش والرزق، ويثاب على ذلك، قال الله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبدٍ) [البلد : ٤] ، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَكَ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ۖ﴾ [الانشقاق: ٦].

أيها المسلمون!

لكن الإنسان في سعيه وكده تواجهه ابتلاءات يمتحن فيها إيمانه، وصبره ويقينه، من نقص في الأموال، أو تعسر في الأعمال، أو ضيق في

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، برقم (٢٤١٧) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه واسمه نضلة بن عبيد، وقال: حديث حسن صحيح.

الأحوال، فإن صبر وتوكل على الله ولازم التقوى؛ فرج الله كربته، وأزال هممه، فضلاً عن ثوابه العظيم على صبره واحتسابه، قال الله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الرمز: ١٠].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أكبر آية في القرآن فرحاً ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].
عباد الله !

ولما كانت التقوى تقوم على الإيمان والعمل الصالح، فقد جعل الله الأعمال الصالحة أسباباً للرزق والبركة، وضدها سبب لغضب الله تعالى وزوال النعمة، فقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

كما خص المولى تبارك وتعالى كثيراً من الأعمال الصالحة بجعلها أسباباً للرزق؛ فضلاً عن الأجر والثواب في الآخرة، فمنها:

الاستغفار: قال الله تعالى حكاية عن نبيه هود عليه السلام : ﴿ وَيَقَوْمِ
 اَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ
 وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢]

وقال سبحانه تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام مخاطباً
 قومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ
 بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠-١٢].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات: أي إذا تبتم إلى الله
 واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وسقاكم ربكم من بركات
 السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم
 الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل
 لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها) ا. هـ.
 أيها المسلمون!

فإذا استغفر العبد ربه وتاب وأناب، فهو حري بهذه الثمرة بفضل
 الله وتوفيقه، وليعلم العبد أنه إذا استغفر ولم يستشعر الثمرة أن الخلل
 منه، فربما لم يجاوز استغفاره لسانه، أو وقع في ذنب عظيم لم تصدق
 توبته منه، فحرمه الله به أثر الاستغفار؛ فلنراجع صدق الإنابة إلى الله جل
 وعلا؛ فإن من صدق الله صدقه الله.

عباد الله ! ومن الأسباب المؤدية إلى كثرة المال والرزق في الدنيا:

صلة الرحم. وهم الأقارب، وله وبينهم نسب من جهة الولادة من طريق الأب أو الأم.

والمراد بصلة الرحم: الإحسان إليهم بكل أنواعه حسيه ومعنويه، روى البخاري في صحيحه في باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه" ^(١).

ولهذا السبب نجد بعض المسلمين قد فتح الله لهم أبواباً من الرزق وفيرة مع قلة نشاطهم وخبرتهم، قياساً بغيرهم من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، بسبب أنهم يصلون أرحامهم، بل حتى العصاة والفجرة قد تنمو أموالهم بسبب صلة الرحم، لما رواه ابن حبان في صحيحه بسند جيد عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا" ^(٢) فسبحان من بيده مفاتيح الرزق!

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم (٥٩٨٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب صلة الرحم برقم (٤٣٩).

أيها المسلمون! ومن أبواب الرزق العظيمة: الإنفاق في سبيل الله. فمن أنفق من ماله في سبيل الله - خلافاً لما يُتوهم من النقص الظاهر - يكون ذلك سبباً لكثيرته، قال الله تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، قال ابن كثير رحمه الله: أي مهما أنفقتم من شيء مما أمركم الله به وأباحه لكم، فهو يخلفكم، ويخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

قال ابن القيم رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

إن وعد الشيطان لابن آدم بالفقر ليس شفقة عليه، وليس نصيحة له، وأما الله عز وجل، فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال تبارك وتعالى: "يا ابن آدم أنفق أنفق عليك" ^(١). وروى البخاري، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وكان عرشه على الماء، برقم (٤٦٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومسلم في كتاب الزكاة، برقم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة.

ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً " (١) .

عباد الله! وقد يكون المقدار القليل الضئيل الذي ينفقه المرء في سبيل الله بصدق وإخلاص أعظم من الكثير الذي ينفقه آخر أراد به الشهرة والفخر والرياء، عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها" رواه النسائي وابن حبان والحاكم (٢) .

ومن مفاتيح الرزق وأسبابه: التبعّد الحق لله عز وجل بقلب فارغ عما سواه، كما في الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم: تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في الزكاة، باب قول الله تعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) برقم (١٤٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومسلم في الزكاة، باب في المنفق والممسك برقم (١٠١٠) متفق عليه.

(٢) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الزكاة، باب جهد المقل، برقم (٢٥٢٧) وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٣٥/٨، برقم (٣٣٤٧).

كما أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٥٧٦/١، برقم (١٥١٩) في كتاب الزكاة، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ، ولم أسد فقرك" ^(١) .

أيها المسلمون!

وغني عن البيان أن التفرغ المطلوب لا يعني ترك كسب الرزق، وأن يصبح العبد عالة على غيره، بل المراد أن يفرغ العبد قلبه أثناء العبادة عما سوى الله تعالى من شواغل الدنيا، فلا يصلي المرء جسداً بلا روح، وقلبه شارد في أودية شتى.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .
[المؤمنون: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٨٣٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق، باب منه، برقم (٢٤٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم (٤١٠٧)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين وخاتم المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : أيها المسلمون!

ومن أسباب زيادة الرزق في الدنيا: المتابعة بين الحج والعمرة، روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "تابعوا بين الحج والعمرة - وفي رواية: أديموا الحج والعمرة - فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة"^(١).

ومن أعظم الأسباب: التوكل على الله حق التوكل، وذلك بأن يعتمد القلب على الله وحده، روى الإمام أحمد والترمذي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "لو أنكم تتوكلون على

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٣٤٨٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، برقم (٨١٠) عن عبدالله بن مسعود : وقال: حسن غريب، كما أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، برقم (٢٦٣١) عن عبدالله بن مسعود.

الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً" (١) .
أيها المسلمون!

وكثير من الناس اليوم، خصوصاً أصحاب الثراء والثروات،
يقعون في مخالفات شرعية بسبب فتنة المال، كالربا والقمار وسائر
المعاملات المحرمة والمشتبهات، وظلم الناس في المعاملات، وأشد
من ذلك منع الزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام.

وللأسف فإن بعض من يقع في ذلك يعلم يقيناً أنه واقع في
الإثم، لكن حب المال والخوف من الفقر يجعله يتمسك بالحرام،
وزيادة الحرص والطمع تطفئ على تفكيره، فتصده عن تقوى الله ؛ فيقع
في الكبر والحرام وظلم الناس. وقد يعاقبه الله سبحانه بسلب هذا المال
من بين عشية وضحاها إذا تمادى في ذلك.
أيها المسلمون!

على المسلم أن يعي هذه الأسباب والعمل بها، وبخاصة من
الشباب لينطلقوا في حياتهم على هدى وبصيرة، بجِد ونشاط لاكتساب
المال من الحلال، وترك الكسل والتواني، والبعد عن المعاملات

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ.

باب في التوكل على الله برقم (٢٣٤٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: حديث
حسن صحيح.

المحرمة؛ فهم عماد الأمة وأملها المشرق.

وعلى رعاة البيوت القيام بمسؤوليتهم في غرس هذا الوعي الرشيد؛ (فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).^(١)

وفق الله الجميع لسلوك سبل مرضاته، ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا في كتابه فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومسلم في كتاب الإمارة، برقم (١٨٢٩) متفق عليه.

غزوة الأحزاب عظات وعبر

الخطبة الأولى

الحمد لله ذي القدرة والملكوت، والقوة والجبروت، أحمده سبحانه وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو حي لا يموت، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، العزة والمجد والمنعة لمن أطاعه واتبعه، والذلة والصغار والشنار لمن عصاه وخالف أمره، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسار على نهجه واقتفى أثره، أما بعد :

عباد الله ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أقدامكم على النار لا تقوى.

أيها المسلمون! إن الصراع بين الحق والباطل مستمر وقائم إلى قيام الساعة، يغلب فيه الحق تارات، ويُغلب أخرى، والصراع سجال، وفي خضم هذا الصراع يعتري الباطل حالة من الزهو والغطرسة والاستكبار والاغترار بالقوة والعدة والعتاد، تُنسيه قوة الله وبطشه، وتدعوه للبطش والفتك بالحق وأهله، غافلاً عما قد يصيبه من عقاب الله وشدة انتقامه، كما حصل ذلك لفرعون ، الذي سخر بالمؤمنين لضعفهم

وقلة حيلتهم، وأراد أن ينفث غضبه وغيظه بسفك دمائهم ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤ ﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَالِقَابٌ ٥٥ ﴾ [الشعراء: ٥٤، ٥٥]. فما نفعه استكباره وانتفاشه، لأن الله له بالمرصاد ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَكْفُرُ الْحَقُّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ٣٩ ﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٤٠ ﴾ [القصص: ٣٩، ٤٠] ، ثم بعد ذلك يعيد التاريخ نفسه، وينتفش الباطل انتفاشة أخرى، ويستكبر ويعلو ويزهو بقوته وعدته وعتاده، كل ذلك للقضاء على الإسلام والمسلمين، فاحتشد الغرب جحافل الكفر من كل مكان، يتقدمهم الفخر والخيلاء والاستكبار في الأرض بغير الحق، يتوعدون المسلمين بالويل والثبور عازمين على استئصال جذورهم، ومحو أثرهم وقطع دابرهم وإبادتهم، قد اغتروا بقوتهم وعددهم وأعوانهم، فتكالبوا على المسلمين من كل جانب.

فمن خارج الدولة المسلمة الكافرون الذين فرقهم الكفر والمطامع إلا على حرب الإسلام وأهله، قد تحزبوا لرد الاعتبار وجني الثمار، والأخذ بالثأر. وأما من داخل الدولة المسلمة عدو منافق، قد مدّ يده لكل غادر كافر، وعدو آخر من الداخل مريض القلب قد أرجف وارتعد، خوفاً مما يرى من قوة العدو وكثرة عدده، وأما العدو الأشد فتكاً، فهم أولئك الخونة الغادرون من اليهود الذين تأبى نفوسهم العفنة

أن يتخلفوا عن معركة تحاك ضد الإسلام، فتولوا كبر هذا التحالف الغادر، فأخذوا يحرضون ويخربون، بل ويزيفون الباطل لأهله، ولسان حالهم (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم) [الأنفال: ٤٨] ولكن يأبى الله إلا أن ينصر عباده المؤمنين، وأن يخذل عدوهم من الأحزاب الكافرين من اليهود والمشركين، مهما بلغوا من القوة والجبروت، فإن قوة الله غالبة، وكيده متين، وبطشه شديد ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] ، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

عباد الله! تحكي لنا السيرة العطرة عن تلك الغزوة التي لم تُرق فيها الدماء، ولم تزهق فيها الأنفس، وإنما زلزل المؤمنون فيها زلزالاً شديداً، وبلغت فيها القلوب الحناجر، إنها غزوة الأحزاب، التي تولى كبرها اليهود حتى خرج عشرون رجلاً من زعمائهم، إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ يوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم حتى يستأصلوه، فأجابتهم قريش، ثم خرج هذا الوفد من اليهود إلى غطفان، فاستجابوا لهم، ثم طاف الوفد من قبائل العرب يدعونهم لهذه المكيدة، فنجحوا في تأليب أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمؤمنين، فخرجت تلك الأحزاب في عشرة آلاف، نحو المدينة للقضاء على دولة الإسلام الفتية، فعلم المسلمون مبلغ الخطر

المصدق بهم، فعجلوا بعد التشاور بحفر الخندق من ناحية السهل، وجعلوا النساء والذرية فوق الحصون، أقبلت جموع الكفر، وأحاطت بالمدينة، وهالها ما رأت، مما لم يكن في حسابها، فحاصروا المدينة، وحاولوا اقتحام الخندق، واشتد الحصار على المؤمنين، وتميزت الصفوف: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢] وظهر المنافقون والمرتابون يتعذرون بأن بيوتهم عورة من العدو، فيستأذنون هرباً وهلعاً ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝٢٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبِ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَفْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝٢٤﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣] وفي هذه الحالة العصيبة جاء الخبر إلى رسول الله ﷺ أن يهود بني قريظة نقضوا العهد، وانضموا إلى كتائب الأحزاب التي تحيط بالمدينة، فاشتد ذلك على المسلمين وأصابهم ما أصابهم من الخوف، مع ما هم فيه من شدة الجوع والبرد، حيث إن اليهود من خلفهم، وهم أقرب ما يكونون من نسائهم وذرائعهم، فصار حالهم كما وصفهم الله ﷻ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، تقنع رسول الله ﷺ بثوبه، حين أتاه خبر الغدر من اليهود، فاضطجع، ومكث طويلاً

حتى اشتد على الناس البلاء، ثم نهض وقال: "الله أكبر أبشروا بفتح الله ونصره" ^(١) ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم" ^(٢)، وقد استجاب الله الدعاء، حيث ألقى الله الرعب والفرقة في صفوف الأحزاب المشركين، وأرسل الله عليهم جنداً من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع قدراً إلا كفأته، فلم يقرّ لهم قرار، وأرسل عليهم جنداً من الملائكة يزلزلونهم ويقذفون في قلوبهم الرعب، فصدق الله وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، حتى رأى النبي ﷺ والمسلمون الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

وهكذا أيها المسلمون! ينتصر عباد الله المؤمنون، وينشرون الدين في الأرض، ولكن متى؟ حين حَمَلَ الدين رجال وقادة علمهم النبي ﷺ ألا يخاف العبد إلا ربه، وألا يذل إلا لمن ذل له كل شيء، وخلق كل شيء، ولمن بيده أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٧٥].

(١) ينظر سيرة ابن هشام ٢٣٧/٣، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٠٣/٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١١٥) في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب، عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

أيها المسلمون! هذا هو الكفر وأهله، يخطط ويدبر، ويسعى ويجتهد لحرب المسلمين في كل مكان وزمان، وهذه سنة الله تعالى جارية في الصراع بين الحق والباطل، وإن معركة الإسلام مع الكفر ليست في زمن دون آخر، وإنما هي فصول يقصها القرآن وتحكيها السيرة و السنة في أدوار مختلفة، ولن يخلو زمان أو مكان من تلك المعركة، غير أن النور الذي حمله الرسول عليه الصلاة والسلام ليضيء للدنيا الطريق حتى تعرف الأمة مخرجها وتنجو من الضلال في غياهب الفتن والمدلهمات، فهل من رجعة صادقة إلى تلك الهداية؟ وهل من وقفة جادة مع كتاب ربنا نستمد منه النجاح والفلاح؟ لنذكر سنن الله سبحانه في النصر والهزيمة؟ والقوة والضعف، والغلبة والتراجع.

أيها المسلمون! إن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى ما يرد عليهم اعتزازهم بإيمانهم وثقتهم بأنفسهم، ورجاءهم في مستقبل مشرق تكون فيه كلمة الله هي العليا، وأن الله سيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولن يدع الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل به الكفر، هكذا أخبر نبينا ﷺ^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٦٦٣٢) من حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده،
أحمدته سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك
عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين أما بعد:

عباد الله! مما تعلمنا من غزوة الأحزاب أن الابتلاء سنة الله في
العباد، ابتلاء فردياً وجماعياً، فقد وصلت قلوب الصحابة، رضي الله
عنهم الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً، وهم أفضل الأمة وأصحاب النبي
ﷺ، فلن يستمر الناس على حال واحدة، ولكن العاقبة للمتقين، والغلبة
لأولياء الله الصالحين، فنصر الله نبيه، وهزم الكفر وأحزابه.

ومن أجلّ دروس هذه الغزوة تجديد الثقة بالله تعالى، واستشعار
قيمة التوكل عليه، وأن كل قوة تصغر أمام قوة الله تعالى، فلا مفر ولا
هروب من سنن الله تعالى، ولا نجاة ولا نجاح إلا باللجوء إليه
والاعتصام به، فقد أخبر النبي ﷺ، أن الأمم يوشك أن تداعى كما
تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول
الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من
صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما

الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت ^(١).

أيها المسلمون! وإن من دروس هذه الغزوة وعبرها اللجوء إلى الله بالدعاء الصادق، والاستغاثة به، فقد دعا نبينا عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة بقوله: "اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" ^(٢).

الدعاء عباد الله! يرد القضاء، ويزيل البلاء، ويجلب الفرج والنصر على الأعداء، الدعاء يقوي الإيمان ويحيي القلوب، ويسكن الضمائر. فالله الله في الدعاء في أوقات الرخاء فضلاً عن الشدة والبلاء.

ومن دروس غزوة الأحزاب الحذر من المرجفين والمنافقين الذين طغى على قلوبهم الران وحب الكفرة والإعجاب بهم، فهم أخطر على الأمة من الكفرة والمشركين، المنافقون المتربصون بالأمة الدوائر، هم السوس والجراثيم الفتاكة، هم المخذلون المرجفون، وأصحاب الشائعات المغرضة القائلون لإخوانهم: (لا غالب لكم اليوم من الناس) [الأنفال: ٤٨].

ومن دروس تلك الغزوة التفاؤل والاستبشار وعدم اليأس

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، عن ثوبان رضي الله عنه برقم (٤٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، عن عبدالله بن أبي أوفى، برقم (٣٠٢٤).

والقنوط في جميع ما يقدره الله سبحانه وتعالى، هكذا علمنا رسول الله ﷺ في وقت الشدة يقول: "أبشروا بفتح الله ونصره".

اتقوا الله عباد الله، واستلهموا هذه الدروس وغيرها من هذه الغزوة، ومن كل غزوة وحدث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لتنهجوا نهجه وتقتدوا به. هذا وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

أصحاب الكهف

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وجعل لنا من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً أحمدته سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما جعل علينا في الدين حرجاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتخذ دينه منهجاً.

أما بعد : عباد الله ! اتقوا الله في شبابكم وهرمكم، وصحتكم ومرضكم، وغناكم وفقركم تفلحوا في دنياكم وآخرتكم. أيها المسلمون! سورة عظيمة تتلى كل يوم جمعة حَوَتْ من القصص والأخبار، والعظات والأحكام، والدروس والعبر ما فيها آيات لكل مُذَكِّر.

هذه السورة هي سورة الكهف، التي تضمنت قصة أصحاب الكهف، الذين آمنوا بربهم، فَأَوُوا إِلَى الكهف. كما حوت قصصاً أخرى.

أيها المسلمون! قد ورد في سبب نزولها ونزول قصة ذي القرنين أن اليهود أغروا أهل مكة بسؤال الرسول ﷺ عن الروح، فقالوا لهم:

سلوه عن ثلاثة نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل تَقَوَّل، فتروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمورهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فلما سألوه قال الرسول ﷺ - (أخبركم غداً عما سألتكم عنه) ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحَدِّثُ الله له في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه، حتى حزن رسول الله ﷺ لمُكْثِ الوحي عنه، وشق عليه ذلك، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وأخبره عن ما سأله عن أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: ﴿وَسْأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

أيها المسلمون! قصة أصحاب الكهف ذكرها الله سبحانه إجمالاً، ثم عرضها تفصيلاً، وهي تبدأ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرْبَنَا عَلَى أَعْيُنِنَا فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾ [الكهف ٩-١٢]

وهو تلخيص يجمل القصة، ويرسم خطوطها العريضة، فتبين أن أصحاب الكهف فتية أواوا إلى الكهف، وهم مؤمنون، وأنه ضرب على آذانهم في الكهف - أي أنهم ناموا سنين معدودة - لا نعلم عددها - وأنهم بُعثوا من رقدهم الطويلة، وأنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم، ثم لبثوا في الكهف، فبعثوا ليتبين أي الفريقين أدق إحصاء، وأن قصتهم على غرابتها ليست بأعجب من آيات الله.

أيها المسلمون! لقد عاش هؤلاء الفتية في البداية في مجتمع جاهلي مادي محض، وفي دولة وثنية جائرة، ولكن في هذا المحيط الضيق المطبق، وجد رهط من الناس تسربت إليهم دعوة الحق والهدى، فوافقت منهم عقولاً واعية وفكرة خاشعة، وأصبح لديهم إيمان وعقيدة، وهنا ينتصر الإيمان على المنطق المادي: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف: ١٣ - ١٥] ، وهنا يسعفهم الإيمان وينير لهم الطريق، بأن في أرض الله سعة، وفي نصر الله ثقة ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّاكُمْ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ۝١٦﴾ [الكهف: ١٦] - نعم عباد الله- إنه لا يضيق مع رحمة الله تعالى شيء، ولو كان صاحبها في أشد

الظروف وأحلكها، ولا سعة مع إمساكها، ولو تقلب في أعطاف النعيم والرخاء، ورحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان ولا أي حال، وجدها إبراهيم عليه السلام في النار، ووجدها يوسف في الجُبِّ والسجن، ووجدها يونس في ظلمات ثلاث! ووجدها موسى وهو في اليمِّ! ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، فقال بعضهم لبعض: ﴿الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الكهف: ١٦] ووجدها محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار، نعم- أيها الأحبة- إنه من وجد الله فماذا فقد؟! ومن فقد الله، فماذا وجد؟

عباد الله : لقد نفذ الفتية ما استقر عليه رأيهم، فها هم أولاء في الكهف، وقد ضرب عليه النعاس ﴿وَرَأَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٧] وهو مشهد تصويري عجيب، ينقل بالكلمات هيئة الفتية، فقد حفظهم الله من الشمس فهياً لهم غاراً إذا طلعت الشمس عنه تَزَوُّرُ يميناً، وعند غروبها تميل عنه شمالاً، فلا ينالهم حرُّها، فتفسد أبدانهم بها، كما حفظ الله أبدانهم- كذلك - أن تأكلها الأرض: لأن الأرض- طبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدرة الله أن قلبهم على جنوبهم يميناً وشمالاً ﴿وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨] وفجأة! تدب

فيهم الحياة، فلننظر ولنسمع: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الكهف: ١٩] يعرض القرآن هذا المشهد، والفتية يستيقظون، وهم لا يعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس، ويلتفت أحدهم إلى الآخرين فيسأل: كم لبثتم؟ كما يسأل من يستيقظ من نوم طويل: (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) ثم رأوا أن يتركوا هذه المسألة التي لا طائل وراء البحث فيها، ويدعوا أمرها إلى الله، - وهذا شأن المؤمن في كل ما يعرض له مما يجهله، ولا فائدة من البحث فيه-، فراحوا بعد ذلك يأخذون في شأن عملي فهم جائعون، ولديهم نقود خرجوا بها من المدينة: ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١٩] أي فليختر أطيب الطعام في المدينة، فليأتكم بشيء منه، وهم يحذرون أن ينكشف أمرهم، فيأخذهم أصحاب السلطان في المدينة، فيقتلوهم رجماً- بوصفهم خارجين عن الدين؛ لأنهم يعبدون إلهاً واحداً في المدينة المشركة! أو يفتنوه عن عقيدتهم بالتعذيب ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ﴾ [الكهف: ٢٠].

أيها المسلمون! إن العبرة العظيمة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث حيث يمثل واقعاً محسوساً، يُقَرَّب على الناس قضية

البعث، فيعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها، ليستعد لها الإنسان المؤمن ويهيئ الزاد ليوم البعث والنشور ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الكهف: ٢١].

عباد الله ! وهنا تظهر المعجزة الكبرى من معجزات أصحاب الكهف ! ففي مدة نومهم واعتزالهم في الكهف تغيرت الأوضاع في البلد، فانقرضت دولة الوثنية والخلاعة، وطوى رجالها وأصحابها في تقلبات الزمان، وقامت على أنقاض هذه الدولة الوثنية دولة تؤمن بالله، تدين دين الحق، وتتصر للدين الجديد الذي حاربته الدولة الماضية طويلاً، وصارت تُجِلُّ كل من انتمى إلى هذا الدين، وترحب بكل من يدين بهذه العقيدة وتعز برجالها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ

لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١] يخبر الله أنه أطلع الناس على حال أهل الكهف، وذلك بعدما استيقظوا وبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، فأراد الله منه أمراً وهو صلاح الناس، إذ أن الناس رأوا بالعيان، أن وعد الله حق لا شك فيه، فجعل قصتهم عبرة وزيادة يقين للمؤمنين، وشهر الله أمرهم، ورفع قدرهم، حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم إلى أن وصلت بهم الحال أن قالوا: ابنوا عليهم مسجداً- أي مكاناً نعبد الله فيه، ونتذكر أحوالهم، ومن

المعلوم أنه في ديننا لا يجوز نصب القبور في المساجد ولا التوجه إليها، لكن هذا ما كان من رأي من طرحه منهم.

هذه قصة أصحاب الكهف وشيء من دروسها، فلنا في ذلك عبرة ودرس ومنهج، نفعمني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل القرآن منهجاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً،
أحمده سبحانه وأشكره كان رباً رحيماً غفوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله
الله بشيراً ونذيراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه،
والتابعين ومن تبعهم بإحسان فكان جزاؤهم جزاءً موفوراً، أما بعد:

أيها المسلمون! وفي هذه القصة دليل على أن من فرّ بدينه من
الفتن سلمه الله منها، وأن من آوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية
وقدوة لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره
وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب: (وما عند الله خيرٌ للأبرار)
[آل عمران: ١٩٨] ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

عباد الله ! وفي هذه القصة يرد النهي عن الجدل في غيب الماضي
الذي لا فائدة منه كما يرد النهي عن الحكم على غيب المستقبل، وما
يقع فيه، فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية : (إني فاعل ذلك
غداً) [الكهف: ٢٣] دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من
المحذور وهو : الكلام على الغيب المستقبل، وفيه رد الفعل إلى مشيئة
العبد استقلالاً، وهذا تخرص لا يجوز، فقد تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ

يَسَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ [التكوير: ٢٩٠] ولما فيه من أن ذكر مشيئة الله فيها من تيسير الأمر وتسهيله وحصول البركة فيه، واستعانة العبد بربه. عباد الله! وفي ختام هذه القصة يعقب الله عليها، بإعلان الوجدانية الظاهرة الأثر في سير القصة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَتُوكَ فِي حُكْمِهِ﴾ أَحَدًا [الكهف: ٢٦] وهكذا تنتهي قصة أصحاب الكهف، وتنتهي هذه القصة الخالدة، قصة الصراع بين الإيمان والمادية، تنتهي بانتصار الإيمان، وصدق الاعتماد على خالق الأسباب، لقد أثر الفتية، الشباب المؤمنون، الإيمان على المادة، وآثروا الآجل على العاجل، وآثروا أن يعيشوا غرباء، وهم مؤمنون، على أن يعيشوا أغنياء أو وجهاء، وهم كافرون، لقد فروا إلى خالق الأسباب، فلم ينتقلوا من هذا العالم حتى خضعت لهم الأسباب.

أيها المسلمون! وفي هذه القصة عزيمة الشباب الذين نظروا إلى المعالي، ولم ينحطوا إلى سفاسف الأمور، فهم قدوة للشباب في كل زمان ومكان. فليقتدي بهم العاقل من الشباب فيجعل همته عالية للوصول إلى أعالي الأمور فينفع نفسه وأسرته ومجتمعه.

أيها المسلمون! وبعد انتهاء القصة يوصي الله سبحانه النبي ﷺ بالتمسك بحبل الله، والتمسك بالسبب الأكبر الأقوى، والعروة الوثقى، سبيل الإيمان، وسبيل القرآن، ويوصيه بلزوم أولئك المؤمنين الذين

سعدوا بالإيمان واليقين، وإن كان حظهم قليلاً من الأسباب، ومن مُتَع الدنيا وزخرفها، كما يوصيه بمجانبة أولئك الجهال الغافلين الذين حرموا الإيمان، فتخبطوا في ظلمات المعاصي والجهل والشرك، وهذه إنما هي وصية عامة لكل أتباعه من المؤمنين؛ ليجالسوا ويصادقوا المؤمنين الصادقين، فهم أحوج إلى تنفيذها والعمل بها أمام هذه الفتن المتلاطمة والأمواج الهائلة ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وهكذا يجب علينا تأمل القرآن الكريم وما فيه من القصص والعبر فقد قال سبحانه في كتابه الكريم : ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قصة أصحاب الجنتين

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله! اتقوا الله وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وما زلنا عباد الله مع سورة الكهف نقطف من ثمارها، ونهل من معينها، ونستظل بظلالها، ونعتبر من دروسها.

أيها المسلمون! إن القيم الحقيقية في ميزان العقيدة، ليست هي المال أو الجاه، كذلك ليست هي اللذائذ والمتاع في هذه الحياة، إن هذه كلها قيم زائلة، تتجلى هذه الحقيقة في قصة صاحب الجنتين حيث ضرب الله سبحانه في هذه السورة مثلاً رجلين: أحدهما يعتز بما أوتي من مال وعزة ومتاع، والآخر يعتز بالإيمان الخالص، ويرجو ما عند ربه مما هو خير، ثم يعقب بمثل يضرب للحياة الدنيا كلها، فإذا هي قصيرة

زائلة كهشيم تذروه الرياح، وتنتهي من ذلك كله بتقرير الحياة الباقية، قال الله تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣﴾ [الكهف: ٣٢-٣٣].

عباد الله! تجيء قصة الجنتين والرجلين لتضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينه الحياة، والنفس المعتزة بالله وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة فينسى القوة الكبرى - قوة الله القاهرة على عباده - ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لله ربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم موجبةً لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره.

وتبدأ القصة: بمشهد الجنتين من أزهار عبقة وأشجار سامقة ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢﴾ [الكهف: ٣٢] فهما جنتان مثمرتان، محفوفتان بسياج من النخيل تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر.. إنه المنظر البهيج والحيوية الدافقة. (آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) [الكهف: ٣٣] أي أن ثمرها وزرعها ضعفان أي: متضاعفاً وأنها لم تنقص من أكلها أدنى شيء،

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ [الكهف: ٣٤] كان له ثمر زائد عن الجنة، وهذا أدى به إلى الاغترار على صاحبه، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦] أي ما أظن أن تفتي هذه الجنة، لأنه أعجب بها وبما فيها من قوة وجمال منظر؛ حتى نسي أن الدنيا لا تبقى لأحد، ثم أضاف إلى ذلك قوله: (وما أظن الساعة قائمة) بل وصل به الغرور والكبر إلى إنكار قيام الساعة والعبث، لأنه يظن إذا كانت جنته لا تبعد فهو يقول: لا بعث، وإنما هو متاع الحياة الدنيا، (ولئن رُددت إلى ربي) على فرض قيام الساعة! (لأجدن خيراً منها منقلباً) أي مرجعاً، فكأنه يقول: بما أن الله أنعم علي بالدنيا، فلا بد أن ينعم علي في الآخرة- وهذا في الحقيقة من جهله وقصور عقله، وإلا فأي تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة؟! بل الغالب أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفياه، ويوسعها على أعدائه، الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، قال ﷺ: (وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) (١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٦) في كتاب تفسير القرآن، (باب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ

القرى، عن أبي موسى رضي الله عنه.

ومسلم برقم (٢٥٨٣) في البر والصلة والآداب.

أيها المسلمون! وفي المقابل تظهر الصورة الناصعة صورة المؤمن المعترف بإيمانه المتواضع بأخلاقه، إنها صورة صاحبه المؤمن الفقير، الذي يقول له ناصحاً له ومذكراً له حاله الأولى التي أوجده الله فيها في الدنيا ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۚ ﴾ [الكهف: ٣٧] ويستفاد من هذا أن منكر البعث كافر، ولا شك في هذا كما قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْزَأَقَلَ بِلَىٰ وَرَقٍ لِّتُبَعْنَ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۖ وَذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ ﴾ (التغابن: ٧) ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه؛ قال مخبراً عن نفسه على وجه الشكر لربه والإعلان بدينه عند ورود الفتنة والشبهة: ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ﴾ [الكهف: ٣٨] أصلها (لكن أنا) أي هو الله ربي، فأخبر بربوبية ربه له وانفراده فيها، والتزام طاعته وعبادته، وهكذا - عباد الله يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام العجاة والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة الدنيا الزائلة.

ثم يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَبَّنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ ﴾ [الكهف: ٣٩] أي: هلاً حين دخولك الجنة والبستان قلت: " ما شاء الله لا قوة إلا بالله " حتى تجعل الأمر مفوضاً إلى الله عز وجل، وهذا يعني تفويض القوة لله الواحد القهار، فهذه الجنة ما صارت بقوتك أنت ولا بمشيئتك أنت، ولكن بمشيئة الله

وقوته، وينبغي للإنسان إذا أعجبه شيء من ماله أو مال غيره أن يقول: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) حتى يفوض الأمر إلى الله عز وجل لا إلى حوله وقوته، وقد جاء في الأثر "أن من قال ذلك في شيء يعجبه من ماله فإنه لن يرى فيه مكروهاً" ^(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝١٠ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَن يَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝١١﴾ [الكهف: ٤٠-٤١] وهذا إما دعاء من الصاحب المؤمن أو توقع منه، بأن يعاقبه الله بإتلاف جنة الكافر بأن يرسل عليها فيضاً من السماء فتصبح الجنة لا نبات لها قد غمرتها المياه، أو يصبح ماء الجنة والبستان غائراً في الأرض لا يستطيع الوصول إليه لبعده في قاع الأرض.

أيها المسلمون! وفجأة!! ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر، والإنكار، إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن!! ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَفْقَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝١٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ

(١) أخرج الترمذي في الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته برقم (٣٥٥٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووُقيت وتنحى عنه الشيطان".

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣]. والإحاطة بالشمر يستلزم تلف جميع أشجاره وثماره وزرعه، فندم كمال الندامة، واشتد لذلك أسفه- ويا له من مشهد مؤثر لو تأمله الإنسان بعين عقله وبصيرته- نعم عباد الله- لقد تلاشت كل النفقات الدنيوية التي خسر فيها صاحب الجنة، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبق لها عوض، وندم حينئذ على شركه بالله وكبره عن الحق، ويعترف الآن بربوبية الله ووحدانيته، وهنا يتفرد الله بالولاية والنصر والقدرة، فلا قوة ولا نصر إلا نصره ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] لأن من كان عاقبته نصر الله عز وجل وتولييه، فلا شك أن هذا خير من كل ما سواه، فإن جميع العواقب التي تكون للإنسان على يد البشر تزول، لكن العاقبة التي عند الله عز وجل لا تزول، فيعلم العبد ذلك ويعمل به. نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الميامين الغرر، والتابعين ومن تبعهم على السنة والأثر، أما بعد:

عباد الله! وهكذا يسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفاً وندماً، وجلال الله يظلل هذا الموقف، حيث تتوارى قدرة الإنسان. وأمام هذا المشهد يضرب الله تعالى مثلاً للحياة الدنيا- من أولها إلى آخرها- فإذا هي كتلك الجنة المضروبة قصيرة جداً، لا بقاء لها ولا قرار: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا ۝٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]؛ إن مثل الحياة الدنيا كمثل المطر ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينما زهرتها تسر الناظرين وتُفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيماً تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر والمنظر البهيج، فصارت غبراء قد انحرف عنها النظر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاقه فيها أقرانه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته ازدهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، إذ

أصابه الموت أو التلف لماله فذهب عنه سروره، وزالت لذته وجوره، وانفرد بصالح أو سيء أعماله، وهكذا تنتهي الحياة في جمل قصار، وهنالك بعض الظالم على يديه حين يعرف الحقيقة ويتمنى العودة إلى الدنيا!! لا ليستكمل الشهوات، ولكن ليستدرك ما فرط منه من الغفلات بالتوبة والأعمال الصالحات.

فيا عبد الله ! قدر لنفسك أنك قد مت - ولا بد أن تموت - فأبي الحاليتين تختار: الاغترار بزخرف هذه الدنيا، والتمتع بها كما تتمتع الأنعام، أم العمل لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين؟ فبهذا يُعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسارانه!

فاحذروا الدنيا ومكائدها، فكم غرت من يظن أنه مخلد فيها، وكم صرعت من مكب عليها؟ والله تعالى يقول: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَتُهُمْ وَقَاهُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِجُ فَتَرَكُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد : ٢٠].

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا وقرارنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلوا وسلموا على سيدنا ونبينا محمد، كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قصة ذي القرنين

الخطبة الأولى

الحمد لله غافر الزلات، ومقيل العثرات، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، أحمده سبحانه جل وعلا، وأشكره بكل جميل خفي أو جلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً:

أما بعد: عباد الله: اتقوا الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته،
ويجعل لكم نوراً تمشون به.

أيها المسلمون! في هذه الخطبة - إن شاء الله - نختم بعون الله -
عقد قصص سورة الكهف، ألا وهي قصة ذي القرنين، وهذا الدرس
الآخر في سورة الكهف قوامه قصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى
الشرق، وإلى الغرب، وإلى الوسط، وبناءه للسد في وجه يأجوج
ومأجوج، تبدأ قصة ذي القرنين بقوله تعالى: ﴿وَشِئْلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ
سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾ [الكهف: ٨٣] أي صاحب القرنين، وقد
قال اليهود لقريش: اسألوا محمداً عن هذا الرجل، فإن أخبركم عنه فهو
نبي، ولماذا سمي بذي القرنين؟ الأقرب أن سبب ذلك؛ لأن ملكه كان

عظيماً، حيث بلغ ملكه المشرق والمغرب، وهذا مناسب تماماً، حيث قال النبي ﷺ عن الشمس إنها: (تطلع بين قرني شيطان) متفق عليه^(١). فقد بلغ ملكه قرني الشمس.

عباد الله: لقد سأل سائلون عن ذي القرنين، سألوا الرسول ﷺ، فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته، وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين.

فلنبداً معاً مع السياق في هذه الرحلات الثلاث: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّانُهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّئًا ۝٨٤﴾ [الكهف: ٨٤] لقد مكّن الله لذي القرنين، فأعطاه الله سلطاناً، وثبت ملكه، وسهل سيره، وأحكم قوته (فاتبع سبياً) [الكهف: ٨٥] ومضى في وجه ما هو ميسر له، وسلك طريقاً إلى الغرب، وتبع السبب الموصل لمقصوده، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦﴾ [الكهف: ٨٦] لقد أعطى الله ذا القرنين ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة أي سوداء، ومعلوم أن الشمس تغرب في هذه العين الحمئة حسب رؤية الإنسان، وإلا فهي أكبر من الأرض، وأكبر من هذه العين

(١) البخاري برقم (٣٢٧٣) في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (١٣٣٩) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

الحمئة ، (ووجد عندها) أي عند العين الحمئة، وهو البحر، (قوماً) فلما وجد هؤلاء القوم خيرهم - بوحى من الله - بين أن يعذبهم بالقتل أو بغيره، أو يحسن إليهم، وذلك لأن ذا القرنين ملك عاقل، ملك عادل، ويدل لعقله ودينه أنه قال: ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ نُرِيدُ إِلَىٰ رَبِّهِ، فِيعَذِّبُهُ عَذَابًا ثُكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ، مِنۢ أَمْرًا يُسْرًا ۝٨٨ ﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨] أي سأجعلهم قسمين: أما من ظلم نفسه بالكفر والشرك، فإنه تحصل له العقوبتان: عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة، وأما القسم الثاني، وهو المؤمن العامل للصالحات، فله جزاء عند الله بالحسنى (وهي الجنة) وسنحسن إليه، ونلطف له القول، ونيسر له المعاملة، وهنا وقفة: تدل على كون ذي القرنين من الملوك الصالحين، والأولياء العادلين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله، ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ۝٨٩ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ (الكهف: ٨٩-٩٠) أي: لما وصل إلى مغرب الشمس كثر راجعاً قاصداً مطلعها، متبعاً للأسباب التي أعطاها الله، فوصل مطلع الشمس - أي موضع طلوعها - ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠] أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس؛ إما لعدم استعدادهم في المساكن لعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ۝٩٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ ﴾ [الكهف: ٩٢-٩٣] والسدان هما جبلان عظيمان بينهما منفذ ينفذ منه الناس، عند ذلك

المكان وجد ذو القرنين قوماً لا يكادون يفهمون الخطاب والقول، وذلك لعجز ألسنتهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفهم ما يريدون، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم، فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُّئِيدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿فَهَذَا نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] أي: جُعلاً ﴿أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ﴿[الكهف: ٩٤] أي حائزاً يمنع من حضورهم إلينا، فعرضوا عليه أن يعطوه شيئاً، ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجره، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي وهو: إفسادهم في الأرض، فلذلك أجابهم إلى طلباتهم لما فيها من المصلحة، ولم يكن ذا طمع ولا رغبة في الدنيا، ولذا لم يكن يأخذ منهم أجره، بل شكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] يعني الذي مكنتني ربي من الملك والمال والخدم وكل شيء خير من هذا الخرج الذي تعرضونه عليّ، وهكذا عباد الله الصالحون عندما تتجدد لهم نعمة، فإنهم يتذكرون نعم الله عليهم، ويشكرونه على ما أولاهم به من جزيل عطائه بخلاف الجاحدين والغافلين عن ذكر الله وعظيم منته، فإن هؤلاء لا تزيدهم النعم إلا أشراً وبطراً- والعياذ بالله- يقول سليمان- عليه السلام- في هدية ملكة سبأ قال: ﴿أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ

أَنْتُمْ هَدَيْتُكُمْ تَقْرُونَ ﴿ [النمل: ٣٦] وهذا اعتراف الإنسان بنعم ربه - عز وجل - التي لا يحتاج معها إلى أحد ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥] أي أعينوني بقوة منكم بأيديكم لا بأموالكم، حتى أجعل لكم مانعاً وحائلاً بينكم وبين هؤلاء المفسدين في الأرض، فقد رأى ذو القرنين أن أيسر طريقة لإقامة هذا السد هي ردم الممر بين السدين الطبيعيين (الجبلين) فأمر بجمع الحديد، وجعلوه يساوي الجبال ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ﴾ [الكهف: ٩٦] يعني إذا ساوى الحديد بين الجبلين (قال انفخوا) يعني انفخوا على هذا الحديد بالآلات والمعدات، فنفخوا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦] أي أوقدوا على الحديد إيقاداً عظيماً حتى إذا اشتد حر هذا الحديد ولهيبه، طلب ذو القرنين قطراً ليفرغه عليه، والقطر هو النحاس المذاب، فأفرغ عليه قطراً - نحاساً فاشتبك النحاس مع قطع الحديد، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً ، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج، ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۝٩٧ ﴾ [الكهف: ٩٧] أي لا قدرة لهم على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل ذو القرنين هذا العمل الجليل وهذه الخدمة النافعة أضاف النعمة إلى ربها وقال: (هذا رحمة من ربي) [الكهف: ٩٨] أي من فضله وإحسانه عليّ، وهذه حال الصالحين، إذا منّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله، ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي

جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ [الكهف: ٩٨] يعني: إذا جاء وعد الله سبحانه بخروج يأجوج ومأجوج ، جعل الله هذا السد دكاً: أي منهدماً تماماً وسواه بالأرض، وقد صح عن النبي ﷺ: (ويل للعرب من شر قد اقترب، فتتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها) ^(١) متفق عليه، وصدق الله العظيم ورسوله الكريم، فإن خبرهما في خروجهم كان حقاً، فلا بد أن يقع، فإن الله لا يخلف الميعاد لكماله وقدرته، وكمال صدقه. نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٩٨) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام،

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

وأخرجه مسلم برقم (٢٨٨٠) في الفتن وأشراف الساعة.

الخطبة الثانية

الحمد لله يهب الملك لمن يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون:

وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين، النموذج الصالح، يمكنه الله في الأرض، ويسر له الأسباب، حتى بلغ ملكه الأرض شرقاً وغرباً، ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر ولا يطغى، وبلى كان مستغلاً نعمة الله عليه بما يفيد غيره وينفعهم ويشكر الله على ذلك.

عباد الله ! ثم نجد أن الله سبحانه يعقب على ذكر ذي القرنين للوعد الحق بمشهد القيامة بقوله: ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَوْجٍ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ۝١٩﴾ [الكهف: ٩٩] وهذا هو مشهد يوم القيامة، إنه مشهد عظيم مهول، مشهد يرسم حركة تلك الجموع البشرية بأجمعها من لدن آدم إلى آخر مخلوق، من كل لون وجنس وأرض، ومن كل جيل وزمان وعصر، في هذا اليوم العظيم ينقسم الناس فيه إلى مؤمنين وكفار، وإلى متقين وفجار، فأما الكفار فقد قال الله عنهم: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ تَزْلًا ۝١٠٢﴾ [الكهف: ١٠٢] وأما الذين سعدوا، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨] أي لا يريدون أن يتحولوا عنها، ولا تتحول هي عنهم، نظراً لأنهم لا يجدون فيها إلا ما يعجبهم ويبهجهم ويسرهم ويفرحهم، ولا يريدون نعيماً فوق ما هم فيه.

أيها المسلمون! ويصور الله عز وجل علم الإنسان الذي يظنه غزيراً، وهو على سعته وغزارته - محدود ضئيل، أمام علم الله سبحانه، فإن كلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لا حدود له، والذي لا يدرك البشر نهايته، بل لا يستطيعون تلقيه وتسجيله فضلاً عن محاكاته ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِشَاءَ بَيْنِيهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وفي ظل هذا المشهد الذي يتضاءل فيه علم الإنسان ينطلق مشهد أخير في رسم أعلى أفق للبشرية، وهي أفق الرسالة المحمدية الشاملة الكاملة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ رِجَاجُ لِقَاءِ رَبِّي، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] أعلن يا محمد للملأ أنك لست ملكاً، فإنك من جنس البشر، فمن زعم أن محمداً نوراني، أو أنه يعلم الغيب، أو أنه يملك صفة الربوبية والألوهية، فهذا كذب بلا شك. بل إنما تميز محمد ﷺ بشيء وهو أنه يوحى إليه،

فمن أراد طريق السعادة والنجاة، فليلتزم بهديه ﷺ وسنته، ويجتهد في العمل الصالح، ولا يكون العمل صالحاً إلا بشرطين:
١- أن يكون خالصاً لوجه الله.

٢- موافقاً فيه لسنة رسول الله ﷺ، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه الخاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه ولن ينال رضاه.
هذا وصلوا وسلموا على من أرسله الله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٩٦﴾

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الجزء الثاني	٥
العلم مسؤولية الجميع	٧
الإيمان بالملائكة والكتب والرسل وأثر ذلك في الحياة	١٧
الإيمان باليوم الآخر (١): (نعيم القبر وعذابه)	٢٩
الإيمان باليوم الآخر (٢): (البعث والنشور والعرض والحساب والصراط) ..	٤٠
الإيمان باليوم الآخر (٣): (نعيم الجنة وعذاب النار)	٥٠
الإيمان بالقضاء والقدر	٦٢
من نواقض الإيمان: النفاق	٧٣
من نواقض الإيمان: السحر	٨٣
الكهانة والعرافة	٩٤
الجمعة وآدابها	١٠٤
في مقدم رمضان	١١٦
الجود في رمضان	١٢٧
الحج: آداب ودروس وتربية	١٤٠
صفة الحج	١٥٠
الأمر بالمعروف (١)	١٦١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)	١٧١
الرحمة	١٨٠
صلاح القلب	١٨٩

الموضوع	الصفحة
الزواج وأخطاء الناس فيه	١٩٩
حقوق الزوجين (١)	٢١٣
حقوق الزوجين (٢)	٢٢٣
من أنصار المرأة؟	٢٣٤
صورتان للقدوة (١)	٢٤٢
الوقت والإجازة الصيفية	٢٥٨
حدث ووقفات	٢٦٩
بصائر لذوي الضمائر	٢٨٠
الانتصار على النفس	٢٩٠
الاستقامة بين الغلاة والجفاة	٢٩٩
سنة التغيير	٣٠٩
وقفات مع اليهود وتاريخهم	٣١٩
الإرهاب والضرورات الخمس	٣٢٩
القلق والاكتئاب... مرض العصر	٣٣٧
أسباب الرزق	٣٤٨
غزوة الأحزاب عظات وعبر	٣٦٠
أصحاب الكهف	٣٦٩
قصة أصحاب الجنتين	٣٧٩
قصة ذي القرنين	٣٨٧